العدد السابع
السنة الخامسة - 2023م



علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

عدد مجاني
غير مخصص للبيع

تجد في هذا العدد





www.arabhistorypublishing.com





المجلة العربية للدراسات التاريخية
علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي

العدد السابع
السنة الخامسة – 2023

شروط وأحكام النشر

1. تنشر المجلة العربية للدراسات التاريخية الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجدية. في التاريخ، وكافة العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ذات الصلة بالتاريخ.
2. كل بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.
3. تخضع كل الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.
4. للمجلة كل الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.
5. لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.
6. يتعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في المجلّة العربية للدراسات التاريخية، إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من مدير المجلة.
7. لا تتجاوز صفحات البحث المقدم ٢٥ صفحة.
8. على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:




- تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية والجامعة التي ينتمي اليها باللغة العربية واللغة الانجليزية، البريد الالكتروني للباحث. ملخص للدراسة في حدود ١٥٠ كلمة حجم ١٢ بلغة المقال وبلغة أجنبية (لإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.
- تقدم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسية والفرعيّة للفقرات بحجم ١٤ مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman بحجم ١٢ وتكون الحواشي ٤ سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيما متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.
- يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة APA American Psychological Association بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبدا في العناوين، أما إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعي والآخر رئيسي فيفصل بينهما بنقطتين.
- يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية (,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.
- تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.
- عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.
- ضبط اتجاه النصّ بالعربية من اليمين الى اليسار والنص بالأجنبية من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النصوص إذا كانت باللغة العربية او بالأجنبية.
- عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نض سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9. الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.
10. يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
11. ترسل الأبحاث الى إيميل المجلة

c.a.h.p.e.j@gmail.com

تكريم مستحق من المجلة العربية للدراسات التاريخية لمؤرخة من مؤرخي لبنان الكرام



الدكتورة سعاد الأسعد
جامعة طرابلس
لبنان





الموضوعات



هل وُجد قاتل متسلسل في مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن 19؟

د. محمد البشير رازقي

أستاذ مساعد. المعهد العالي

للعلوم الانسانيّة (جامعة جندوبة)

ملخّص:

سعينا في هذا المقال إلى معالجة فكرة هي الأولى من نوعها حول إمكانيّة تواجد قاتل متسلسل/قتلة متسلسلين في مدينة تونس في ستينات وسبعينات القرن 19، حتّى قبل بروز جاك السقّاح نفسه. وقد اعتمدنا على وثائق شرطة مدينة تونس المحفوظة بالأرشيف الوطني التونسي. والفرضيّة الأساسيّة هي تواجد قاتل متسلسل/قتلة متسلسلين في مدينة تونس استهدفوا الفئات الهشّة في المجتمع التونسي في تلك الفترة وهم أساسا البغايا والغرباء وبصفة أقلّ الفقراء الأوروبيين. وتبيّن لنا في هذا البحث وتبيّن لنا تشابه غريب بين قتل العواهر و"الغرباء" وبدرجة أقل الأجانب في مدينة تونس سواء من ناحية طريقة القتل، أو الزمان وخاصّة عدم القبض على القاتل، مع ما حصل بعد ذلك زمنيّا في إنجلترا ثمّ أمريكا. وهذا ما يؤكّد وجود قاتل متسلسل على الأقلّ في مدينة تونس حتّى قبل ظهور جاك السقّاح نفسه في لندن.

الكلمات المفتاحيّة: القتل المتسلسل، النصف الثاني من القرن 19، مدينة تونس، علم الجريمة، جاك السقّاح.

Abstract :

In this article, we sought to address an idea that is the first of its kind about the possibility of serial killer/serial killers in the city of Tunis in the second half of the 19th century, even before the emergence of Jack the Ripper himself. We have relied on the documents of the Tunis City Police, which are preserved in the Tunisian National Archives. The main hypothesis is the presence of a serial killer/serial killers in the city of Tunis who targeted vulnerable groups in Tunisian society at that time, mainly prostitutes, strangers and, to a lesser extent, the European poor. In this research, we found a strange similarity between the killing of prostitutes and "strangers" and to lesser extent foreigners in the city of Tunis, whether in terms of the method of killing, or the time, and especially the failure to arrest the killer, with what happened after that time in England and then America. This confirms the presence of a serial killer, at least in the city of Tunis, even before the appearance of Jack the Ripper himself in London.

Keywords: Serial murder, second half of the 19th century, Tunis, criminology, Jack the Ripper.

مقدّمة:

تمثّل حوادث القتل إلى اليوم هاجسا أساسيّا. انتحر سنة 2019 759 ألف و289 شخص[1]، وقُتل 415 ألف و1809 شخص، إلى جانب 62 ألف و985 شخص ماتوا جرّاء صراعات (حروب وغيرها). مثّلت ظاهرة القتل المتسلسل مصدر قلق اجتماعيّ وهوس أكاديميّ. وقد حافظت سرديّة تواجد أوّل قاتل متسلسل مجهول (جاك السفّاح 1888 بلندن) وأوّل قاتل متسلسل يُقبض عليه حيّا (Henry Howard Holmes 1896 بالولايات المتحدة الأمريكية) على وجودها في ميدان علم الجريمة Criminology، مغفلة تماما إمكانيّة تواجد قاتل متسلسل خارج العالم الغربي.

نسعى من خلال هذا المقال إلى معالجة فكرة هي الأولى من نوعها حول إمكانيّة تواجد قاتل متسلسل/قتلة متسلسلين في مدينة تونس في ستينات وسبعينات القرن 19، حتّى قبل بروز جاك السقّاح نفسه. وقد اعتمدنا على وثائق شرطة الحاضرة المحفوظة

[1] من المهمّ منهجيّا أن نعتمد الدراسات الاحصائيّة في دراسة علاقة السياقات الزمنيّة بجرائم القتل. أنظر: Farcy, Jean-Claude, « Les sources sérielles de l'étude des victimes en histoire contemporaine », p. 95-112 dans Garnot, Benoît dir., *Les victimes, des oubliées de l'histoire ? Actes du colloque de Dijon*, 7- 8 octobre 1999, Rennes, PUR, 2000



بالأرشيف الوطني التونسي. والفرضيّة الأساسيّة هي تواجد قاتل متسلسل/قتلة متسلسلين في مدينة تونس استهدفوا الفئات الهشّة في المجتمع التونسي في تلك الفترة وهم أساسا البغايا والغرباء وبصفة أقلّ الفقراء الأوروبيين.

قسّمنا المقال إلى أربعة عناصر أساسيّة: خصّصنا العنصر الأوّل لتبيّن محاولات القتل التي تعرّضت لها المرأة، لارتباط عدد كبير من نوازل القتل المشتبه ارتكابها من طرف القاتل المتسلسل بالعواهر وهذا ما سوف نحاول شرحه، ودرسنا في العنصر الثاني نوازل قتل النساء، وتطرّقنا في العنصر الثالث لأسباب القتل، وخصّصنا العنصر الرابع لحوادث القتل المتسلسل في مدينة تونس.

1- محاولات قتل النساء

عثرنا على 70 محاولة قتل للنساء في المدوّنة المصدريّة، ذُكر مصطلح عاهرة أو عواهر في أكثر من 30 نازلة أي تقريبا النصف، مع حديث أكثر من 10 وثائق عن العواهر بدون تعيين بالاسم. ورد مصطلح مخمور وخمر في 33 نازلة أي تقريبا النصف وتواجدت المرأة كمتناولة للخمر في 11 وثيقة، وهذا ما يُثبت علاقة مهمّة بين حالة الفرد النفسيّة لحظة الاقدام على محاولة القتل. وتبيّن لنا وثائق عديدة وقوع محاولات قتل النساء في أماكن السكنى الجماعيّة ذات درجة الخطر المرتفعة خاصة الوكالات والفنادق ودور سكنى العواهر والطبارن (الحانات). ويبيّن لنا هذا الأمر طبيعة التوزّع المجالي لمحاولات القتل وبروز أماكن ذات درجة خطر مرتفعة[2]. نتج عن السّكن الجماعي للعواهر توتّرات عديدة، فقد حاولت ستة نساء قتل المرأة صالحة في منزل سكناهن[3]. كما اشتكت العاهرة حليمة بامرأتين عاهرتين صحبة رجلين، شربوا الخمر مع بعض خارج الحاضرة وأرادوا قتلها"[4]. كما تعرّضت المرأة حليمة الزغوانيّة إلى محاولة قتل من قبل محمد بن عون وهم مخموران بدارها بزنقة سيدي أبي الحسن[5].

برزت فئات اجتماعيّة في محاولات القتل مثل العساكر (10 حالات أي أكثر من 10%)، والإيطاليين (7 حالات) والمالطيين (6 حالات) وثلاثة عساكر زواوه. وقد استخدمت الآلات الحادّة في أكثر من نصف محاولات القتل (سكّين، خدمي، سبولة)[6]، فيما استخدمت في بقية النوازل أدوات أخرى مثل الأسلحة الناريّة والحبال أو الحجارة أو العنف المادي (مثل الركل أو الخنق)[7]. وسائل عنف متعدّدة استخدمت في محاولات القتل مثل الذبح (6 مرّات)، الخنق (4 مرّات)، الطّعن (4 مرّات). وقد تعرّضت النساء الناجيات من القتل إلى أضرار جسديّة كبيرة مثل حالة العاهرة فونه التي اعتدى عليها صالح بن محمد برمه وتضرّرت عينها اليمنى وأنفها وأجزاء كثيرة من جسدها[8]. كما حاول حسن العتّابي قتل المرأة تركيّة حيث ضربها على رأسها ومزّق لها ثيابها[9].

تمدّنا المدوّنة المصدريّة بأسباب عديدة لمحاولات القتل منها:

- تعدّد النزاعات بين الزوج وزوجته[10]. وتنوّعت أسباب الخلافات الزوجيّة مثل حالة اقدام رجل على محاولة قتل زوجته لأنها عارضت عودته مخمورا كل ليلة إلى المنزل ف"سلّ عليها خدمي أراد قتلها"[11].
- تعدّد النزاعات بعد الطلاق: رغبة الرجل في عودة طليقته مع رفضها ذلك. حاول محمد صالح بن محمود قتل المرأة حبيبة "لأنها كانت سابقا زوجته ثمّ فرقها (طلّقها) ثم بعد المفارقة صار يطلب منها الخلطة في الحرام، ولّما تتمنّع منه يخذ عليها الباب ويدخل لها الدار غصبا أو أنه يسقط عليها من السطح ويُشهر عليها الحديد وهذا دأبه معها كلّ يوم ويقول لها إني

[2] Abdelhamid Largueche,Les Ombres de la ville: pauvres, marginaux et minoritaires à Tunis: 18ème et 19ème siècles., C.P.U, Tunis, 1999

[3] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70585 ربيع الأول 1281/جويلية 1864

[4] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70263 صفر 1279/جويلية 1862

[5] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70454 شوال 1279/مارس 1863

[6] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 69062 صفر 1278/جويلية 1861

[7] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70002 ربيع الأول 1278/سبتمبر 1861

[8] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 17 محرم 1281/جوان 1864

[9] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70600 ربيع الثاني 1281/سبتمبر 1864

[10] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 69062 صفر 1278/أوت 1861

[11] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70012 ربيع الثاني 1278/أكتوبر 1861



أقتلك وأخرج من البلاد حيث لم يكن لي بها شيء"[12]. كما حاول محمد الغربي قتل طليقته المرأة عائشة بعد أن اقتحم عليها منزلها مخمورا، و"صار يسبّ في الدين فأنواع السبّ"[13]. واشتكى العربي بن بشير بمفارق ابنته كونه يتعرّض لها دائما في الطريق وجذب عليها يوما خدمي وحاول قتلها[14]. حاول عثمان بن علي الكيلاني قتل طليقته آمنة بنت محمد الماطري، وقد قتل سابقا طليقته الأولى[15]. واشتكت المرأة شلبيّة بطليقها سالم بن إبراهيم بأنه جاءها مخمورا وأراد قتلها ب"موس حجامة"[16]. واشتكت المرأة تونس بطليقها محمد بن مبارك "مدعيه عليه بأنه تعرّض لها في الطريق يريد قتلها"[17].

- النزاعات العائليّة: مثل حالة يوسف بن عبد القادر الذي حاول قتل أخته بعد أن عاد مخمورا إلى المنزل، ثمّ اعتدى بالضرب على زوجة أخيه. وقد شهدت أمّه على ذلك[18]. كما حاول محمد بوعبادة قتل أخته خدّوجة[19]. وقد أبرزت لنا المدوّنة المصدريّة محاولات قتل عديدة تجاه الأخت مع تنوّع الأسباب مثل حالة الرجل حسونة الفيّاش الذي حاول قتل أخته ورمي نفسه في البئر، وقد عُرف عنه الجنون"[20].
- تعرّض عدد كبير من العواهر إلى محاولات قتل عديدة، ويعود هذا الأمر إلى خطورة الأماكن التي توجد بها دور البغاء وطبيعة الفئات الاجتماعيّة الزائرة والمرتادة لهذه الأماكن[21]. تعرضت مثلا المرأة مباركة بنت جابر إلى محاولة قتل من طرف علي بن محمد الذي "أراد قتلها وخنقها وضربها ومزّق لها حوايجها"[22]. وقد تسبّبت حياة الخطر التي عاشتها العاهرة في كثرة نوازل محاولات القتل مثل محاولة قتل المرأة محبوبة بنت الغربي التي وُجدت مخمورة صحبة ثلاثة نساء في منزل رجل مزابي بالصبّاغين[23]. وتعرّض عدد كبير من العاهرات إلى محاولات قتل من طرف زائريهم مثل حالة المرأة خديجة التي اتّهت رجلا بأنه نام عندها وحاول قتلها، وادّعى أنها سرقت له 15 ريالا وجبّة[24]. وتشاجر رجلان على امرأة عاهرة فسعى أحدهم إلى قتلها[25].
- أسباب ماديّة: حاول رجلا قتل أمّه لأنها لم تسلّم له دراهما[26].
- العجز عن دفع الدين: تعرّضت عدد من النساء إلى محاولات القتل بسبب العجز عن دفع الدين مثل حالة المرأة صالحة التي عليها دين للحاج أحمد بن عمار بالشايب[27]. أو بسبب شجار بين الجيران مثل حالة رجل مخمور اقتحم منزل جاره وأراد قتل زوجته[28]. أو محاولة القتل بسبب قطع الطريق خارج مدينة تونس وسرقة مجوهراتها[29].

[12] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 21، وثيقة 73433 جمادى الأولى 1289/جويلية 1872

[13] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70165 شوال 1278/أفريل 1862

[14] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70171 شوال 1278/أفريل 1862

[15] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70406 شعبان 1279/جانفي 1863

[16] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70414 شعبان 1279/ جانفي 1863

[17] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70450 شوال 1279/مارس 1863

[18] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70059 جمادى الثانية 1278/ديسمبر 1861

[19] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70123 شعبان 1278/فيفري 1862

[20] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70171 شوال 1278/أفريل 1862

[21] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70174 شوال 1278/أفريل 1862

[22] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 70203 ذي الحجة 1278/ماي 1862

[23] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 2 شعبان 1280/جانفي 1864

[24] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70408 شعبان 1279/جانفي 1863

[25] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70592 ربيع الأول 1281/أوت 1864

[26] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70687 رجب 1281/ديسمبر 1864

[27] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70289 ربيع الأول 1279/أوت 1862

[28] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70289 ربيع الأول 1279/أوت 1862

[29] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70352 جمادى الثانية 1279/نوفمبر 1862

- الاغتصاب ومحاولة القتل: تعرّضت امرأة إلى محاولة قتل بعد أن تعرّضت للاغتصاب في منزلها ليلا من قبل رجلان نزلا لها من السّطح وأرادت الصّراخ[30].
- شرب الخمر: رجل مخمور حاول قتل زوجته بدعوى أنّها "خرجت من غير اذنه"[31]. وقد سعى عبد الله الغربي إلى قتل زوجته بسلاح ناري وهو مخمور[32].
- السرقة: نتجت محاولات قتل أخرى عن محاولات السرقة، فقد اشتكى مثلا رجل بعبد الله المزابي وإبراهيم المزابي أنّهم دخلوا لداره من أجل السرقة وحالوا قتله زوجته[33].
- محاولات الانتحار: إلى جانب عدد من محاولات قتل النفس الفاشلة مثل حالة المرأة خدّوجة من العواهر حاولت الانتحار وهي بحالة سكر[34].

2- نوازل قتل النّساء

اشتملت المدوّنة القانونيّة المُحرّرة في البلاد التونسيّة زمن تأسيس المجالس (1860) على عدد من عقوبات القتل تجاه المرأة مثل الفصل 211 الذي يشير إلى أنّ "المرأة إذا استوجبت القتل ولم تكن حاملا تُوقف ساعة وتُساق مستورة وتُقتل بآلة لا تعذيب فيها ولا تمثيل ولا تبقى في موضع قتلها مثل الرّجل بل تدفع لمن يطلبها من أهلها إن كانوا وإلاّ توجّه للمارستان...ويبقى المكتوب باسمها وجنايتها في محلّ قتلها"، والفصل 378 الذي مفاده أنّ "من وجد رجلا بداره مع امرأته أو محرمه متطاوعين فقتلهما معا في بيت واحد أو فراش واحد وقامت القراين على ما ادّعاه القاتل فدمُ الميتين هدر. وإن لم تقم القراين فعلى القاتل ديتهما لوجودهما ميّتين في الفراش أو في البيت"[35].

اشتغلنا في هذا البحث على مدوّنة مصدريّة تتكوّن من 521 جريمة قتل[36]. تبيّن لنا أن النسبة الأكبر من عمليّات القتل كانت للذكر على حساب الإناث. لم تشارك المرأة سوى في خمسة عمليّات قتل، وهي عمليّات قتل عائليّة أساسا: امرأة قتلت زوجها (حالتان منها حالة تسميم بسمّ السليماني)، وأخرى قتلت ابنة أختها، وأخرى ابنها، وأخرى ابن أخي زوجها. إذا فرض الفضاء المغلق الذي تعيش فيه المرأة طبيعة الضحايا.

ارتكب الرجل جرائم قتل ضدّ 109 امرأة، مع أكثر من 331 جريمة ضدّ رجل، و46 جريمة قتل غير متعمّد، و35 حالة انتحار (34 حالة انتحار للرجال منهم رجل غريب وامرأة واحدة)[37]. وقد ضمّت قائمة ضحايا الرجال فاعلين متنوّعين وأهمّهم أفراد عائلات المعتدين، حيث اشتملت القائمة خمسة جرائم قتل ضدّ المطلّقات، وستّة عشر حالة قتل تجاه الزوجة، وحالتي قتل ضدّ الأخت وحالتي قتل تجاه الأمّ، وحالتي قتل للابن وحالتي قتل للجار وثلاثة حالات قتل للشقيق. كما نلاحظ ارتفاع حالات القتل تجاه الغرباء. برزت ظاهرة "الغرباء" في البلاد التونسيّة خلال القرن التاسع عشر بصفة ملحوظة[38]، وشمل هذا مدينة تونس. توفّر لنا الوثائق 33 حالة قتل تجاه الغرباء، 3 نساء غريبات.

تعدّدت أسباب القتل خلال الفترة قيد الدرس من قبيل الانتقام، والشرف والقتل الخطأ والانتحار وقتل الزوج لطليقته. أقدم الأزواج في 16 مرّة على قتل الزوجة، مقابل مرّة واحدة قتلت فيها امرأة زوجها بالسمّ[39]. وقد تشابهت هذه الأرقام مع دول غربيّة، فقد فرض القتل الزوجي نفسه في تاريخ الجريمة لخصوصيّة العلاقة بين الطرفان وقربهما نظريّا من بعض والدراما المحيطة بهذا الفعل. أثبت عدد من الأبحاث أنّ النساء أكثر تعرّضا للقتل على

---

[30] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70375 رجب 1279/ديسمبر 1862

[31] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70255 صفر 1279/أوت 1862

[32] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70741 شوال 1281/مارس 1865

[33] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70264 صفر 1279/جويلية 1862

[34] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 11، وثيقة 70693 شعبان 1281/جانفي 1865

[35] الأرشيف الوطني التونسي، الكتاب 450

[36] ضرورة هناك عدد كبير من جرائم القتل التي بقيت غائبة عن عين السلطة وهي المعبّر عنها ب"الرقم الأسود". جمال بن طاهر، الفساد وردعه، جامعة منّوبة، تونس، 1995، ص.159- 160.

[37] لاحظ الأستاذ جمال بن طاهر أيضا ذكورية جرائم القتل في البلاد التونسية قبل سنة 1840. أنظر: جمال بن طاهر، نفس المرجع، ص.167- 168.

[38] عبد الواحد المكني، "المدينة والغرباء في العهد العثماني: مثال صفاقس في القرن التاسع عشر"، ضمن: **أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية حول: المدن العربية والديمغرافية التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني**، تقديم: عبد الجليل التميمي، سيرمدي، زغوان، 1994، ص337- 352

[39] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 25، وثيقة 74177





يـد أزواجهـنّ بالمقارنـة مـع قتـل النسـاء للـزوج. شـكّ مصـطلح (maricide) في حالة قتل الزوجة لزوجها، ومصطلح (fémicide) في حال قتل الزوج لزوجته[40]. شهدت مثلا كندا في الفترة المتراوحة بين سنة 1867 و1967 ثمانية وعشرون امرأة قتلن أزواجهنّ (سبعة منهنّ تعرّضن للشنق)[41]. وقد كان عدد النساء المتّهمات بالقتل قليلا في لندن في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 حيث وصلت 40 امرأة فقـط إلى محكمـة الجنـايات بـين العـامين 1783 و1815[42]. في حالـة الإيالة التونسيّة فلم تمكّننا المدوّنة المصدريّة إلا من نازلة واحدة قتلت فيها الزوجة زوجها عبر تسميه بسمّ السليماني.

مثّلت جرائم القتل مجهولة الجاني هاجسا بحثيّا مؤرّقا سواء بالنسبة لعلماء الجريمة أو القانونيين وقليلا ما جلب هذا الأمر انتباه المؤرخين[43]. الملاحظة الأبرز في تقارير مجلس الضبطيّة هو العدد الكبير من جرائم القتل مجهولة الجاني[44]، وجدنا 148 جريمة مجهولة الجاني من جملة 521 أي ما بين الثلث والربع، منهم 38 نازلة لم يُعرف المقتول نفسه سواء بسبب تشوّه الجثّة أو تحلّلها، ومنهم 5 غرباء وغريبة. عثرنا على 14 امرأة قاتلها مجهول. المثير أيضا أنه لم يُقبض على القاتل في 218 نازلة أي ما بين الثلث والنصف وهو رقم مرتفع جدّا، منهم 170 جريمة قتل تجاه المسلمين (ويشتمل العدد على 39 امرأة)، و35 حالة قتل تجاه الأوروبيين (منهم 3 نساء)، و13 حالة قتل تجاه اليهود (منهم 4 نساء).

قاد مانويل إيسنر Manuel Eisner أستاذ علم الجريمة بجامعة كامبريدج وعدد من زملائه مشروعا لتجميع بيانات العنف التاريخية والاتّجاهات على المدى الطويل في معدّلات جرائم القتل إلى جانب معلومات أخرى حول سبب القتل والجاني والضحيّة والفئات العمريّة. تراوحت معدلات القتل في أوروبا في القرن 13 من 23 إلى 56 جريمة قتل لكلّ 100 ألف ساكن (وهي مشابهة للمعدّلات الحاليّة لأمريكا اللاتينيّة)، ثمّ انخفضت هذه الأرقام بشكل كبير مع اقترابنا من القرن 19[45]. كانت النسبة في بلجيكا سنة 1862 1.7 جريمة قتل لكلّ 100 ألف ساكن، وارتفعت قليلا النسبة إلى حدود 1.8 سنة 1887. أما معدّل جرائم القتل في كرسيكا وسردينيا سنة 1862 فقد كان 29.2 جريمة قتل لكلّ 10 ألف ساكن، وانخفض إلى 14.1 جريمة قتل لكل 100 ألف ساكن سنة 1887. كانت النسبة 1.6 جريمة قتل لكلّ 100 ألف ساكن في إنجلترا وويلز سنة 1862 وانخفضت إلى 1.3 سنة 1887. أمّا في فرنسا فقد كانت النسبة 1.4 سنة 1862، وبقيت نفس النسبة سنة 1887. أما في ألمانيا فقد كانت النسبة 1.5 جريمة قتل لكل 100 ألف ساكن سنة 1862 وارتفعت إلى حدود 1.6 سنة 1887. وكانت النسبة في إيرلاندا 1.7 جريمة قتل لكل 100 ألف ساكن، وارتفعت 1.9 سنة 1887. وكانت النسبة في إيطاليا سنة 1862 7 جريمة قتل لكل 100 ألف ساكن، وانخفضت إلى حدود 5.7 سنة 1887. أما في هولندا فقد كانت النسبة سنة 1862 0.8، وارتفعت قليلا سنة 1887 إلى حدود 0.9. أما في اسبانيا فقد كانت النسبة 8.3 سنة 1862، وانخفضت إلى حدود 5.5 سنة 1887. وكانت النسبة في السويد 1.7 سنة 1862، وانخفضت سنة 1887 إلى حدود 1.6. وفي سويسرا 1.7 سنة 1882، وارتفعت إلى 3 سنة 1887.

البلد	1862	1887
بلجيكا	1.7	1.8
كرسيكا وسردينيا	29.2	14.1
إنجلترا وويلز	1.6	1.3
فرنسا	1.4	1.4
ألمانيا	1.5	1.6
إيرلاندا	1.7	1.9
إيطاليا	7	5.7
هولندا	0.8	0.9
اسبانيا	8.3	5.5
السويد	1.7	1.6
سويسرا	1.7	3

جدول: معدّل جرائم القتل في أوروبا لكلّ مائة ألف ساكن[46].

[40] Sylvie FRIGON, *L'homicide conjugal au féminin, d'hier à aujourd'hui*, Éditions du remue-ménage, Montréal, 2003, Introduction

[41] Ibid, Le premier chapitre

[42] Kathy Callahan, «Women Who Kill: An Analysis of Cases in Late Eighteenth- and Early Nineteenth-Century London», *Journal of Social History*, Oxford University Press, Vol. 46, No. 4 Summer 2013, pp. 1013-1038

[43] Wendy C. Regoeczi and Marc Riedel, "The Application of Missing Data Estimation Models to the Problem of Unknown Victim/Offender Relationships in Homicide Cases", *Journal of Quantitative Criminology*, Vol. 19, No. 2 June 2003, pp. 155-183

[44] لاحظ الأستاذ جمال بن طاهر هذا الأمر قبل سنة 1840 وأرجع ذلك إلى عدّة أسباب منها إخفاء عون الدولة جريمته إن كان هو فاعلها، أو تحالفه مع السكان المحليين سواء تعاطفا أو بعد أخذ رشوة من الجاني أنظر: جمال بن طاهر، مرجع مذكور، ص.160- 161.

[45] https://ourworldindata.org/homicides#the-global-distribution-of-homicides شُوهد يوم 2023/01/11. الساعة: 12 و13 دقيقة.

[46] اشتغل الباحث هذا الجدول استنادا للمعلومات الواردة في هذه المدوّنة:





تمكّننا المدوّنة المصدريّة من معلومات مهمّة تسمح لنا بمقارنة نسبة القتل في وثائق الضبطيّة خلال الفترة قيد الدرس مع أرقام الدول الأوروبيّة، فقد اشتملت وثائق ضبطيّة الحاضرة على 521 جريمة قتل[47]. حسب تقديرات جون غانياج Jean Ganiage كان يعيش في مدينة تونس بداية ستينات القرن التاسع عشر 15 ألف يهودي[48]، وقدّر وجود 80 ألف ساكن[49]. أمّا الأوروبيين فقد رجّحت الدراسات أعدادهم بين 10 آلاف (سنة 1865)[50]، و149 ألف و500 أوروبي سنة 1860 مع ارتفاع عددهم إلى حدود 25 الف أوروبي سنة 1880[51].

نستثمر هنا العدد الأعلى لسكّان الحاضرة وهو 150 ألف ساكن (لا 80 ألف كما قال غانياج)، وهو عدد اقترحه عدد من الرحّالة[52]. اشتملت المدوّنة المصدريّة على 521 جريمة قتل منها 57 جريمة وقعت في مدن غير مدينة تونس (بنزرت، صفاقس، باجة...). أي 464 جريمة قتل وقعت في الحاضرة وظهيرها خلال 21 سنة تقريبا، ما معدّله 14.7 جريمة لكلّ مائة ألف ساكن في السنة وهو رقم مرتفع جدّا مقارنة مع بلدان أوروبية ولا يفوقه في أوروبا إلاّ كرسيكا وسردينيا سنة 1860بمعدّل 29.2 جريمة قتل لكلّ مائة ألف ساكن في السنة مع تراجعه سنة 1887 إلى 14.1. وقد اشتملت مدوّنتنا المصدريّة على 24 جريمة قتل تجاه اليهود (منهم 5 نساء)، أي ما معدّله 1.1 جريمة قتل في السنة على مدى 21 سنة، أي بنسبة 7 جرائم لكلّ مائة ألف ساكن، وهو رقم يبقى مرتفعا ولكنّه مماثل تماما لرقم إيطاليا سنة 1862. وقدّمت لنا الوثائق 50 جريمة قتل تجاه الأوروبيّين (منهم 3 نساء) أي ما معدّله 2.3 جريمة قتل في السنة على مدى 21 سنة أي بنسبة 23 جريمة لكلّ مائة ألف ساكن وهو رقم مرتفع أيضا.

على مستوى النساء، نبقي على نفس الرقم الذي اقترحه غانياج أي 150 ألف ونفترض أنّ عدد النساء في الحاضرة هو نصف العدد الجمليّ أي 75 ألف. اشتملت المدوّنة المصدريّة على 110 حالة قتل تجاه النساء من سنة 1860 إلى سنة 1881. أي ما معدّله 5.2 جريمة قتل في السنة، أي 6.9 جريمة قتل امرأة لكل مائة ألف ساكن. ويبقى هذا الرقم مرتفعا سواء على مستوى الرقم العام للبلاد التونسيّة كما ذكرنا وهو 14.7 جريمة قتل لكل مائة ألف ساكن أو مقارنة مع نسب جرائم القتل في أوروبا.

3- أسباب القتل

يبيّن لنا إيميل دوركايم Émile Durkheim أنّ لكلّ "شعب من الشعوب نوع الميتة المفضّلة لديه"[53]. وقد أبرز هذا في جدول مهمّ أورده في عمله[54]: وقد تعدّد أسباب قتل النساء في مدينة تونس خلال الفترة قيد الدرس:

- أوّلا أسباب القتل المجهولة مثل حالة قتل علي بت سالم الطرابلسي لأخته[55]. وقتل المبروك بن محمد بابنة عمّه[56].
- ساهم التوازنات الاجتماعيّة الذكوريّة في المجتمع المحلّي مع أعوان الدولة في تعريض المرأة لخطر القتل. نعثر على نازلة نموذجيّة في هذا الإطار: "قدم للمجلس من ناب عن الشاوش بلقاسم الورتاني وأتى برسم يتضمّن تسجيلا عليه في قتل أخته سالم في مغيب زوجها، وادّعائه أنّها ماتت بجنون من غير فعل فاعل آدمي. وقام شيخ حومته المجاور له لما بلغه من قتلها لدى المجلس وطلب توجّه لمعاينتها ولمّا توجّه المتوجّهون إليها وجدوها مفعولا بها وأنها مجروحة برأسها وبجلّ بدنها زروقة فادحة ووجدوا بالجدار صبيّا ابن القتيلة المذكورة...سيل عمّن فعل بأمّه فأجاب أنّ خاله بلقاسم أسقطها بدهليز وصار يضربها حتى ماتت، كما شهد بذلك نسوة بالدار المذكورة بعد أن

https://ourworldindata.org/homicides#the-global-distribution-of-homicides

شُوهد في 2023/01/11. الساعة: 1 و40 دقيقة.

[47] ضرورة هناك عدد كبير من جرائم القتل التي بقيت غائبة عن عين السلطة وهي المعبّر عنها ب"الرقم الأسود". جمال بن طاهر، الفساد وردعه، جامعة منّوبة، 1995، ص.159- 160.

[48] Jean Ganiage, « La population de la Tunisie vers 1860. Essai d'évaluation d'après les registres fiscaux », *Population*, 1966, 21-5, pp. 857-886, p.865

[49] Ibid, p.868

[50] L H, « De quelques caractéristiques démographiques de la population européenne de Tunis au milieu du 19e siècle », *Population*, 1960, 15-5 pp. 885-888, p.885

[51] Habib Jamoussi, ***Juifs et chrétiens en Tunisie au 19e s:*** *essai d'une étude socio-culturelle des communautés non-musulmanes, 1815-1881*, Amal éditions, p.148

[52] Jean Ganiage, op.cit, p.868

[53] إيميل دوركايم، **الإنتحار**، ترجمة: حسن عودة، الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، 2011، ص.374.

[54] نفس المرجع، ص.373.

[55] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 69039 محرم 1278/جويلية 1861

[56] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9، وثيقة 69079 صفر 1278/أوت 1861



حـذّرهنّ المتوجّهـون العقوبـة، ولمّـا قـدم زوجها واطّلـع علـى التسجيل أنكره وأبرأ المسجّل براءة عامّة"[57].

- التوتّرات العائليّة: مثل حالة ذبح فرج بن حسن الزغيبي لزوجته زينه بنت صالح[58]. كما قتل رجل لزوجته لأنها رفضت معاشرته لأنّها أسقطت جنينا حديثا، فضربها بشاقور على رأسها[59]. وقد قتل الرجل صالح الكريبي زوجته بالسمّ[60]. والرجل التيجاني قتل أخته بسلاح ناري[61]. وعلي بن إسماعيل قتل زوجته منا بنت عبد القادر لأنها أخبرت أمّها أنها تشاجرت معه، كسّر لها عقنها[62].
- السرقة: مثل قتل المرأة بفندق الوقيد وسرقة مجوهراتها[63]. والرجل محمد سلقوم قتل زوجته ليلا بسلاح ناري وهي نائمة ولم يُعلم السبب الحقيقي لذلك[64].
- خطر الحياة اليوميّة: قتل الرجل أحمد الزغواني امرأة عاهرة وتحصّن بسيدي محرز[65]. ورجل قتل عاهرة صديقته لأنه اتّهمها أنها خانته مع صديقه[66].
- قتل بسبب الخطبة والزواج: قتل الرجل رمضان بوحلاّب بنت بكر من عائلته لأنه طلب يدها من والدها فلم يُجب مطلبه. قتلها بسلاح ناري[67].
- القتل بسبب السرقة وهذا ما تعرّضت له المرأة رحمة عند سرقة منزلها ليلا[68].
- الاتهام بالخيانة: قتل بلقاسم بن معمّر زوجته بدعوى أنه وجدها مع رجل[69]. وقتل الرجل حمده بن الكيلاني زوجته وصانعه بالدكّان بعد أن وجدهما يمارسان "الفاحشة" في منزله[70].
- القتل غير العمد مثل حالة الطبيب الحاج الجيلاني الذي ماتت على يده امرأة بمحلّه قرب باب الجزيرة[71].
- العنف المنزلي: قتلت امرأة ابنة أختها بعد أن ضربتها كثيرا بالعصا، ثم دفنتها في المنزل. والاثنان "من العواهر"[72].

4- حوادث القتل المتسلسلة في مدينة تونس والفئات الهشّة

برز مصطلح القاتل المتسلسل بين أروقة مكتب التحقيقات الفيدراليّة P.B.I في الولايات المتّحدة الأمريكيّة في السبعينات على يد روبرت ليسلر Robert Ressler[73]. يتميّز القاتل المتسلسل بخمسة سمات وهي: الرغبة والتوق إلى القوّة والسيطرة، والسعي إلى التلاعب بمن حولهم وبسير الأحداث، مع مي واضح إلى التباهي وتضخّم الأنا والافتخار ولو أمام أنفسهم أو حتى بعد القاء القبض عليهم سواء أمام الناس أو المحققين. كما أنّ للقاتل المتسلسل فهم متميّز للذوات البشريّة واكتشاف نقاط قوة وضعف الضحايا مما يسهّل إيقاعهم في الفخّ وكسب ثقتهم، وعدد من القتلة المتسلسلين يتميّزون بالسحر والجاذبيّة الاجتماعية. والمثير هنا أن عددا كبيرا من القتلة المتسلسلين مندمجين تماما في مجتمعاتهم واجتماعيين ومحبوبين ومتشابك مع مصالح مجتمعه وهذا ما

[57] الأرشيف الوطني التونسي، دفتر عدد 2695 28 ربيع الأوّل 1278/ القيروان. نازلة عدد 124 3 أكتوبر 1861

[58] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 10، وثيقة 70336 جمادى الأول 1279/أكتوبر 1862

[59] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 22، وثيقة 73664+ 73666 جمادى الثانية 1290/جويلية 1873

[60] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 24، وثيقة 74047 ربيع الثاني 1295/أفريل 1878

[61] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 23، وثيقة 73922 ربيع الأول 1293/مارس 1876

[62] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 17، وثيقة 72382 ربيع الأول 1283/جويلية 1866

[63] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 22، وثيقة 73645 ربيع الثاني 1290/جوان 1873

[64] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 24، وثيقة 74089 جمادى الثانية 1296/ماي 1879

[65] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 23، وثيقة 74005 شوال 1294/أوت 1877

[66] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 19، وثيقة 72973

[67] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 24، وثيقة 74158 بدون تاريخ

[68] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 16، وثيقة 71927 ربيع الأول 1280/أوت 1863

[69] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 23، وثيقة73930 جمادى الأولى 1293/ماي 1876

[70] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 17، وثيقة 72412 جمادى الثانية 1283/أكتوبر 1866

[71] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 23، وثيقة 74003 رمضان 1294/سبتمبر 1877

[72] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 17، وثيقة 72496 ذي الحجة 1283/أفريل 1867

[73] Eric Boxler, *L'encyclopédie des tueurs en série*, Tome 1, Edilivre, Paris, 2014, p.3- 4

يسهّل عليهم أوّلا كسب ثقة الضحايا وثانيا وهذا الأخطر دفع أيّ شبهة عنهم[74].

قُدّمت تعريفات عديدة للقاتل المتسلسل، أوّلها قتله اثنين أو أكثر عادة من الغرباء في أوقات مختلفة وأماكن مختلفة مع فترة تهدئة بين جرائم القتل، مع وجود جوهري ومحوريّ للدافع النفسي، قد يتعرّض الضحايا للتعذيب أو الإيذاء الجنسي أو التشويه، وقد يشارك القاتل المتسلسل في مجامعة الضحية أو أكل لحمه. ويتميّز القتلة المتسلسلين بخصائص معيّنة أهمّها العدوان والعنف المفرط وغير الضروري تجاه الضحيّة، وجرائم القتل المتكرّرة وخاصة بروز نمط معيّن في طريقة القتل ونوع الضحايا، وعدد كبير من القتلة المتسلسلين يستمدّون المتعة والتشويق من عمليّة القتل ويصل ذلك إلى درجة الإدمان. كما يتميّز القاتل المتسلسل بالتنظيم والدقّة الشديدة[75]، والنرجسيّة المفرطة[76].

يحرص القاتل المتسلسل على اختيار دقيق لضحاياه وانتقاء مكان وزمان القتل وطريقة الدخول والخروج، والاعداد لحدث القتل نفسه، أي الشعائريّة والطقوس والمسرحة[77]. وقد تمّ تحديد أنواع القتلة المتسلسلين وأهمّهم القاتل من أجل المتعة/الشهوة، والقاتل من أجل القوّة والسيطرة[78]. ويُطلق مصطلح القاتل المتسلسل على كلّ شخص قتل على الأقلّ 3 أشخاص في 3 مواقع مختلفة مع فاصل زمني بين عمليّات القتل، وتصاعد وتطوّر عمليّات القتل استنادا إلى تاريخ القتل الأوّل، كما قدّم علماء نفس الجريمة سيمات نفسيّة توجد في أغلب القتلة المتسلسلين وهي: جاذبيّة الشخصيّة، الكذب المرضيّ، عدم الإحساس بالندم والذنب، الاندفاع، الدفاع عن أهداف غير واقعيّة ومنطقيّة، عدم الاعتراف بعلويّة القانون مع معاناتهم من مشاكل سلوكيّة مبكّرة[79].

يعيش القتلة المتسلسلون ظروفا قاسية توفّر قادحا لبداية عمليّات القدح، ويؤجّج هذه المسألة متغيّر الأزمة الذي يعيشها المجتمع ككلّ. تُصبح مسرحة القتل والشعائريّة والمشهدة التي يعيشها القاتل قُبيل القتل وخلاله مصدر متعة ولذّة لديه من لحظة اختيار الضحيّة إلى تتبّعه واقتفاء أثره ومعرفة تفاصيل حياته اليوميّة الدقيقة، وصولا إلى الشروع في التعذيب والقتل. يُصبح الوصول للضحيّة هدفا أساسيّا يُرافق القاتل في كل لحظات يومه ومصدر متعة وهاجسا في نفس الوقت. ينتهي الانتشاء مع موت الضحيّة، ويشرع بعدها القاتل في البحث عن ضحيّة أخرى. ولهذا لا يمكن للقاتل المتسلسل أن يتوقّف عن القتل، فإمّا يموت/يُقتل أو يُقبض عليه[80].

يمثّل الرجال معظم القتلة المتسلسلين[81]. وقد قُدّمت أسباب عديدة لتطوّر عدد القتلة المتسلسلين مثل نشأة الفردانيّة المفرطة، وترسّخ المجتمع الصناعي، وتعويض المجتمع التراحمي بالمجتمع التعاقدي وتفكّك الروابط الاجتماعيّة واشتداد التزاحم والتصادم بين الثقافات في ظلّ نشأة العولمة. بل نجد من قال أن القتلة المتسلسلين في الغرب وخاصة أمريكا هم محتجّين بطريقتهم الخاصّة[82]. نجد من أرجع تشكّل شخصيّة القاتل المتسلسل إلى طفولة صعبة، فقد بيّنت أحد الدراسات المُجرات في الولايات المتّحدة الأمريكيّة على 50 قاتلا متسلسلا أنّ:

- 36٪منهم ليس لديهم هواجس تجاه مؤسسة العائلة.
- 18٪منهم تعرضوا لأعمال إهمال.
- 26٪ منهم تعرضوا للاعتداء الجنسي.
- 36٪ منهم تعرضوا للإيذاء الجسدي.
- 50٪منهم تعرضوا للإيذاء النفسي.
- 68٪ منهم تعرضوا لسوء المعاملة[83].

---

74 https://dailygeekshow.com/reperer-tueur-serie/6/ 5 caractéristiques que les criminologues ont décelées chez les tueurs en série, en êtes-vous un ?. 02-06-2023 12:53

75 Richard Wayne Charlton and Jaco Barkhuizen, Serial Murder file:///C:/Users/Admin/Downloads/serialmurderCharltonandBarkhuizen.pdf

76 Senninger, J. L., Hiegel, E., & Kahn, J. P. "Le tueur en série », *Annales Médico-psychologiques*, revue psychiatrique, 2004, October. Vol. 162, No. 8, pp. 634-644. Elsevier Masson.

77 Ronald M. Holmes, James De Burger & Stephen T. Holmes, "Inside the mind of the serial murder",*American Journal of Criminal Justice*, volume 13, 1988, pp.1–9

78 R M Holmes; J DeBurger, *Serial Murder*, Studies in Crime, Law and Justice, Vol. 2. Beverly Hills, CA: Sage, 1988

79 Robert Hare Univeristé de Radford, « Qu'est-ce qui se cache dans la tête d'un tueur en série ? ». https://www.caminteresse.fr/sante/quest-ce-qui-se-cache-dans-la-tete-dun-tueur-en-serie-11144555/

80 كريس ماكناب، **القتلة المتسلسلون: القتلة– الضحايا– مسارح الجريمة– الاعتقالات– الإدانات**، ترجمة: حنان كسروان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2014.

81 Laurie Henry, « Pourquoi les tueurs en série sont-ils majoritairement des hommes ? »,16 octobre 2022, https://trustmyscience.com/pourquoi-les-tueurs-en-serie-sont-ils-majoritairement-des-hommes/

82 Violence, culture et société. Pourquoi tant de « tueurs en série » aux Etats-Unis ?, Le Monde diplomatique, Août 1994, pages 26 et 27 https://www.monde-diplomatique.fr/1994/08/DUCLOS/7390

83 Robert Hare Univeristé de Radford, « Qu'est-ce qui se cache dans la tête d'un tueur en série ? ».



بيّنت دراسة أخرى أمريكيّة عن القتلة المتسلسلين من القتلة المتسلسلين أنّه هناك بعض الخصائص الموجودة في معظمهم. أولاً، تراوح متوسط العمر بين 26 و31 سنة (28٪) بينما مثلت الثلاثينات الفئة العمرية الأقل تمثيلاً (12٪). بعد ذلك، بين سن 37 و 42 (25٪)، سيبدأ عدد الممثلين في الزيادة مرة أخرى. ويمثّل الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 25 عامًا 17 ٪ فقط من القتلة المتسلسلين. كما تبين أن هذه الظاهرة سائدة عند الرجال (95٪) وأندر بكثير عند النساء (5٪)[84].

يختار القاتل المتسلسل لحظة القتل استنادا إلى ثلاثة ركائز أساسيّة وهي: صفات الضحيّة (السمات الجسديّة، المهنة، الطبقة الاجتماعيّة، السنّ، النّوع...)، سياقات لحظة القتل (الزمان، المكان، أدوات الجريمة، منافذ الهروب من موقع الجريمة، وسائل طمس معالم الجريمة، تواجد الضحيّة في الزمان والمكان المحدّد...)، وثالثا بصمة وتوقيع القاتل (مسرحة وطقسنة عملية القتل، السيطرة على مكان القتل، أخذ تذكار من القاتل...)[85].

نستفيد من هذا التقديم أنّه يمكن الاعتماد أساسا على أربعة عناصر لتعريف القاتل المتسلسل:

أوّلا: طريقة القتل الخاصّة به (البصمة والتوقيع).

ثانيا: استهداف فئة اجتماعيّة معيّنة (أطفال، عواهر، ملوّنين...).

ثالثا: لا يتوقّف القاتل المتسلسل، إمّا يُقتل/يموت، أو يُقبض عليه.

رابعا: مسرحة وطقسنة عمليّة القتل.

نتساءل هنا: هل وُجد قاتل متسلسل للعاهرات والغرباء والأجانب في مدينة تونس في ستينات وسبعينات القرن 19؟

تعيش العاهرات حياة خاصّة ممّا يسهّل قتلهنّ مقارنة مع بقيّة الفئات الاجتماعيّة سواء نساء أو رجالا. أوّلا تُمثّل دُور البغاء مكانا كوزموبوليتانيّا حيث تشتمل على جنسيّات ولغات وثقافات عديدة ممّا يصعّب عمليّة التعرّف على كلّ الزائرين. كما تميّزت العاهرات في مدينة تونس بأصولهنّ الريفيّة[86]، وبل لم يكنّ يُعرّفن أنفسهنّ بأسمائهنّ الحقيقيّة سواء لتجنّب الملاحقات العدليّة في مدينة تونس وبالتالي عدم تمكّن السلطة من ارجاعهنّ لعروشهنّ، أو دحض كلّ أمكانيّة أن يتعرّف عليهنّ أحد معارفهنّ أو من يعرفّ عائلاتهنّ أو ينتمي للعروش التي قدمن منها. رسّخت نقطة الضعف هذه هشاشة المكانة الاجتماعيّة للعواهر، ممّا أسّس لتعدّد جرائم القتل مجهولة الجاني ضدهنّ، فلم يكن لهنّ أهل في مدينة تونس يتتبّعون القتلة أو يضغطون على مجلس الضبطيّة.

تُبرز لنا التقارير الأمنيّة حالات العنف اليوميّة التي يتعّرض لها العواهر، فقد اشتكت مثلا "مبروكه الجريديه وفاطمه الجلاصيّه بمحمود بن علي المهذّبي بأنه هدم عليهما بدارهما مخمورا وروّعهما بذلك. وحضر المدعى عليه وأقرّ بالدخول على وجه الهجوم وذكر أنّ الدار المذكورة مباحة للداخلين لكونها من ديار المتجاهرات"[87]. كما أنّه وُجد في خلال الفترة قيد الدرس رجال عُرفوا بكثرة تعدّيهم على النساء، بل واحترافهم ذلك "فقد حضر بالمجلس من ناب عن المرأة فاطمة بنت سليمان بن عبد القادر واشتكى بعلي بن التهامي المعاوي بأنها حين غاب زوجها حسين بن بلقاسم العسكري هجم عليها المدعى المذكور بدارها...فصاحت من ذلك فسلّ عليها سبوله وأراد غصبها من نفسها فزادت في العياط ففرّ هاربا وبيد النايب حجّة في اتّهام الرجل. *وأن حرفته الهجوم على النسوة وغصبهنّ من أنفسهنّ*"[88]. وتمدّنا وثائق أخرى معبّرة عن عنف مفرط تجاه العواهر، بل ذو أبعاد جنسيّة عبر استهداف أماكن متعدّدة في الجسد. ورد في أحد التقارير الأمنيّة أنّ "النفر أعلاه (الحاج محمد بن علي التواتي الغربي) أتى إلى دار المرأه خدّوجه بنت باكير الحنفي أحد العاهرات بزنقة سيدي أبي الحسن واستلّ عليها سبوله من حديد وضربها خمسة ضربات: الأولى على كفتها الأيمن والثانية على كفتها الأيسر والثالثة على أسفل بزّولها (ثديها) الأيمن والرابعة فوق

https://www.caminteresse.fr/sante/quest-ce-qui-se-cache-dans-la-tete-dun-tueur-en-serie-11144555/

[84] « Introduction au phénomène des tueurs en série », *The Art Of Crime*, 7 mars 2021 https://theartofcrime.ca/serial-killers/f/introduction-au-ph%C3%A9nom%C3%A8ne-des-tueurs-en-s%C3%A9rie

[85] Sylvia Bréger, Tueurs en série: modes opératoires et signatures criminelles, 27-09-2017, https://fr.linkedin.com/pulse/tueurs-en-s%C3%A9rie-modes-op%C3%A9ratoires-et-signatures-sylvia-br%C3%A9ger

[86] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 9- 32، و.73122. "تكاثر بالحاضره عدّة نسوة عواهر من عدّة عروش، فإن ظهر لعليّ جنابكم التعريف بأسمايهنّ ليتوجّهوا إلى عروشهنّ".

[87] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق 120، الملف 421، و.1220محرّم 1278/جويلية 1861

[88] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق 120، الملف 421، و.1184 28 محرّم 5/1278 جويلية 1861

فخـذها الأيمـن والخامسـة عـلى كلوتهـا مـن الجهـة اليسرـى وفـرّ هاربا...أما المرأة فإنها سقطت ميّتة من وقتها"[89].

يُعدّ جاك السفّاح Jack l'Éventreur أوّل قاتل متسلسل أثار ضجّة ونشر الرعب في الغرب، حيث قتل خمسة عواهر في أفقر أحياء مدينة لندن سنة 1888، ولم يُقبض عليه بتاتا، وتوقّف القتل فجأة لأسباب مجهولة. وقد حرص هذا القاتل على استخدام دائم للسكّين في كل جرائمه[90]. وقد حيّرت هويّة جاك السفّاح شرطة لندن والمؤرّخين وعلماء الجريمة فيما بعد، فهناك من قال أنّه توقّف عن القتل بسبب موته هو نفسه، أو قُبض عليه في قضيّة أخرى أو مرض، ووصل الأمر لبضعهم بالقول أنّه يشتغل شرطيّا في لندن وهذا ما سهّل عليه القتل والهرب والتملّص بعدها من الجريمة وإتقانه التخلّص من الأدلّة وخاصّة اطّلاعه على أطوار القضيّة وبالتالي معرفة كلّ ما يُخطّط له جهاز الشرطة للقبض عليه[91]. وحاجج أحد المؤرّخين، باعتماد على تحليل للحمض النووي واختبارات جينيّة، أنّه حلاّق ومهاجر بولنديّ يعيش في مدينة لندن وعمره 23 سنة وقت الأحداث واسمه Aaron Kosminski. وقد كان آرون معروفا لجهاز شرطة مدينة لندن لارتكابه جرائم أخرى خفيفة[92].

الذي يهمّنا في مسألة جاك السفّاح هي تشابهها بشدّة مع أحداث وقعت في مدينة تونس. نلاحظ أوّلا تشابها زمنيّا، بل الأحداث في مدينة تونس تسبق ما وقع في لندن. وتشابها على مستوى الفئات المستهدفة وطريقة القتل وعدم القبض على الجاني. ولا يمكن أن تكون كل هذه التفاصيل صدفة أو مجرّد حوادث قتل عابرة.

عُثر في مدينة تونس بداية من سنة 1860، أي تاريخ تأسيس الشرطة على عدد من العاهرات مقتولات ذبحا مع عدم القبض على القاتل أو القتلة. ورد في أحد التقارير الأمنيّة أنّه عُثر على "عاهرة" "ميّتة بفندق الوقيد خارج باب الجديد...فوجدوها ميتة ببيت الفندق والبيت مقفولة عليها، فعاينها الطبيب فوجدها مذبوحة"، وقد اتّهم في هذه النازلة رجل "غربيّ" مجهول الهويّة[93]. وورد في وثيقة أخرى أنّه "بلغني بعد غروب أمس التاريخ من ضابط عسّة الحجّامين بأنه أتوه زوج نسوة (عواهر) يسكنان بزنقة سيدي أبي الحسن وذكروا له بأنّ المرأة أعلاه (منّانه بنت أحمد التركي أحد العواهر بزنقة سيدي أبي الحسن) لها دارا بالزنقة المذكورة والآن يومان دارها مسكّرة وهي لم تظهر لهم. فأرسل البينباشي الضابط المذكور أحد الأعوان وصعد لسطح الدّار فوجد المرأة المذكورة بأحد بيوت الدّار ملقات على قفاها. فحين بلغنا أرسلت طبيب وعدول وفسيال لمعاينتها فوُجد تحت أذنها اليسرى جرحا بالغنا إلى حلقها وأجاب الطبيب أنّ سبب موتها من ذلك الجرح. كما أجاب أنّ مدّة موتها قريبا من يوم أو يومين...وأعلمنا بيت المال بها حيث لم يكن لها وارثا"[94]. وتضمّن تقرير أمنيّ آخر العثور على المرأة "حليمة بنت المهيري من حمام سوسة من العواهر، وجدوها مذبوحة بدارها بزنقة سيدي زهير...تأمّلها الطبيب فوجد بها أربعة أجراح بجنبها الأيمن كلها نافذين ووجدها مذبوحة من الأذن للأذن"[95]. ولم يُقبض في كلّ حوادث القتل على القاتل.

الوثيقة المثيرة للانتباه وهي الأهمّ هنا والدالّة على مسألة الشعائريّة وطقسنة لحظة القتل هي نازلة ذبح "عاهرة" وُجدّت الشبهة فيها إلى رجل أوروبيّ. ورد في الوثيقة: ""نازلة القريقي (اليوناني) ديميتري كراجس المتّهم بذبح المرأة إليزه بينتوا الطليانيّة...نفي سابقا من تونس...في بعض السرقات...لم يقبله أحد من القناصل"[96]، تسكن المرأة بسيدي عبد الله قش: "خلافا لعادتها عزمت في الليلة الفارطة على أن تسمح لرجلين بأن يباتا معها ومع رفيقتها المرأة ستيمه قرقاني الساكنة معها. فأتيا الرجلان المذكوران في الليلة المذكورة وهي لا تعرف إلاّ ذاتهما. فبات معها أحدهما وهو قريقي، وبعد أن فرغ من جميع مراده معها وقرب الصباح سألها هل تريد تنام، فأجابته نعم، فقبّلها وإذا بها شعرت به ذابحا

---

[89] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 23. عدد الوثيقة 73900 5 شوال 1292/4 نوفمبر 1875

[90] « Jack l'Éventreur: l'histoire du meurtrier sordide de Whitechapel », https://www.rtl.fr/actu/justice-faits-divers/jack-l-eventreur-l-histoire-du-meurtrier-sordide-de-whitechapel-7900132695 10- 03- 2022

[91] Morgane Irsuti, « Jack l'Éventreur était probablement un policier ». https://www.slate.fr/story/245696/jack-eventreur-policier-tueur-serie-identite. 5 mai 2023

[92] Jari Louhelainen- David Miller, «Forensic Investigation of a Shawl Linked to the "Jack the Ripper" Murders», *Journal of Forensic Sciences*, Volume65, Issue1 January 2020 Pages 295-303

[93] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 22. عدد الوثيقة 73629 ربيع الثاني 1290/ جوان 1873

[94] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9-30. عدد الوثيقة 73727 3 ذي الحجّة 22/1290 جانفي 1874

[95] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9-30. عدد الوثيقة 74130 صفر 1298/جانفي 1881

[96] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة: صندوق 219 مكرّر/ ملف 337 مكرّر/ ملف فرعي: 7/3، وثيقة عدد 43 5 ديسمبر 1871



إيّاها بموسى"[97]. لم تتمكّن الشرطة من القبض على هذا الرجل ولم يتعثر على دليل واضح تجاهه ولم يتوفّر عندها إلا مجرّد شبهات.

نلاحظ من خلال هذا الوثائق استهداف فئة اجتماعيّة معيّنة وهي العواهر، أكثر من ثلاثة وهذا المتّفق عليه في علم الجريمة لتعريف الظاهرة بكونها قتلا متسلسلا، مع استخدام نفس طريقة القتل وهي الذّبح. وهذا أمر مهمّ في القتلة المتسلسلين المعروف بالبصمة والتوقيع. إلى جانب عجز مجلس الضبطيّة على الإيقاع بالقاتل/القتلة، كما حسمت الوثيقة الأخيرة المسألة بتوفير الركيزة الأخيرة التي يشتركها علم الجريمة لتعريف الظاهرة باعتبارها قتلا متسلسلا وهو الشعائريّة والطقسنة قبل القتل. فقد كان يمكن للقاتل أن يقتل الضحيّة بدون أن يقبّلها أو يسألها عن نومها. بدون إغفال التقارب الزمني للحوادث القتل وهي ما بين سنتي 1871 و1881، أي عشرة سنوات.

المثير هنا اشتمال تقارير مجلس الضبطيّة على أكثر من 27 عمليّة قتل أُستخدم فيها الذّبح بين سنتي 1860 و1881، والمهمّ أنّ أغلب جرائم القتل المُستخدم فيها الذبح هي تجاه أناس "غرباء" وهي جرائم قتل مجهولة الجاني[98]. يتشابه في هذا السياق الغريب مع المرأة "العاهرة" من عدّة نواحي، أولا مجهوليّة النسب، وثانيا ارتيادهم لأماكن خطيرة بسبب صعوبة حياتهم اليوميّة وبحثهم عن مورد عيش (خارج المدينة، الحانات، دُور البغاء، الوكالات والفنادق رخيصة الثّمن...). ومن الوثائق التي أوردتها تقارير الضبطيّة حول قتل الغرباء ذبحا من طرف مجهولين نجد: "شيخ شطرانه...وجد انسان عربيّ قتيلا ملقى تحت زيتونة...وهو مذبوح ودمه جاف وبدنه ضربات بحبّ الرصاص" والقتيل المذكور "مجهول" وقاتله أيضا[99]. ووردت معلومات لمجلس الضبطيّة عن وجود انسان "وُجد قتيلا خارج الباب المذكور (باب العلوج) على الطريق قرب سيدي أحمد سقّا...رجل مذبوح...ولم يعرفه أحد من الحاضرين فحُمل للمارستان ليُجهّز على عادة الغرباء"، ولم يُعرف قاتله[100]. وعلم المجلس أيضا أنّ رجلا مجهولا وُجد "مُلقى ميّتا بعقبة سيدي علي الحطّاب...سبب موته من الذّبح والدّود ينهمر منه ولم يعرفه أحد" ولم يُعرف قاتله[101]. ووُجد رجل مجهول الهويّة مذبوحا بمسلخ باب حومة العلوج، ولم يُعرف أيضا قاتله[102]. كما عُثر على محمد بن علي الجربي ميّتا مذبوحا قرب برج الجلاّز خارج مدينة تونس "وعنقه" مقطوع وبقي قاتله مجهولا[103].

نلاحظ أنّ جرائم القتل مجهولة الجاني المُستخدم فيها الذّبح وُجّهت عادة ضدّ "الغرباء"، ومن عُرف من الضحايا كانوا عادة أجانب (زواوة، غربي). وهذا ما يؤكّد عدم استهدافا للفئات الهشّة في مجتمع مدينة تونس خلال الفترة قيد الدرس، إمّا عواهر أو غرباء أو أجانب، والمثير هنا استخدام وسيلة واحدة للقتل وهي الذّبح مع نجاح الجاني أو الجناة في الفرار وعدم ترك دليل ضدّه.

كما عُثر على عدد من الضحايا معروفي الهويّة قُتلوا ذبحا، مع عدم معرفة قاتلهم، فقد عثر مجلس الضبطيّة على "وصيفا جزيريّ فرانسيس كان فقدون أبناء عمّه منذ سبعة عشر يوما فارطه عن التاريخ وبقوا يبحثون عنه إلى أن وجدوه أمس التاريخ قتيلا بوسط بير بأرض اليهوديّه مضروب على رأسه بضربتين وضربة على بطنه وذُبح" ورُمي في بئر، ولم يُعرف قاتله[104]. ووُجد محمد بن مخلوف الجنادي الزواوي "مذبوحا وهو ميّت لا روح فيه بهنشير أولاد كعوانة" وبقي قاتله مجهولا[105].

علما أنّ التقارير الأمنيّة احتوت على عمليّات ذبح عديدة من قبل قاتلين مجهولين لم يُقبض عليهم خلال نفس الفترة التاريخيّة، بل والأهمّ أنّ الجثث نفسها مجهولة الهويّة سواء على مستوى النوع (أنثى أو ذكر) أو السنّ والدّين، حيث سعى القاتل إلى إخفاء معالم الجريمة عبر تشويه الجثّة وخفاءها والسّعي إلى تسريع

---

[97] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة: صندوق 219 مكرّر/ ملف 337 مكرّر/ ملف فرعي: 3/7، وثيقة عدد 44 5 ديسمبر 1871

[98] محمّد البشير رازقي، **الجريمة زمن الأزمة: جهاز شرطة مدينة تونس وجرائم القتل 1860–1881**، دار المسيرة، تونس، 2023

[99] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 18. عدد الوثيقة 72677 7 ربيع الثاني 17/1286 جويلية 1869

[100] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 18. عدد الوثيقة 72603 3 شعبان 30/1284 نوفمبر 1867

[101] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 22. عدد الوثيقة 73673 8 جمادى الثاني 3/1290 أوت 1873

[102] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 24. عدد الوثيقة 74030 16 محرّم 20/1295 جانفي 1878

[103] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 24. عدد الوثيقة 74108 14 ذي الحجة 29/1296 نوفمبر 1879

[104] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 28. عدد الوثيقة 74188 6 شعبان 17/1277 فيفري 1861. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 25، وثيقة 74188 6 شعبان 17/1277 فيفري 1861

[105] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 17. عدد الوثيقة 72489 19 ذي الحجة 24/1283 أفريل 1867

تعقّنها. ورد مثلا في أحد تقارير الضبطيّة أنّه "بعد زوال يوم التاريخ بلغني أنّ نفر ملقى ميّتا بعقبة سيدي الحطّاب فأرسلت طبيب وعدول وفسيال لمعاينته فعاينه الطبيب فوجد سبب موته من الذبح والدّود ينهمر منه، ولم يعرفه أحد، وبمقتضاه أعلمت جنابكم وقد دفنّاه هناك من سبب الدّود الخارج منه وكلّفنا من يبحث عن الفاعل بذلك"[106].

يتبيّن لنا إذا أنّ الفئات الهشّة في مدينة تونس سواء عواهر أو غرباء أو أجانب تعرّضوا للقتل بطريقة متشابهة (الذّبح)، وعادة لا يُعرف قاتلهم. تتشابه هذه النماذج مع نوازل قتل العاهرات التي سبق أن تعرّضنا لها في التقارب الزمني لحوادث القتل، بخلاف حادثة قتل واحدة (17 فيفري 1861)، نُفّذت كل حوادث القتل بين سنتي 1867 وسنة 1879، أي اثنتي عشرة سنة.

الخاتمة

طرحنا في بداية هذا البحث فرضيّة أساسيّة وهي "تواجد قاتل متسلسل/قتلة متسلسلين في مدينة تونس استهدفوا الفئات الهشّة في المجتمع التونسي في تلك الفترة وهم أساسا البغايا والغرباء وبصفة أقلّ الفقراء الأوروبيين". وقد حاولنا إثبات هذه الفرضيّة سواء من خلال التقارير الأمنيّة المُحرّرة خلال الفترة قيد الدرس، أو عبر مقارنة تعريف علم الجريمة لمفهوم القاتل المتسلسل، وخاصّة من خلال دراسة حالات أساسيّة ومؤسّسة ومركزيّة لهذه الظاهرة وقعت في الغرب وأسّست لمفهوم القتل المتسلسل. وتبيّن لنا تشابه غريب بين قتل العواهر و"الغرباء" وبدرجة أقل الأجانب في مدينة تونس سواء من ناحية طريقة القتل، أو الزمان وخاصّة عدم القبض على القاتل، مع ما حصل بعد ذلك زمنيّا في إنجلترا ثمّ أمريكا.

اعتمد التعريف الكلاسيكي للقتل المتسلسل على ركائز أساسيّة، إلى جانب أخرى فرعيّة، وهي: وقوع ثلاثة جرائم أو أكثر متشابهة في أزمنة مختلفة، استخدام نفس طريقة القتل، استهداف فئة اجتماعيّة معيّنة، لا يتوقّف القاتل المتسلسل إما يُقبض عليه أو يموت، وأخيرا الشعائريّة والطقسنة التي يمارسها القاتل قُبيل وبُعيد القتل.

توفّرت كلّ هذه المرتكزات في المدوّنة المصدريّة التي اعتمدنا عليها، بل والمثير هو تشابه بين شخصيّة جاك السفّاح وطريقة قتله والفئة الاجتماعيّة التي استهدفها، وعدم تعرّف شرطة عليه مع ما وقع في مدينة تونس في فترة سابقة عن زمن جاك السفّاح نفسه. فعندما نقول أنّه ليس لدينا دليل تصريحيّ على وجود قاتل متسلسل في مدينة تونس في ستينات وسبعينات القرن 19، فلا يمكن لنا أيضا ابستيمولوجيا أن نقول عن جاك سفّاح أنّه قاتل متسلسل. أوّلا لأنه لم يعترف بذلك ببساطة لأنه لم يقبض عليه، وثانيا وهذا الأهمّ لأنّ حوادث جاك السفّاح وقعت في لندن عاصمة ورشة العالم والامبراطوريّة الحاكمة حينها، وهذا ما سهّل لهم التنظير لهذه الظاهرة الجديدة وتقعيدها ومأسستها وتعريفها استنادا لما وقع في لندن بدون الاهتمام بما وقع في أجزاء أخرى من العالم مع توفّر تفاصيل شبه متطابقة مع قضية جاك السفّاح بل وسابقة عنها زمنيّا.

لا يمكن لنا إذا على المستوى العلمي أن نقول أنّه لم يوجد في مدينة تونس قاتل متسلسل سبق وجوده وجود جاك السفّاح نفسه، فنفي وجود هذا القاتل/القتلة المتسلسلين في مدينة تونس يعني ضمنيّا وابستيمولجيّا نفي وجود شخصيّة جاك السفّاح كقاتل متسلسل، وهذا ما لا يسمح به تقليد عريق جدّا اعتمد عليه بطريقة حيويّة ومؤسّسة علم الجريمة Criminology. الأهمّ هنا أن الوثائق التي اعتمدنا عليها أبرزت لنا نمطا بيّنا وصريحا وهي ارتباط جرائم القتل مجهولة الجاني بفئات محدّدة (بغايا وغرباء ساسا) مع تقارب زمني مثير للانتباه (تقريبا 1867- 1881) مع اعتماد حصريّ على الذبح. مع توفّر وثيقة مركزيّة قدّمناها في البحث وهي وجود قاتل، لم يقبض عليه، مسرح عمليّة القتل قبل تنفيذها وفراره. إذا باعتمادنا على التعريف الغربي لمفهوم القاتل المتسلسل فإنّنا نستنتج أنّه وُجد في مدينة تونس خلال الفترة قيد الدّرس قاتل متسلسل على الأقلّ، اعتمد نمطه على الذّبح، ونحدّد ذروة نشاطه الأساسيّة من أواخر ستينات القرن 19 إلى حدود سنة 1881، مع استهدافه أساسا للعواهر والغرباء بسبب هشاشة مكانتهم الاجتماعيّة حينها وسهولة اصطيادهم والاعتداء عليهم وسهولة الهرب من مسرح الجريمة بعدها.

---

[106] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، صندوق 55، ملف 602، ملف فرعي 22، وثيقة 73673 8 جمادى الثانية 3/1290 أوت 1873

المصادر والمراجع:

1. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخيّة: صندوق 219 مكرّر/ ملف 337 مكرّر/ ملف فرعي: 7/3.
2. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق 120، الملف 421، و1220.(محرّم 1278/جويلية 1861)
3. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق 120، الملف 421، و1184 (28 محرم 5/1278 جويلية 1861)
4. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية، الصندوق 55، الملف 602، الملف الفرعي 9- 32
5. الأرشيف الوطني التونسي، الكتاب 450
6. الأرشيف الوطني التونسي، دفتر عدد 2695 (28 ربيع الأوّل 1278/ القيروان). نازلة عدد 124 (3 أكتوبر 1861)
7. إيميل دوركايم، **الإنتحار**، ترجمة: حسن عودة، الهيئة العامّة السوريّة للكتاب، دمشق، 2011.
8. جمال بن طاهر، الفساد وردعه، جامعة منّوبة، تونس، 1995.
9. عبد الواحد المكني، "المدينة والغرباء في العهد العثماني: مثال صفاقس في القرن التاسع عشر"، ضمن: **أعمال المؤتمر العالمي الخامس للدراسات العثمانية حول: المدن العربية والديمغرافية التاريخية والبحر الأحمر خلال العهد العثماني**، تقديم: عبد الجليل التميمي، سيرمدي، زغوان، 1994، صص337- 352
10. كريس ماكناب، **القتلة المتسلسلون: القتلة- الضحايا- مسارح الجريمة- الاعتقالات- الإدانات**، ترجمة: حنان كسروان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2014.
11. محمد البشير رازقي، **الجريمة زمن الأزمة: جهاز شرطة مدينة تونس وجرائم القتل (1860- 1881)**، دار المسيرة، تونس، 2023

12. Abdelhamid Largueche,Les Ombres de la ville: pauvres, marginaux et minoritaires à Tunis: 18ème et 19ème siècles., C.P.U, Tunis, 1999
13. Eric Boxler, *L'encyclopédie des tueurs en série*, Tome 1, Edilivre, Paris, 2014
14. Farcy, Jean-Claude, « Les sources sérielles de l'étude des victimes en histoire contemporaine », p. 95-112 dans Garnot, Benoît (dir.), *Les victimes, des oubliées de l'histoire ? Actes du colloque de Dijon*, 7- 8 octobre 1999, Rennes, PUR, 2000
14. Habib Jamoussi, ***Juifs et chrétiens en Tunisie au 19e s****: essai d'une étude socio-culturelle des communautés non-musulmanes, 1815-1881*, Amal éditions, p.148
15. Jari Louhelainen- David Miller, «Forensic Investigation of a Shawl Linked to the "Jack the Ripper" Murders», *Journal of Forensic Sciences*, Volume65, Issue1 January 2020, pp. 295-303
16. Jean Ganiage, « La population de la Tunisie vers 1860. Essai d'évaluation d'après les registres fiscaux », *Population*, 1966, 21-5, pp. 857-886, p.865
17. Kathy Callahan, «Women Who Kill: An Analysis of Cases in Late Eighteenth- and Early Nineteenth-Century London», *Journal of Social History*, Oxford University Press, Vol. 46, No. 4 (Summer 2013), pp. 1013-1038
18. L H, « De quelques caractéristiques démographiques de la population européenne de Tunis au milieu du 19e siècle », *Population*, 1960, 15-5 pp. 885-888, p.885
19. Laurie Henry, « Pourquoi les tueurs en série sont-ils majoritairement des hommes ? »,16 octobre 2022, (https://trustmyscience.com/pourquoi-les-tueurs-en-serie-sont-ils-majoritairement-des-hommes/)
20. Morgane Irsuti, « Jack l'Éventreur était probablement un policier ». (https://www.slate.fr-/story/245696-/jack-eventreur-policier-tueur-serie-identite). 5 mai 2023
21. R M Holmes; J DeBurger, *Serial Murder*, Studies in Crime, Law and Justice, Vol. 2. Beverly Hills, CA: Sage, 1988
22. Robert Hare (Univeristé de Radford), « Qu'est-ce qui se cache dans la tête d'un tueur en série ? ». (https://www.caminteresse.fr/sante/quest-ce-qui-se-cache-dans-la-tete-dun-tueur-en-serie-11144555/)
23. Ronald M. Holmes, James De Burger & Stephen T. Holmes, "Inside the mind of the serial murder" ,*American Journal of Criminal Justice*, volume 13, 1988, pp.1–9
24. Senninger, J. L., Hiegel, E., & Kahn, J. P. "Le tueur en série », *Annales Médico-psychologiques*, revue







27. Violence, culture et société. Pourquoi tant de « tueurs en série » aux Etats-Unis ?, Le Monde diplomatique, Août 1994, pages 26 et 27 (https://www.monde-diplomatique.fr/1994/08/DUCLOS/7390)
28. Wendy C. Regoeczi and Marc Riedel, "The Application of Missing Data Estimation Models to the Problem of Unknown Victim/Offender Relationships in Homicide Cases", *Journal of Quantitative Criminology*, Vol. 19, No. 2 (June 2003), pp. 155-183

psychiatrique, (2004, October). (Vol. 162, No. 8, pp. 634-644). Elsevier Masson.

25. Sylvia Bréger, Tueurs en série : modes opératoires et signatures criminelles, 27- 09- 2017, (https://fr.linkedin.com/pulse/tueurs-en-s%C3%A9rie-modes-op%C3%A9ratoires-et-signatures-sylvia-br%C3%A9ger)
26. Sylvie Frigon, *L'homicide conjugal au féminin, d'hier à aujourd'hui*, Éditions du remue-ménage, Montréal, 2003, (Introduction)

المذهب المالكي في الأندلس، جدل التّاريخ والسّياسة

عاطف عبد السّتّار

باحث في التّراث الإسلامي من تونس

المقدّمة:

لم يعد يخفى على الكثيرين اليوم مقدار ما يشكو منه التّاريخ الإسلامي من نقص كبير على مستوى الدّراسة والتّحليل والشّرح لمختلف القضايا والمعطيات التاريخيّة المحوريّة، بالنّظر إلى إنتاجات الأمم الأخرى، فقد خُصّصت للصّين مثلا آلاف الكتب وهي أكثر عددا وأكثر أهميّة من تلك الّتي خُصّصت لحضارة الإسلام،[1] أو بالنّظر إلى ما طرأ على هذا المجال الممتدّ من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا من تحوّلات جذريّة هزّت كيانه وعكّرت صفوه منذ القرن الأوّل الهجري. حيث تهاوت فيه المنظومات الفكريّة والفلسفيّة والعقائديّة، وحلّ العامل القومي محلّ مفهوم الأمّة،[2] ثمّ حلّ الصّراع المذهبي في المرحلة الثّانية من هذا القرن محلّ العامل القومي، وأضحى المسلم لا يبصر إلا تفرّدية إسلامه وما استنسخ منها.

وليس أدلّ على ذلك من هذا البون الشّاسع بين فتراته وهذه التقلّبات المُتكرّرة الّتي شهدها، أساسا تلك الّتي تعاقبت على بلاد المغرب إبّان الفتح الإسلامي، أي خلال ما اصطلح على تسميته بالعصور الوسطى. وقد زاد جدال أتباع أئمّة المذاهب وأشياعهم في توسيع دائرة هذا الصّراع منذ منتصف القرن الثالث الهجري، وانقسمت الأمّة إلى أحناف ومالكيّة، وشافعيّة، وحنابلة، وخوارج، وجهميّة، ومعتزلة، وأشاعرة وشيعة.. حتّى برزت على السّاحة دول ذات صبغة مذهبيّة صارخة ومنهج عقدي وتعبّدي جدّ متباين.

كما أظهرت الأحداث الكبرى فاعليّة حركة التّمذهب ودورها في صناعة التّاريخ وتوجيه مساراته في أغلب الفترات، لاسيما وأنّ هذه الحركة الّتي ارتكزت على ثنائيّة الدّيني والسّياسي أخذت في كثير من الأحيان شكل صراع عنيف بين القوميّات والطّوائف والكيانات السياسيّة، الأمر الّذي جعل الاهتمام بهذه الظّاهرة محكوما في الغالب بردود أفعال دينيّة وسياسيّة هي أبعد من أن تقود إلى تحصيل معرفة موضوعيّة بها.

وإذا كانت الغالبيّة من الباحثين المشارقة قليلي الاعتناء برصد تطوّر الفكر بالمغرب الإسلامي، فاكتفوا بتسجيل ما ينوب المشرق دون الانتباه إلى قيمة التّجربة المغاربيّة وخصوصيّتها داخل الفكر الإسلامي إلاّ لماما، فإنّ على عاتق الباحث المغاربي اليوم تقع مسؤوليّة سدّ ذلك الإغفال الّذي وقع فيه أغلبهم، حيث أصبح الموقف يتطلّب توفير نوع من التراكم المعرفي الّذي من شأنه أن يسمح في الأخير بإعادة قراءة وتفسير هذا التّراث الغزير وتأويله وتحديد مساره الطّويل والمتعثّر وفق أسس علميّة محايدة...

1- عوامل وحدة الأندلس:

إنّ المتأمّل في واقع المسلمين في أقصى بلاد المغرب يُلاحظ أنّ مخاطر التّمزيق والتّشتيت ما فتئت تهدّد جماعة المسلمين ودولتهم بشكل متناوب، هناك في الأندلس المقسّمة إلى دارين **"دار الإسلام ودار الكفر أو الحرب، وكان هذا التّجاور بين دارين مختلفي العقيدة يفرض على المسلمين من جهة حالة الاستنفار دائما لمواجهة عدوّهم الصّليبي الرّابض في الشّمال يتحيّن الفرص للانقضاض عليهم،**

---

[1] Hicham Djait, *La crise de la Culture Islamique*, Cérès Editions, Tunis, 2005, p 68.

[2] هنالك علاقة جدليّة عميقة وغامضة في واقع الأمر بين المعنى الدّيني والمعنى الاجتماعي التّاريخي لمصطلح "الأمّة" في التّكوين النّفسي الثقافي الّذي تحمله المجتمعات العربيّة من تاريخها القديم والحديث، فالمعنيان يتداخلان حتّى أنّ ما يفتقر إليه المعنى الدّيني من تجاوب وتطابق في الواقع القائم يوفّره بشكل ما المعنى الاجتماعي التّاريخي بصفة صريحة أو ضمنيّة، والعكس صحيح. ولقد اعتبرت الدّراسات الغربيّة أنّ الأمّة تأتي حصيلة تفاعل نوعين من العوامل، الأولى موضوعيّة مثل اللّغة والتّاريخ والجنس الواحد والإقليم الواحد والعادات والتّقاليد الواحدة، والثقافة الواحدة... والثّانية، عوامل ذاتيّة، كوعي الأفراد بأنّ لهم شخصيّة متميّزة ومنفصلة تدفعهم إلى التّعبير التّنظيمي عن هذه الشّخصيّة المتميّزة **موسوعة العلوم السياسيّة**، إصدار جامعة الكويت، مادّة 257 ص405. وقد حدّد عبد القاهر البغدادي صاحب كتاب "الفرق بين الفرق" مفهوم الأمّة على النّحو التّالي **"تجمع المقرّين بحدوث العالم وتوحيد صانعه وصفاته وعدله وحكمته ونفي التّشبيه عنه، وبنبوّة محمّد...ورسالته إلى الكافّة، وبتأييد شريعته وبأنّ كلّ ما جاء به حقّ وبأنّ القرآن منبع أحكام الشّريعة وأنّ الكعبة هي القبلة الّتي تجب الصّلاة إليها..."**، فضلا عن القول **"بوجوب الزّكاة وبصوم رمضان وبالحجّ إلى البيت"**. البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر، **الفرق بين الفرق**، علّق عليه الشّيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، لبنان، ط2 1997، ص ص 18- 211 وما بعدها.



وغالبا ما كانت حالات الاستنفار تتحوّل إلى غزوات بالصّوائف والشّواتي".[3]

وقد عمّق هذا الوضع الوعي لدى الحكّام بوجوب توحيد الكلمة والصفّ لمجابهة الأخطار المهدّدة لوحدة البلاد السياسيّة، أساسا أمراء وخلفاء البيت المرواني وحجّاب العائلة العامريّة، ثمّ أمراء المرابطين وخلفاء الموحّدين من بعدهم، والّتي عاشت الأندلس في زمنهم مُهابة مشمولة بوحدة سياسيّة وعسكريّة متماسكة حول إمام واحد يُقيم في حضرة كانت في نظره ونظر الخاصّة والعامّة من أبناء الجزيرة عربا ومستعربين ومسلمين وغير مسلمين مركز الرّاية، وقبّة الإسلام وحضرة الإمام كما ذكر المقري في وصف قرطبة.[4]

وحرص أمراء بنو أميّة منذ البداية على توحيد الرعيّة في إطار منظومة فقهيّة شاملة جامعة يُرسون عليها ركائز الوحدة السياسيّة للبلاد، ورأوا في مذهب عالم دار الهجرة ما يُحقّق لهم ذلك[5] ويكفيهم فسارعوا إلى فرضه والتّمكين له منذ أن قامت دولتهم بالأندلس على يد عبد الرّحمان الدّاخل سنة 138هـ، وهو ما يبدو واضحا من كلام المقري نقلا عن ابن حزم **"مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرّئاسة والسّلطان، مذهب أبي حنيفة.. ومذهب مالك عندنا بالأندلس".**[6] وقال في موضع آخر **"وكان هشام (بن عبد الرّحمان 172/180هـ) يذهب بسيرته مذهب عمر بن عبد العزيز، وكان يبعث بقوم من ثقاته إلى الكور فيسألون النّاس عن سير عمّاله يُخبرونه بحقائقها، فإذا انتهى إليه حيف من أحدهم أوقع به وأسقطه، وأنصف منه ولم يستعمله بعد".**[7]

يقول صاحب الإستقصا "ورأيت في بعض التآليف في سبب ظهور مذهب مالك بالأندلس والمغرب أنّ حجّاج المغرب والأندلس قدموا على مالك رضي الله عنه بالمدينة فسألهم عن سيرة عبد الرّحمان بن معاوية المعروف بالدّاخل فقيل له، إنّه يأكل الشّعير ويلبس الصّوف ويُجاهد في سبيل الله، فقال مالك: ليت الله زيّن حرمنا بمثله.. وبلغت مقالته صاحب الأندلس فسُرّ بها، وجمع النّاس على مذهبه فانتشر في أقطار المغرب من يومئذ، والله أعلم".[8]

وفي عصره (أي هشام بن عبد الرّحمان) جُعلت اللّغة العربية هي اللّغة الرّسميّة في التّعليم حتّى في معاهد النّصارى واليهود، وكان لهذا الإجراء أثره البالغ في توحيد مختلف الأجناس المكوّنة للمجتمع الأندلسي، وبثّ روح التّفاهم بينهم، وتذويب الفروقات بين أبناء المجتمع الواحد،[9] يقول الأستاذ محمّد عنان أيضا في نفس السّياق **"وفي عصره اتّخذت السّياسة الأمويّة إجراء يشهد ببعد نظرها، إذ جعلت العربية لغة التّدريس في معاهد النّصارى واليهود، وكان لذلك الإجراء بالرّغم من بساطته، أثر عميق في التّقريب بين أصحاب المذاهب المختلفة وفي بثّ روح التّفاهم والوئام بينها، ولا سيما بين المسلمين والنّصارى، وكان من أثره أيضا أنّ أكثر اعتناق النّصارى الإسلام بعد أن وقفوا على أصوله وتفاصيله".**[10]

وثبت عن اسحاق ابن ابراهيم تمجيده للخليفة الأموي الحكم بقوله "فلقد رأيت النّاس أبقى الله أمير المؤمنين سيدي يتلاقون بالتّهاني بما أطلعهم الله عزّ وجلّ من باطن أمير المؤمنين إمامهم في الغضب لله عزّ وجلّ ولكتابه العزيز ولرسوله ﷺ ، وللسّلف الصّالح من صحابته - رضي الله عنهم - ولشدّة بطشه وعزمه في الانتقام ممّن طعن في الدّين بما عظم به سروري لأمير المؤمنين، سيدي ولجماعة المسلمين. لعلمي أنّها سيتزوّدها الرّكبان إلى جميع أمصار المسلمين، وبلدانهم على أفضل ما قد اطّلع الله عليه أمير المؤمنين من نيّته واجتهاده ممّا لو أنّه رام أن يجمع قلوبهم بقوّة سلطانه على ما اجتمعت له عليه من ذاتها لما بلغته طاقته..".[11]

---

[3] حسن عبد الكريم الوراكلي، **التّراث الأندلسي ومسألة الوحدة**، ضمن ندوة "الأندلس قرون من التقلّبات والعطاءات"، نفسه، ص 59.

[4] المقري، **نفح الطّيب**، نفسه، ج2، ص 87.

[5] المقدسي أبو عبد الله محمّد بن أحمد، ت 380هـ/990م، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، مطبعة بريل، ط2، 1967، ص 237.

[6] المقري، نفسه، ج2، ص 10.

[7] نفسه، ج1، ص 223.

[8] النّاصري أبو العبّاس أحمد بن خالد السّلاوي، ت 1279هـ/1863م، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق جعفر النّاصري، محمّد النّاصري، الدّار البيضاء، 1954، ج1، ص 139.

[9] مصطفى الهروس، **المدرسة المالكيّة الأندلسيّة إلى نهاية القرن الثّالث الهجري، نشأة وخصائص**، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، المملكة المغربيّة، 1997، ص 43.

[10] محمّد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1960، ج1، ص 229.

[11] ابن سهل الأندلسي، أبو الأصبغ عيسى، **ثلاثة وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس**، مستخرجة في مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي

غير أنّ الفتنة الخانقة الّتي انفجرت بقرطبة على رأس المائة الرّابعة والّتي تسبّب فيها حسب ابن حيّان إلى جانب أمراء الطّوائف وفقهائهم، جماعة البرابرة العدويين الّذين **"قاموا على الجماعة وشغبوا عليها"** حتّى انتهت بإبطال الخلافة و**"تفريق البلاد وتملّك أصحاب الطّوائف"**، لتسقط الأندلس فريسة الفرقة والتمزّق حين استولى ملوك الطّوائف على أمرها وتوزّعوا ولاياتها، وهذا ربّما ما جعل بعض المؤرّخين والفقهاء الأندلسيين الّذين شهدوا تصدّع الوحدة أو عاينوا ما ترتّب عن ذلك من آثار سلبيّة على جميع النّواحي، يودعون في مصنّفاتهم في التّاريخ والسّياسة خطرات ووجهات نظر تكشف جميعها مدى تعلّقهم بالوحدة وتشبّثهم بالجماعة ونفورهم من كلّ أشكال الفرقة.

ولعلّ أهمّ من يُمثّل هذا التيّار الفقيه ابن حزم الظّاهري الأندلسي، الّذي عالج موضوع الإمامة وفرضيّة الخلافة ووجوب تعيين إمام الجماعة الإسلاميّة تأتلف برهبته **"الأهواء المختلفة، وتجتمع بهيبته القلوب المتفرّغة، وتكتف بسطوته الأيدي المتغالبة، وتنقمع من خوفه النّفوس المعاندة"**، كما أكّد على أنّ أمور المسلمين إنّما تتمّ وتصلح بـ **"الإسناد إلى واحد"**،[12] وأنّه **"لا يجوز أن يكون على المسلمين في وقت واحد في جميع الدّنيا إمامان لا متّفقان ولا مفترقان ولا في مكانين ولا في مكان واحد"**.[13] وقد أشاد ابن حزم بدور الأمراء والخلفاء الأمويين في جمع شمل الأندلسيين ومدى قدرتهم على تكوين وحدة سياسيّة قويّة تُرهب الأعداء والمناوئين، وبلغ به الإعجاب بهم وبأحقّيتهم في الخلافة إلى درجة حصر "القرشيّة" وهي أهمّ شروط الخلافة في بني أميّة.[14]

وشهد ابن حيّان على غرار ابن حزم ما ترتّب عن انقطاع دولة الجماعة من أرض الأندلس من آثار سيّئة، لذلك وجدناه على نحو ما يُلحّ على ضرورة مبايعة الجماعة الإسلاميّة لإمام يُدبّر شؤونها ويسوس أمورها مشترطا فيه صفتين وهما "القرشيّة" و"السنيّة"، وهو يرى توفّرها في عبد الرّحمان النّاصر، فهو **"ابن أمراء المؤمنين، وسلالة الهداة الفاضلين، والأئمّة المتّقين، القائمين بالحقّ، السّالكين سبيل الرّشد"**،[15] فلم **"تبق أمّة سمعت به من ملوك الرّوم والفرنجة والمجوس وسائر الأمم إلّا وفدت عليه خاضعة راغبة وانصرفت عنه راضية"**.[16]

كما أشاد الأندلسيّون بدور الأمراء المرابطين في إنقاذ الجزيرة من خطر الممالك النّصرانيّة الدّاهم، وتخليصها من الحكم الطّائفي وإعادة الوحدة السياسيّة لدولة الإسلام بها، **"وقد كان الأندلسيّون واعين تمام الوعي بأنّ المؤمنين إخوة وأنّ المسلمين لحمة"**[17] حيثما كانوا **لا** سيما في هذه الجزيرة المقتطعة من بلاد النّصارى فلمّا **"رأوا المرابطين وقد ملكوا مغرب العدوة، رجوا الفرج من تلقائهم"**،[18] ورأى فيهم مؤرّخوهم وعلماؤهم طائفة قائمة على الحقّ **"شديدة الاعتزام مجاهدة من زاغ عن الشّريعة"** كما قال ابن الخطيب، التفّ حولهم الأندلسيّون نفورا من حكّام الفرقة والطّائفيّة، وتنحيتهم لتحقيق **"الاتّحاد مع المغرب في ظلّ المرابطين"**.[19]

فكُلّلت جهود المرابطين بالنّجاح عندما وُحّدت بلاد المغرب والأندلس سياسيّا وعسكريّا، وعُقد لهم لواء النّصر بفضل قائد عظيم أظهرته الحوادث وساقته المقادير ليُمسك مقاليد الدّولة في وقت عصيب، ألا وهو يوسف ابن تاشفين الّذي وحّد البلاد ونجح في إرساء دعائم إمبراطوريّة شاسعة وفرض إصلاحات دينيّة وعمد إلى مهادنة القبائل المغلوبة على أمرها، فكان يستدعي زعمائها فيبرّهم ويُكرم وفادتهم، ويجزل عطاءهم، ويتألّف قلوبهم،

ابن سهل، دراسة وتحقيق، محمّد عبد الوهّاب خلاف، المركز العربي الدّولي للأعلام، القاهرة، ط1، 1981، ص 30- 31.

[12] ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنّحل**، مكتبة المثنّى بغداد، د.ت، ج4، ص 87.

[13] ابن حزم، **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**، مكتبة القدس، القاهرة، 1936، ص 124.

[14] حسن عبد الكريم الوراكلي، **التّراث الأندلسي ومسألة الوحدة**، نفسه، ص 62.

[15] حيّان بن خلف بن حيّان، **كتاب المقتبس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق عبد الرّحمان حجّي، دار الثّقافة، بيروت، 1965، ج5، ص 241.

[16] المقري، **نفح الطّيب**، نفسه، ج1، ص 366.

[17] ابن بسّام أبو الحسن علي الشّنتريني، **الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الثّقافة، بيروت، 1979، ق3، ج1، ص 173.

[18] عبد الملك ابن الكردبوس، **تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط**، تحقيق أحمد مختار العيادي، نشر معهد الدّراسات الإسلاميّة، مدريد، 1971، ص 85.

[19] محمّد عبد الله عنان، **دولة المرابطين في المغرب والأندلس**، نفسه، ص 67.

فيلتقّون حوله ويُبايعونه،[20] فاستطاع أن يُطفئ نار الفتنة وأن ينشر السّلام في المغرب،[21] ويُقرّ الطّمأنينة في ربوعه، **"كانت البلاد تنقاد بحكمه والمنابر تكاد تهلّ باسمه".**[22]

وعلى هذا النّحو تقريبا صار الخلفاء الموحّدون في سبيل توحيد البلاد وجمع العباد على ما يُصلح حال دنياهم وآخرتهم، فكان الخليفة عبد المؤمن **"يُعظّم أمر الدّين ويُقوّيه، ويُلزم النّاس في سائر بلاده بالصّلوات"،**[23] شأنه في ذلك شأن أبو يوسف يعقوب المنصور من بعده، والّذي **"رفع راية الجهاد، ونصب ميزان العدل، وبسط الأحكام الشّرعيّة، وأظهر الدّين، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام الحدود على القريب والبعيد"،**[24] وقام يوما بعد أن اجتمع بالنّاس قبل موقعة "الأرك" قائلا **"أيّها النّاس، اغفروا لي فيما عسى أن يكون صدر منّي، فبكى النّاس، وقالوا: منكم يُطلب الرّضى والغفران".**[25]

2- انتشار مذهب الإمام مالك في الأندلس:

ركّز روّاد المدرسة الإسبانيّة الّتي عنيت بدراسة التّاريخ المذهبي بالأندلس، ومنهم "آسين بلاثيوس" (Miguel Asin Palacios) و"أ. قنثلاز بلانسيا" (Angel Gonzales Palencia)، و"ماريبال فيارو" (Maribel Fierro) وغيرهم، على الوقوف على أهمّ أسباب انتشار المذهب المالكي في شبه الجزيرة الإيبيريّة، وذهبوا في أبحاثهم أشواطا بعيدة، وتناولوا هذه الظّاهرة من زوايا عقائديّة وأنثروبولوجيّة عديدة يُمكن أن نختصرها في العامل العرقي، الحضاري، والمعرفي.

[20] ابن الأثير، ج 9، ص 260.

[21] الإتحاف، ج1، ص 26.

[22] ابن بسّام، **الذّخيرة**، قسم 2، ص 262.

[23] ابن غلبون أبو عبد الله محمّد بن خليل، **التّذكار فيمن ملك طرابلس، وما كان بها من الأخبار**، تحقيق، الطّاهر أحمد الزّاوي، مكتبة النّور، طرابلس، ليبيا، 1967، ص 95.

[24] المقري، **نفح الطّيب**، نفسه، ج3، ص 380.

[25] عبد المجيد النجّار، **المهدي بن تومرت: حياته وآراؤه وثورته الفكريّة والاجتماعيّة وأثره على المغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ص 389. نقلا عن ابن الخطيب، **الحلل الموشية**، نفسه، 59.

حيث بدأت المذاهب الإسلاميّة تعرف طريقها إلى الغرب الإسلامي منذ أواسط القرن الثّاني الهجري(8م)، وازداد انتشارها أساسا في النّصف الأخير منه، والمعروف تاريخيّا أنّ المذهبين الأوزاعي والحنفي كانا أسبق دخولا إلى إفريقيّة والأندلس، وظلّ المذهبان معمولا بهما في بلاد المغرب مدّة من الزّمان، إلى أن بدأ طلّاب هذه البلدان يرحلون نحو الشّرق، بقصد أخذ العلم وطلب الرّواية عن فقهائه وعلمائه.

ويُؤكّد ابن خلدون أنّ رحلتهم في البداية كانت مقصورة على الحجاز، وإمامها يومئذ هو الإمام مالك، فكان من الطّبيعي إذا أن يتأثّروا به وبمذهبه، حيث يقول **"وأمّا مالك -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فاختصّ بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلاّ أنّهم لم يقلدوا غيره إلاّ في القليل، لأنّ رحلتهم كانت غالبًا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه [من قبله وتلميذه من بعده. فرجع إليه أهل المغرب والأندلس] وقلّدوه دون غيره ممّن لم تصل إليهم طريقته".**[26]

وذكر المقري في "نفح الطّيب" **أنّ** سبب حمل ملك الأندلس النّاس على المذهب المالكي في بعض الأقوال، أنّ الإمام مالكًا سأل عن سيرة هشام بن عبد الرّحمن بعض الأندلسيين فذكروا له منها ما أعجبه. فقال: **"نسأل الله تعالى أن يزيّن حرمنا بملككم، أو قال كلامًا هذا معناه، وذلك لأنّ سيرة بني العبّاس لم تكن مرضية عند مالك، ولقي منهم ما لقي ممّا هو مشهور، فلمّا بلغ قوله ملك الأندلس- مع ما علم من جلالة مالك ودينه- حَمَلَ النّاس على مذهبه وترك مذهب الأوزاعي".**[27]

وأمّا بقيّة المذاهب والفرق الإسلاميّة، فقد دخلت إلى الأندلس مع الطّلائع الأولى من الفاتحين لها، والرّاحلين منها، والوافدين عليها، وذلك ابتداء من القرن الثّاني للهجرة وما تلاه، حتّى اجتمع منها عندهم ما كان معروفا عند المشارقة، بما في ذلك **"المذاهب غير السنيّة، عقيدة كالمعتزلة أو عقيدة وفروعا**

[26] ابن خلدون، **المقدّمة**، نفسه، ص 245.

[27] عمر الجيدي، **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرّباط، ط1 1993، ص 15.



كالشّيعة"،[28] فما إن يكاد يظهر فيها مذهب أو رأي، حتّى يجد طريقه إلى الأندلس.

ويظهر هذا ممّا كتبه القاضي عياض في المدارك من أنّ قوما من الرحّالة والغرباء أدخلا شيئا من مذهب الشّافعي وأبي حنيفة وأحمد وداود، فلم يتمكّنوا من نشره، فمات بموتهم،[29] لذلك ظلّت الغلبة لمذهب مالك الّذي اكتسح الأندلس وترسّخ في عقول وقلوب أهلها منذ أواخر القرن الثاني الهجري مقابل انتكاسة المذاهب الأخرى، طالما أنّ المدرسة المالكيّة **"لم تكن مذهبا فقهيّا فحسب، بل مذهبا سلوكيّا أيضا"**،[30] إذ أنّ **"تلاميذ مالك سعوا إلى الاقتداء به في كلّ تصرّفاته صغيرها وكبيرها"**،[31] وأعطوا النّموذج الأفضل في العلم والخُلق وحُسن المعاملة والجهاد والتّضحية، ممّا جعل أهل المغرب والأندلس يعجبون بهم، أساسا بعد ما ظهر منهم في محنة افريقيّة من عزم وصبر على أذى العبيديين وصمود وثبات حتّى الاستشهاد، ممّا جعل مكانتهم تسمو في أعينهم،[32] فصاروا يميلون إليهم ميلا واضحا ورسخت في قلوبهم قبل عقولهم فكرة نضالية المذهب وشعبيته والتحامه بقضايا الأمّة الإسلاميّة.

وفي نفس المنحى نجد ثلّة من الباحثين المعاصرين قد أضافت تفسيرا آخر مختلفا عن سرّ تمسّك الأندلسيين بالمذهب المالكي دون غيره مفاده أنّ أئمّة المذاهب الأخرى تتلمذوا على يد الإمام مالك ثمّ خرجوا عنه، أي أنّهم عارضوه في بعض الأحكام الفقهيّة وهو أمر طبيعي طالما أنّ المعارضة كانت في الفروع لا في الأصول، فجميعهم يستندون إلى السنّة في الفتوى والاستنباط والقياس، وقد غاب عن مالك من العلم ما تفرّق في الأمصار، ولو أدركه لأخذ به دون أدنى شكّ. يقول المقدسي: **"رأيت أصحاب مالك يبغضون الشّافعي قالوا أخذ عن مالك ثمّ خالفه"**،[33] وأمّا الإمام أحمد بن حنبل فقد أخذ بالخبر الضّعيف وفضّله على القياس حتّى أنّ كثيرا من الفقهاء لم يعدّوه من الفقهاء، وإنّما صنّفوه في طبقات المحدّثين.[34]

ومن ناحية أخرى فطن ابن خلدون إلى كون المذهب المالكي أكثر المذاهب ملاءمة لعقليّة المغاربة لسهولته وبساطته، وميلهم الفطري إلى البساطة في كلّ شيء،[35] فالمذهب المالكي لا يعوّل على استخدام الرّأي أو الجدل بقدر ما يعتمد على النصّ والنّقل، وعلى الأثر والرّواية، ومن ثمّ فهو مذهب ملائم لطبيعة الأندلسيين، لأنّه عملي أكثر منه نظري، ويستند على الواقع، ويأخذ بالعرف والعادة، وأهل المغرب عموما متمسّكون بالسنّة والجماعة وتجنّب البدع كما يؤكّد ذلك أبو بكر بن العربي،[36] ناهيك عن كونهم سئموا الصّراعات المذهبية الّتي جرت دون طائل، وهو ما يفسّر قول النّاصري[37] **"فبعد أن طهّرهم االله تعالى من نزعة الخارجيّة أوّلا والرافضيّة ثانيا، وأقاموا على مذهب أهل السنّة والجماعة مقلّدين للجمهور من السّلف-رضي االله عنهم- "فأصبح شيوع المذهب المالكي عندهم عادة وفطرة لا تحتاج إلى دليل"**.[38]

3- مناخ علمي يتلاءم مع طبيعة الأندلسيين:

ذكر بن خلدون أنّ البداوة كانت غالبة على أهل المغرب والأندلس **"فهم لم يكونوا يعانون من الحضارة الّتي لأهل العراق فكانوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة"**،[39] ولذلك لم يزل المذهب المالكي على حاله عندهم، غَضًّا صلبا لم يتطوّر ولم يأخذه تنقيح

---

[28] عمر الجيدي، نفسه، ص 27.

[29] نفسه، ص 27.

[30] حسين مؤنس، **شيوخ العصر في الأندلس**، مصر 1965، ص 16.

[31] نجم الدّين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، تبر الزّمان، تونس 2001، ص 36.

[32] GIRAI, *Les Almoravides: Etat, doctrine*, œuvre, In: Dirassat Ifriquiyya n2, 1986, p28.

[33] المقدسي مُحَّد بن أحمد 336-380هـ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، طبعة ليدن 1906، ص 42.

[34] القاضي، **المدارك**، تحقيق محمّد بن تاويت الطنيجي، طبعة فضالة – المحمدية، ط2 1983، ج1، ص 86 / محمّد داود أبو العزم، **الأثر السّياسي والحضاري للمالكيّة في شمال إفريقية حتّى قيام دولة المرابطين**، طبعة مكّة، 1985، ص 321.

[35] بن خلدون، **المقدمة**، تحقيق عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، 1952، ج3، ص 1020-1021.

[36] عصمت دندش عبد اللطيف، دراسة حول رسائل ابن العربي، مجلة **المناهل**، عدد 9، 1977، ص 187.

[37] **الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى**، طبعة البيضاء، دار الكتاب، 1954، ج1، ص 104.

[38] الونشريسي، **المعيار المعرب**، نشر وزارة الأوقاف المغربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1971، ج2 ص 169.

[39] بن خلدون، المقدّمة، ص 215.

الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب، وهذا ما أكّده أيضا بن رشد الحفيد (595هـ) في "فصل المقال" لمّا ذكر أنّ علم الأصول يروج في جميع البلدان ما عدا المغرب،[40] وتبنّى رأيه هذا المقري (1041) في "النّفح" عندما تحدّث عن فنون العلم الّتي اهتمّ بها المغاربة وبرعوا فيها، والّتي فاقوا غيرهم في بعضها فقال **"وعلم الأصول عندهم متوسّط الحال"**.[41]

وفي مقابل ذلك أنكر الفقيه الشّهير القاضي منذر بن سعيد البلوطي (272هـ/886م) المنافح الحقيقي عن المذهب الظّاهري في الأندلس، عن المالكيين تقليد مالك، وعاب على المالكيّة تقليدهم الأعمى لمالك في قصيدة له مشهورة أورد بعض أبياتها الحافظ ابن عبد البرّ في كتابه جامع بيان العلم وفضله،[42] وهجر النّاس في عهد المرابطين دراسة "الأصول" في الدّين والشّريعة، وخصوصا دراسة الحديث، بل كانت مذمومة في المغرب فلم يروا فيها فائدة، ونظر إليها الفقهاء نظرة الكراهيّة، ولم يهتمّ الفقهاء إلاّ بدراسة "الفروع" (الفقه العملي) وتشمل القانون المدني والعبادات بحسب مذهب مالك، وعدّوا دراسة "الفروع" أقصى غايات علم الدّين بدلا من أن تكون مجرّد فرع ثانوي وإنساني.

لذا تحجّر العقل في القالب الثّابت الّذي صنعه مؤسّس المذهب (مالك بن أنس) ووجب الاقتصار على ذلك، ومُنع الاجتهاد في الإسلام في المغرب وإسبانيا، الاجتهاد المستند إلى "الأصول" نفسها (الكتاب والسنّة)،[43] ولم يكن **"يُقرّب من أمير المسلمين (يوسف بن تاشفين) ويحظى عنده إلاّ من عَلِمَ علم الفروع، أعني فروع مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزّمان كتب المذهب (مذهب مالك)، وعُمل بمُقتضاها ونبذ ما سواها، وكثُر ذلك حتّى نُسي النّظر في كتاب الله وحديث رسول الله ﷺ "**،[44] وانحطّت الدّراسات الدّينيّة سواء فيما يتعلّق بالعقيدة أو الشّريعة على يد الفقهاء المالكيّة بمساندة حكومة المرابطين.

ففي أيّام حكم المرابطين، لم يكن لسكّان المغرب من مرشدين روحيين غير فقهاء ضيّقي العقول، فقهاء كان كلّ علمهم مقصورا على المذهب المالكي، وهؤلاء الفقهاء نزلوا بالدّراسات الدّينيّة إلى مستوى دراسات قواعد التّشريع، مهملين دراسة العقائد، وفرضوا على حياة السكّان في العبادات والمعاملات أحاديّة المذهب ووضعوا الحواجز القانونيّة أمام كلّ التيّارات الأخرى المعارضة،[45] فاستطاعوا بفضل تأييد الأمير لهم واحترام الشّعب لأشخاصهم أن يفتوا بجواز أمور تتنافى مع الشّرع.[46]

ومن هنا ندرك ما رمى إليه ابن طملوس في كتابه **"المدخل لصناعة المنطق"**، بقوله أنّ أهل المغرب الإسلامي ليس لهم علم ديني مقارنة بأهل المشرق، فانعكس ذلك بصورة واضحة على المناظرات والنّقاشات الحامية بين فقهاء المسلمين وعلمائهم وغيرهم ممّن تُعقد لهم الذمّة، لدرجة أنّ بعض القضاة الّذين يشهدون المحاورات الدّينية يصمّون آذانهم عندما يتلفّظ أحد المتحاورين من أهل الكتاب بما يُعدّ قذفا في جنب الإسلام أو نبيّه، وذلك خشية أن يوقع عليه العقوبة المشروعة.[47]

---

[40] ابن رشد، **فصل المقال**، تحقيق د. عمارة، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت، ص 27.

[41] المقري، شهاب الدّين أحمد بن محمّد، **نفح الطّيب من غصن الأندلس الرّطيب وذكر وزيرها لسان الدّين الخطيب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، ج1، ص 221.

[42] الحافظ ابن عبد البرّ، **جامع بيان العلم وفضله**، الطّباعة المنيريّة، الجزء الثّاني، ص 172.

[43] ألفرد بل، **الفرق الإسلاميّة في الشّمال الإفريقي من الفتح العربي حتّى اليوم**، ترجمة عبد الرّحمان بدوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان ط3 1987، ص 241.

[44] عبد الواحد المرّاكشي، **كتاب المُعجب**، ط2، نشره دوزي، ليدن 1991، ص 123.

[45] ابن عذارى المرّاكشي أبو عبد الله محمّد، ت بعد 712هـ/1312م، **البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة، ج. س. كولان، وإ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ص 171 - 172.

[46] ألفرد بل، نفسه، ص 246.

[47] مُحَمَّد أبو زهرة، **تاريخ الجدل**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1980، ص 148.







الخاتمة:

هكذا كان لتبنّي السّلط الرّسميّة لمذهب مالك دون سواه واتّخاذه كمذهب رسمي للدّولة وفرضه على الرعيّة بشكل أو بآخر، دور أساسي في تقلّص الصّراعات المذهبيّة الحادّة الّتي من شأنها أن تحدث شرخا في بنية المجتمع الأندلسي على النّحو الّذي نراه في المشرق لتفسح المجال أمام التّعبيرات الإيديولوجيّة الصّادرة عن فئات اجتماعيّة وسياسيّة وسّعت مفهوم الخلاف العقائدي لتعكس إلى حدّ كبير اهتماماتها ومواقفها وتُدير بشكل غير جليّ صراعاتها الماديّة والاتنيّة خصوصا أمام حتميّة المصير وروح المنافسة مع الآخر المسيحي.

فأظهر العامل السّياسي دورا كبيرا في جمع شمل المجتمع الأندلسي من الخاصّة والعامّة وتنظيم مختلف شرائحه، وتوحيد كلمتهم ونبذ كلّ أسباب الفرقة استنادا إلى وحدة فقهيّة امتدّت على قرون متتالية، تولّت حمايتها الدّول المتعاقبة على حكم الأندلس لما رأته من إيجابيّة لها في تدعيم كيانها السّياسي، ولكون المواقف السياسيّة للفقهاء لم تكن في الجملة معادية للدّولة الأمويّة منذ نشأتها سنة 138هـ/ 756م، إلى انهيار صرح الخلافة في 422هـ/1031م، ممّا جعلها تلقى استحسانا كبيرا من الحكّام.

كما شكّل الفقهاء المالكيّون في عهد المرابطين أطر الدّولة والمدبّرين الفعليين لسياستها والحريصين على امتيازتهم، ففرضوا على سكّان العدوتين مذهب الامام مالكا فقها وعقيدة ووضعوا الحواجز القانونيّة أمام كلّ ما يخالفه، ثمّ ما لبث الوضع السّياسي أن تغيّر سنة (549هـ/1145م) بسقوط دولة المرابطين وقيام دولة الموحّدين، فظهر مذهب جديد مركّب من عدّة تيّارات فكريّة ومذهبيّة لخدمة المشروع السّياسي الموحّدي الّذي كان قائما على فكرة "المهدويّة" التي انصاعت لها العامّة والخاصّة في العدوتين رغم بعض محاولات التّعبير عن الرّفض لهذه السياسيّة الإصلاحيّة الموحّدية، ومن هنا كان المجال المذهبي فضاء ثانيا انتظم فيه الأندلسيّون وحدة جامعة تشبّثوا بها على توالي العصور والحقب في سبيل الحفاظ على وجودهم.



التجسس الشيوعى داخل الولايات المتحدة الأمريكية 1921 – 1950 " الجاسوس ألجيرهيس "إنموذجا

د/ هدى محمود السيد شحات

مدرس منتدب بكلية الآداب

بجامعة الوادى الجديد

الملخص

تعد الشيوعية أحد العلامات البارزة في القرن العشرين؛ فقد كـان العـالم فى ذلـك الوقـت مقسـم إلى قسـمين هـما القسـم الشيوعي في الشرق، والقسـم الرأسمالي في الغرب. ولجعل العالم بأكمله شيوعيًا تم إنشاء الأحزاب الشيوعية في العالم الرأسمالي. وتشكل الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية الذي سيطر عليه الاتحاد السوفيتى لنشر مبادئ وأهداف الشيوعية في الولايات المتحـدة الأمريكيـة، وعمـل الحـزب الشـيوعي عـلى التجسـس عـلى الحكومـة الأمريكيـة لصـالح الاتحـاد السـوفيتى؛ وذلـك لإيجـاد بعـض الثغرات للإطاحة بالحكومة الأمريكية. كان التجسس الشيوعي من اهـم القضـايا في الـولايات المتحـدة نظـرا لكـثرة الجواسـيس داخـل المؤسسات الأمريكية.

Abstract:

Communism is one of the defining signs of the twentieth century. The world at that time was divided into two parts: the communist section in the east, and the capitalist section in the west. And to make the whole world communist, communist parties were created in the capitalist world. The Communist Party was formed in the United States of America, which was controlled by the Soviet Union to spread the principles and goals of communism in the United States of America, and the Communist Party worked to spy on the American government in favor of the Soviet Union. In order to find some loopholes to overthrow the US government. Communist espionage was one of the most important issues in the United States due to the large number of spies inside American institutions.

المقدمة

تُعـد الشـيوعية أيدلوجيـة اجتماعيـة اقتصـادية سياسـية وحركة؛ هدفها الأساسي تأسيس مجتمع شيوعي بنظام اجتماعي اقتصادي مبني على الملكية المشتركة لوسائل الإنتاج في ظل غياب الطبقات المجتمعية، وتدعو إلى ملكية المجتمع لجميع الممتلكات، والتي يجب أن يتقاسم الجميع منافعها وفقًا لاحتياجات كل منهم. ويعد الاتحـاد السـوفيتى معقـل الشيوعية في العالم الشرقي الذى حـاول تعميم الشيوعية في العالم كله من خلال تكوين أحزاب شيوعية في دول العالم ومن ضمنهم دولة الولايات المتحدة الأمريكية.

حـاول الاتحـاد السـوفيتى اخـتراق المؤسسـات الأمريكيـة مـن خـلال جواسـيس أمـريكيين كـانوا أعضـاء في الحـزب الشـيوعي الأمـريكي تـم تجنيـد مـن يصـلح لمهمـة التجسـس وأن يكـون ولاءه لصالح الاتحاد السوفيتى وأن يكون في مناصب مهمة داخل الدول. قـام عديـد مـن أعضـاء الحـزب بالتجسـس فعليا لصـالح الاتحـاد السـوفيتى وضـمت التحقيقـات الـتي اجراهـا مكتـب التحقيقـات الفيدرالي عدد كبير من جواسيس الحزب الشيوعي الأمريكي وكان من ضمنهم الجاسوس الأمريكي " ألجير هيس".

أهميـة البحـث: تكمن أهميـة البحـث في توضـيح مـدى توغـل الفكر الشيوعي داخل أكبر معقل للرأسمالية وهى الولايات المتحدة الأمريكية، وصل هذا التوغل إلى درجة كبيرة من خلال إنشاء حزب سياسي قانونى تم من خلاله تجنيد أعضائه لتجنيد من يصلح منهم للتجسـس لصـالح الاتحـاد السـوفيتي، وأيضـا توضـيح كيـف تسـلل الشـيوعيين الأمـريكيين في مؤسسات الدولة للعمل داخلها لصالح الاتحاد السوفيتي.

مشـكلة البحـث : تكمـن مشـكلة البحث في وجـود عـدد مـن المصادر الأصلية التى تناولت موضوع الدراسة من خلال اوراق مكتب التحقيق الفيدرالي الذى احتوى على عدد كبير للغاية من التحقيقات التى تم إجراءها مع الجواسيس ومع الشيوعيين وغيرهم في مسألة الجواسيس بشكل عـام والجاسـوس ألجير هيس بشكل خـاص ومع

كثرة التحقيقات التى تم إجراءها التى قد تحتمل صدق أو كذب شهود قضايا التجسس الشيوعى حاولت تذليل عديد من الصعوبات من خلال الاطلاع على عدد لابأس به من التحقيقات أيضا استعنت ببعض من المراجع لفهم قضية التجسس بشكل أعمق..

منهج الدراسة : اتبعت منهج البحث التاريخي القائم على البحث والاستدلال من المصادر الأصلية، والتزام الحيادية والدقة في الدراسة.

عناصر الدراسة: في البداية يجب التوضيح أن أختيار نقطة بداية الدراسة عام 1921م هو العام الذى تشكل فيه الحزب الشيوعى الأمريكي الذى كان بداية للتواجد الشيوعي داخل الولايات المتحدة الأمريكية ومن خلال أعضائه بدأت عمليات التجسس والتجنيد الشيوعى لصالح الاتحاد السوفيتى، وانتهاء الدراسة عام 1950م هو العام الذي تم فيه إصدار الحكم النهائي في الجاسوس الشيوعى ألجير هيس الذى قام بتسريب عديد من المعلومات للاتحاد السوفيتى. ويوجد عديد من الجواسيس غير ألجير هيس ولكن تم الأكتفاء بقضيته في سياق البحث.

أولاً- بداية الشيوعية.

كان صدور كتاب البيان الشيوعي سنة ١٨٤٨م، وتأسيس اتحاد الأمم للعمال والمعروف باسم "الأممية الأولى First International " والذي أسسه "كارل ماركس Karl Marx" ورفيقه "فريدريك إنجلزFriedrich Engels " بمثابة دعوة للإطاحة بالنظم الرأسمالية، وتأسيس حكومة عمالية اشتراكية في أوربا، وبذلك بدأ الصراع الاجتماعي والأيديولوجي.[1]

وعلى الرغم من ظهور كتابات كارل ماركس لأول مرة في الولايات المتحدة في خمسينيات القرن التاسع عشر إلا أن بيانه الشيوعي لم يصل إلى الولايات المتحدة حتى عام 1871م في الوقت الذي كان فيه كثير من العمال في الدولة الصناعية الجديدة أكثر استعدادًا لقبول تعاليمه.[2]

وقد تخوفت الولايات المتحدة من وجود "مؤامرة شيوعية" داخلها، وبعد فترة وجيزة من"الحرب الأهلية The Civil war" 1861- 1865م) " سمح هذا الخوف الجديد من الشيوعية للأمة بتجنب التساؤل عن الهوية الذاتية في الوقت الذي أثار فيه تدفق أعداد كبيرة من العمال المهاجرين الشكوك بسبب المذاهب الراديكالية*، إلى جانب التغيرات الاجتماعية والاقتصادية العميقة في تلك الفترة؛ حيث أصبح المهاجرون عدوًا يُلام على أي علامات تدل على عدم الاستقرار. وقد حدث هذا قبل وقت طويل من تشكيل الاتحاد السوفيتي[3] .الذي ارتبط اسمه بالشيوعية، وترتبط الشيوعية باسم كارل ماركس، وهو في الحقيقة ليس له علاقة بالاتحاد السوفيتي [4].

وقبلت الولايات المتحدة بالاشتراكية لفترة زمنية قصيرة لكن هذه التجربة لم تكتمل أبدًا؛ ففي أوج قوتها قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى World War I* كان الحزب الاشتراكي Socialist Party يضم (١٠٠ ألف عضو) و (١٢٠٠مسئول رسمي) في (٣٤٠ بلدة ومدينة) كان هذا العدد أقل بكثير من عدد أعضاء الحزب الديمقراطيDemocratic Party أو الحزب الجمهوري Republican Party، ولكنه كان كافيًا لتحقيق الشهرة، والظهور له على المستوى القومي خاصة مع اشتراك نصف مليون شخص في صحيفته. وفي عام ١٩١٤م كانت ولاية أوكلاهوما أكبر معقل اشتراكي؛ إلا أن الاشتراكية انتهت؛ لأن أهدافها أصبحت شديد الغموض، وكانت مُثلها العليا غير متسقة مع المشاعر القومية العارمة التي أطلقتها الحرب العالمية الأولى.[5]

وعلى صعيد آخر كانت روسيا قبل سنة ١٩١٧م دولة مفككة تم توحيدها تدريجيًا على يد "دوق روسيا العظيم" الذي جعل منها إمبراطورية شاسعة لكنها غير مستقرة انهارت إبان الحرب العالمية الأولى، وقد اضطر القيصر "نيكولاي الثاني Nicholas II"* الذي حكم البلاد حكمًا مطلقًا إلى التخلي عن العرش إثر اندلاع ثورة النساء والعمال، والتي جاءت كرد فعل على الهزيمة العسكرية، وتردي الأوضاع الداخلية لقائدة حكومة "ألكسندركيرينسكي Alexander Kerensky "المؤقتة التي لم تتمكن من احتواء الأزمة العامة المتفاقمة؛ إذ لم تلبث أن أطاحت بها ثورة أكتوبر التي

---

[1] د. عبدالخالق عبد الله: العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩، ص60.

[2] Ryan Buchanan Prechter: "The Highest Type of Disloyalty": The Struggle for Americanism in Louisiana During the Age of Communist Ascendency, 1930s-1960s, Master,Graduate Faculty,University of New Orleans,2011,Pp 3-4.

[3] Ryan Buchanan Prechter: op. cit, Pp.3-4.

[4] مُحَمّد المحاسنة: انهيار الاتحاد السوفيايتي، راية مؤتة، جامعة مؤتة، المجلد الأول، العدد الأول، ١٩٩٢، ص24.

[5] روبرت. ب. رايش: الرأسمالية الطاغية، ترجمة علا أحمد إصلاح، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، د. ت، ص 30.



قـام بهـا البلاشـفـة Bolsheviks بزعامــة "فلاديمـير لينـين Vladimir Lenin ". (6)

وفي أبريل اجتمع البلاشفة برئاسة "لينين" ووضعوا مخططًا لتحويـل الثـورة لمصلحتهم، ولم تمـضِ شـهور قليلـة حتي اسـتطاع البلشفيك الاستلاء على السلطة في شهر أكتوبر ١٩١٧م، واعتقلوا الحكومة المؤقتة برئاسة "كيرينسكي"؛ وبذلك أصبحت السلطة كاملة في يد "لينين" وأنصاره بعد استلاء البلاشفة عليها.(7)

وفي عـام ١٩١٨م انفصـل البلاشـفة نهائيًـا عـن "المنشـفيك Mensheviks" وكونوا "الحزب الشيوعي Communist Party" الذي استطاع في وقت قصير تصفية العناصر الباقية من المنشفيك، وبذلك حكم الشيوعيون، وبدأ تاريخ الاتحاد السوفيتي(8) . ونقلوا مقـرهم إلى موسـكو (9).لم تكـن الثـورة في بـديتها شـيوعية؛ بـل ديمقراطية ذات اتجاه إصلاحي (10). نتج عن تلك الثورة أهم صدام دولي في القـرن العشـرين؛ حيـث خلـق صـعود "فلاديمـير لينـين" والشيوعية في روسيا انقسامًا بين الشرق والغرب لم يتم إصلاحه إلا في عام 1989م عند سقوط الدولة السوفيتية والعودة النهائية للدول التابعة لها إلى وضعها المستقل قبل الثورة(11).

كـان برنـامج الحـزب الشـيوعي الروسي عـام١٩١٩م يـنص عـلى قدرة الثورة الشيوعية على إخراج البشرية من المأزق الذي وجدت نفسها فيه بفعل الرأسمالية، وأن انتصار هذه الثورة يقتضي توثيق العلاقـات بـين مختلـف الحركـات الثوريـة الـتي تقـوم عـلى الطبقـة العاملة في البلدان المتقدمة ذات النظام الرأسمالي(12)، وبذلك تحدت الجمهوريــة الروسيــة الثوريــة العــالم الرأســمالي عــلى نحــو مبــاشر بمحاولاتها التحريض على ثورة عالمية، ومدها بالعون، وإيجاد اقتصاد اشـــتراكي جمـــاعي، وفي ســـنة ١٩١٩م وضـــح" لينـــين" و"ليـــون تروتسكي Leon Trotsky" أن دعواتهما للثورة في أوروبا كانت جدية عندما أسسا الحزب الشيوعي الدولي International Communist Party (كومينتيرن)؛ لذلك ساور الشك الدول الرأسمالية مـن هـذه الدولـة الجديـدة، ووصـل ذلـك الشـك إلى حـد الخـوف(13)، وبناء عـلى ذلك كـان الحـزب الشيوعي هو"القـوة القائـدة والمواجهـة للمجتمع السـوفيتي" وذلك وفقًا للمادة 60 مـن دسـتور الاتحاد السوفيتي.(14)

وبذلك أصبحت الدول الرأسمالية الغربية التي كانت حينذاك في خضم الحرب العالمية الأولى تحت سيطرة قلق شديد من أن تقع عليها مؤامرة شيوعية، واستمر هذا القلق إلى ما بعد نهاية الحرب، ووصـل أيضًا ذلك القلق من الشيوعية إلى المواطنين في الـولايات المتحدة في الفـترة التي أعقبت الحـرب العالميـة الأولى.(15) فكان القلق مـن الطبيعـة التوسـعية للإيـديولوجيات الشـيوعية ذات النزعـة الثوريـة المعاديـة للرأسمالية التي ترغب فى تحويـل العالم بأسره إلى عــالم اشــتراكي مــن خــلال الثــورات بزعامــة الأحــزاب السياســية الشــيوعية في العــالم، والــتي يســاندها الاتحــاد الســوفيتي مــاديًا ومعنويًا، ومن ثم كان الاتحاد السوفيتي في نظر الولايات المتحدة الأمريكية يشكل خطرًا استراتيجيًا (16)، لذلك اتخذت موقفًا معاديًا منهـا وأكـثر مـا دفـع إلى مثـل هـذا الموقـف العـدائي هـو الـرفض الرأسمالي للشيوعية التي تسعى للقضاءعلى الرأسمالية عن طريق الحرب الأهلية الداخلية (17).

ثانيًا- نشأة الحـــزب الشيوعي في الولايات المتحدة الأمريكية.

في نـوفمبر 1918 تـم تشـكيل رابطـة للدعايـة الشـيوعية في مدينـة شيكاغو. وخلال العام نفسه بدأ فـرع الحزب الاشتراكي في بوسطن بنشر منشور "العصر الثوري The Revolutionary Age" والذي تم فيه الدفاع عن التكتيكات الشيوعية (18). وانقسم

---

6 بلخيرة محمد: التحولات السياسية في الاتحاد السوفياتي وأثرها على الدول العربية " الوطنية " ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص68.

7 نهاد الغادري: التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٩، ص31.

8 محمد المحاسنة: مرجع سبق ذكره، ص ص 24- 25.

9 وليم جاى كار: أحجار على رقعة الشطرنج، الحرية، القاهرة، ص 156.

10 نهاد الغادري: مرجع سبق ذكره، ص30.

11 Richard Gribble: United States Recognition of Soviet Russia: 1917-1933- Church and State Responses, American Catholic Studies, Vol. 119, No. 4, 2008, P.21.

12 بلخيرة محمد: مرجع سبق ذكره، ص136.

13 آلان تُد: ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت أوربا والعالم ١٩١٩-١٩٨٩، تعريب مروان أبو جيب، الحوار الثقافي، بيروت لبنان، ص237.

14 بلخيرة محمد: مرجع سبق ذكره، ص68.

15 Adam Ferenz: Joseph McCarthy and the Loss of China: A study in fear and panic,Master, the American Culture Faculty, the University of Michigan-Flint, 2014, P.5.

16 د. إيناس سعدى عبدالله: مرجع سبق ذكره، ص12.

17 سرمد زكي الجادر، وائل محمد إسماعيل: الإدراك الأمريكي للعلاقات الأمنية مع روسيا الاتحادية، مجلة قضايا سياسية، مجلد 14، الإصدار الأول، جامعة النهرين، 2008، ص 44.

18 Committee on Un-American Activities: Organized Communism in the United States,Committee on Un-American Activities, House of Representatives, Eighty–



الجناح اليساري الصاعد للحزب الاشتراكي إلى مجموعتين متنافستين منشقتين[19] هما الحزب الشيوعي الأمريكي Communist Party (CP)، وحزب العمال الشيوعي Communist Labor Party (CLP)[20]

وعندما عُقد أول مؤتمر وطني يساري للحزب الاشتراكي في مدينة نيويورك في يونيو 1919م كان الغرض من هذا المؤتمر هو تشكيل حزب شيوعي في الولايات المتحدة ضمن قسم اليسار في الحزب الاشتراكي.[21]

وكان تشارلز روثنبرج Charles Ruthenberg زعيمًا للحزب الشيوعي الأمريكي، وكان جون ريد John Reed، وبنجامين جيتلو Benjamin Gitlow من زعماء حزب العمل الشيوعي المنافس، وأيد كل حزب الثورة الدموية والإطاحة العنيفة بالحكومة الأمريكية.[22] لذلك تنافس كلٌّ من الحزبين للحصول على الاعتراف من "الكومنترن Comintern" في موسكو الذي أشرف على تنظيم الثورة العالمية.[23] وبين عامي 1919 و1921م وضع "لينين" جميع الأحزاب الشيوعية تحت سيطرة الكومنترن. وفي عام 1921 م كان"لينين" قادرًا على إجبار الحزبين الشيوعيين الأمريكيين على الاندماج مع تشارلز روثنبرج كزعيم له[24].

وبحلول عام 1921م تم بالفعل توحيد معظم القوى الشيوعية في الحزب الشيوعي الأمريكي واختفى حزب العمل الشيوعي، وكان الحزب الشيوعي نفسه في عام 1921 م غير قانوني، ولكن تم إنشاء حزب آخر، وهو "حزب العمال" الذي يعد جبهة قانونية، واستمر كلا الحزبين في الوجود حتى عام 1923م، وفي رسالة للحزب الشيوعي بتاريخ 11 أبريل إلى حزب العمال جاء فيها: "الحزب الشيوعي الأمريكي في مؤتمره الوطني الثالث الذي عقد في مدينة نيويورك في 7 أبريل حضره مندوبون من جميع أنحاء الولايات المتحدة، بعد أن سُجل نقاش شامل بالإجماع على أنه يعترف بحقيقة أن حزب العمال الأمريكي الذي كان أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي جزءًا منه تطور إلى حزب شيوعي، وبالتالي قرر التصويت بالإجماع على حل الحزب الشيوعي الأمريكي تاركًا حزب العمال الأمريكي المنظمة الوحيدة التي تواصل النضال من أجل المبادئ الشيوعية في الولايات المتحدة. ويحق لحزب العمال الأمريكي أن يتبنى اسم "الحزب الشيوعي الأمريكي" [25]، وبذلك اتحدوا بعد ثلاث سنوات بناء على طلب موسكو.[26]

ثالثا: بداية التجسس الشيوعي

وفي عام 1929م أصبح الحزب الشيوعي للولايات المتحدة تحت سيطرة شبه كاملة للكومنترن الذي وجه الشيوعيين الأمريكيين إلى تنظيم المنظمات الشيوعية لتسهيل عمليات التجسس، وفي الوقت نفسه استمرت الفصائل المتناحرة في القتال داخل الحزب الشيوعي لكن الكومنترن احتفظ بسلطة تسوية النزاعات، وفي عام 1930م عين "جوزيف ستالين Joseph Stalin" "إيرل براودر Earl Browder" ليكون الزعيم الجديد للحزب الشيوعي الأمريكي، وبذلك انخرط الحزب الشيوعي الأمريكي بشكل وثيق في تسهيل التجسس السوفيتي في أمريكا[27].

وأتاح الاعتراف الدبلوماسي مع الاتحاد السوفيتي 1933م فرصة لتوسيع شبكات التجسس في الولايات المتحدة باستخدام سفاراتهم وقنصلياتهم كمراكز تجسس. وتسلل الشيوعيون إلى الحكومة الفيدرالية طوال عهد الصفقة الجديدة New Deal"*" بعد عام 1935 م كان الحزب الشيوعي بالولايات المتحدة الأمريكية (CPUSA) في ذروة نشاطه قد بذل قصارى جهده للتسلل، والغزو، والاستيلاء للسيطرة على النقابات العمالية، والمنظمات الليبرالية وشجع أعضاء الحزب على تجنب الإشارة إلى ثورة عنيفة، وبدلًا[28]

Fifth Congress, Second Session, Washington, D. C., August 19, 1953, P.3.

19 Adam J. Hodges: Thinking Globally, Acting Locally: The Portland Soviet and the Emergence of American Communism, 1918-1920, The Pacific Northwest Quarterly, Vol. 98, No. 3, Summer, 2007, P.115,

20 Robert J. Alexander: Splinter Groups in American Radical Politics,Social Research, Vol. 20, No. 3, The Johns Hopkins University Press, Autumn 1953,P.289.

21 Committee on Un-American Activities: Organized Communism in the United States,Committee on Un-American Activities, Op. cit, P.3.

22 Lawrence D. Swickard: Soviet Espionage in the United States, 1945 to 1953 and the Response of the Truman Administration, Master,University of Central Missouri, 2006, P.13.

23 Adam J. Hodges: op. cit, P.115,

24 Lawrence D. Swickard: op. cit, P.13.

25 Robert J. Alexander: op. cit,P.294.

26 Adam J. Hodges: op. cit, P.115,

* البروليتاريا proletariatهي الطبقة الكادحة سواء عمال أو فلاحين في المجتمع أو من بين أدنى الطبقات. في روما القديمة كانت البروليتاريا عبارة عن أحرار فقراء لا يملكون أرضًا، وقد تم إزاحتهم من سوق العمل بسبب انتشار العبودية، وأصبحوا طفيليين على الاقتصاد. استخدم كارل ماركس هذا المصطلح للإشارة إلى فئة العاملين بأجر المنخرطين في الإنتاج الصناعي فقط، والمصطلح الأوسع للطبقة العاملة يشمل كل أولئك الملزمين بالعمل من أجل لقمة العيش. للمزيد ينظر:

Britannica Concise Encyclopedia, Encyclopedia Britannica, 2006, pP.1552-1553.

27 Lawrence D. Swickard: op. cit,P 13.

28 William T. Lorenz: op. cit., P.4.



من ذلك "بذل المزيد من الجهد نحو إحداث الفساد من الداخل؛ وبذلك تتعرض الحكومة الأمريكية للهجوم من قبل عدوها "الشيوعية" وإذا فازت الشيوعية فلن يكون هناك دستور، أو محاكم، أو رئيس، أو كونجرس للولايات المتحدة.[29]

قال السناتور "مارتن دييس Martin Dies ": "إن لديه أدلة تظهر أن الجماعات الشيوعية والنازية لديهم خطط للسيطرة الكاملة على الولايات المتحدة عندما يحين الوقت"؛ حيث احتل الشيوعيون والنازيون مناصب مهمة في الصناعات الرائدة استعدادًا لمهاجمة الولايات المتحدة والقضاء عليها"[30].

وتُظهر الوثائق السوفيتية كيف أدار الحزب الشيوعي الأمريكي شبكة تجسس واسعة في الولايات المتحدة نيابة عن الكرملين قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وتؤكد الوثائق أن الاتحاد السوفيتي استخدم الحزب الشيوعي لاختراق المؤسسات الحكومية الأمريكية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وحصل الحزب على وثائق حكومية أمريكية سرية من جواسيس سريين متعاطفين مع الشيوعية في كثير من الإدارات بما في ذلك وزارة الخارجية، وكان الاتحاد السوفيتي قد قام بعمليات تجسس في الولايات المتحدة، واستخدم أفرادًا من الشيوعيين هناك، وفي دول رأسمالية أخرى لإدارة تلك العمليات، وأسس القادة الشيوعيون الأمريكيون شبكة تجسس عام 1935م برئاسة مسؤول الحزب " جيه. بيترز J. Peters "[31].

ومن خلال وثائق "فينونا Venona"* التي أكدت استنتاجات الاستخبارات الأمريكية American counterintelligence المضادة، وقدمت أدلة حول كيفية عمل التجسس السوفيتي في الولايات المتحدة[32]؛ فكان هناك تعميمات واسعة مفادها أن الحزب الشيوعي الأمريكي كان وكالة تجسس تابعة للاتحاد السوفيتي. وفي عام 1935م كان الشعار الرئيس للحزب الشيوعي هو "الشيوعية هي أمريكية القرن العشرين"[33].

رابعاً: تجنيد واختيار الجواسيس

ففي عام 1921 م أنشأ الكومنترن إدارة اتصال دولية سرية (OMS) لإدارة شبكات سرية من الجواسيس في الدول الأجنبية؛ وجندت الشيوعيين الأجانب وزملاءهم الذين ابتعدوا عن الاتصال المباشر مع المخابرات السوفياتية. كما أشرف الكومنترن على صرف الأموال إلى الأحزاب الشيوعية، وعمليات التجسس الأجنبية والوكلاء، وسهلت الاتصالات، ونقل المواد إلى موسكو[34].

كان يتم حفظ سجل كل شيوعي في موسكو، وعندما يلاحظ القادة السوفييت أن هناك شيوعيًا أمريكيًا يبدو مناسبًا بشكل خاص للقيام بمهمة التجسس، أو في وضع جيد لنقل الأسرار الأمريكية، أو تقديم بعض الخدمات الأخرى يتم اختياره ليقوم بدور الجاسوس[35].

وكان الأمريكيين الذين تجسسوا نيابة عن الاتحاد السوفييتي أعضاء نشطين في الحزب الشيوعي الأمريكي، وقبل أن يتمكنوا من الانضمام إلى الحزب كان يتم فحصهم من قبل المخابرات السوفيتية. وتوفير السير الذاتية للأعضاء، وأجراء المخابرات السوفيتية تحقيقات أساسية لتقييم مدى الوثوق في كل فرد وقيمه، وإخلاصه لوجهات النظر "الصحيحة سياسيًا" التي تعني آراء ستالين. وعادةً ما تطلب موسكو من أعضاء الحزب الشيوعي الذين تم اختيارهم ليكونوا عملاء للمخابرات أن يستقيلوا رسميًا من الحزب، ويقطعوا جميع الاتصالات مع منظمة الحزب الشيوعي الأمريكي، ومع ذلك تم تجاهل هذه القاعدة في كثير من الأحيان إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية[36].

---

29 Donald Elwin Adams: Collateral Damage: Anti-Communism & U.S. Cultural Policy, M.A., University of Missouri–Kansas City, 2014, Pp 134- 145.

30 Nazi-Communist Plot in the U. S..:Daily Mail, Issue: 13726, Apr 22, 1940, p. 1.

31 Michael Dobbs: "A New View of U.S.-Soviet Spy Links." International Herald Tribune, Issue: 34874, Apr1 13, 1995, p. 3.

32* فينونا Venona: هو الاسم السري الأعلى الذي أعطته حكومة الولايات المتحدة لبرنامج واسع النطاق لفك الرموز السوفيتية، وقراءة الاتصالات التي تم اعتراضها بين موسكو، ومحطات استخباراتها في الغرب. تم إطلاق البرنامج في فبراير 1943م من قبل جهاز استخبارات الإشارة بالجيش الأمريكي، وسابق وكالة الأمن القوميNational Security Agency NSA . تركز الجهد على أكوام من الرسائل المشفرة التي تم إرسالها عبر خطوط التلغراف التجارية. تم إرسال الكابلات المعنية بين عامي 1940 و 1948. وبينما تمت قراءة معظم الرسائل التي تم اعتراضها، والتي يمكن فك تشفيرها بين عامي 1947 و 1952، استمرت الجهود المبذولة لفتح أكبر عدد ممكن من الكابلات حتى عام 1980. للمزيد ينظر:

Herbert Romerstein and Eric Breindel:The Venona secrets: exposing Soviet espionage and America's traitors, Regnery Publishing, Inc., Washington, 2001,Pp 3-4.

33 Theodore Draper: "The American communist party, a retrospective.", Springer, Society 40.6 2003,Pp.66-67.

34 Lawrence D. Swickard: op. cit, Pp 12-13.

35 spotlight On Spies: Committee on Un-American Activities, U. S. House of Representatives, U. S. Government Printins office, Washington. D. C, 1949,P.6.

36 Lawrence D. Swickard: op. cit.,p.14.



وكانت سياسة الحزب الشيوعي تقوم على منح عضوية سرية لـن يرغـب في توجيهـه نحـو التجسـس مثـل الطـلاب، والعلمـاء، والمعلمين، والعمال، والإداريين، والعاملين في الحكومة، ويتم منع أعضاء الحزب الآخرين من معرفة أن هؤلاء الأشخاص موجودون في الحـزب، وهـم لا يحملـون بطاقـات عضويـة الحـزب، أو يحضـرون بانتظام اجتماعات الحزب، وفي الواقع لا يُسمح لهم حتى بمناقشة موضوعهم الحقيقي، أو حتى وجهة نظر سياسية مع أي شخص.[37]

وعمل الجواسيس الشيوعيون في واشنطن، أو في المنشآت الذرية، وكان التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي بحاجة إلى الإيمان بالاتحـاد السـوفيتي والخضـوع لـه، وأن يكـون الجاسـوس في وضـع ومكانة تسمح له بالتجسس؛ لذلك لم يكـن من قبيل المصادفة أن يكـون أولئـك الـذين كـانوا في مناصـب مهمـة في واشـنطن، أو في المنظمـة الذريـة مرشحين للتجسس، ومجـرد كـون المرء شيوعيًا لا يؤهلـه للتجسس. فالغالبيـة العظمـى مـن الشيوعيين لا يعرفـون شيئًا عـن هذا النشـاط؛ إذ عملوهم في نقابة هذا هـو المكان الذي قدموا فيه مساهمتهم للحزب.[38]

كانت الولايات المتحدة الأمريكية من أسهل الدول في العالم بالنسـبة للجواسـيس للعمـل فيـه، واختراقهـا، والحصـول عـلى معلومـات سريـة؛ بسبب المتعاطفين مع الاتحاد السوفييتي الذين وضعتهم وظائفهم في وضع يسمح لهم بالحصول على معلومات سرية، وبسبب الموقف الساذج لكثير من الأمريكيين بشأن الخطر الشيوعي.[39]

فلم يجد ضباط المخابرات السوفيت المتعاطفين مع الاتحاد السوفياتي أو الشيوعية بشكل مباشر، لأنهم كانوا في الغالب غير مـدركين أن المعلومـات التي شـاركوها ذهبـت إلى الحـزب الشـيوعي الأمـريكي، أو المخـابرات السـوفياتية. فهـؤلاء المتعـاطفين كـانوا يتصـروف بسـذاجة رغـم رفضهم التجنيـد، وكـان البعض يعتقـدون أنهـم يعملـون عـلى صـياغة، أو تغيير السياسـات الأمريكيـة فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي من بين أولئك الذين أدركوا أنهم كانوا يقومون بتسليم المعلومات للشيوعيين كانوا أفرادًا يعتقدون أنهم يـدعمون قضيـة اشـتراكية عالميـة، ورؤيـتهم لعـالم يسـوده السـلام، لكنهم لـن يعطوا المواد المخاباراتية السوفياتية عن طيب خاطر في جميع الحـالات سـواء تـم تجنيدهم كعمـلاء بشـكل مباشر أو يـتم

التلاعـب بهـم بشـكل غـير مبـاشر؛ حيـث اسـتخدمت المخبـارات السوفيتية عدة طرق لإيجاد شعور بالالتزام بين عملائهم. وشارك الحزب الشيوعي الأمريكي في أنشطة سرية بما في ذلك التجسس لصالح الاتحاد السوفيتي؛ حيث سعى الحزب إلى تنمية وكلاء التأثير الـذين اعتقـدوا أنهـم قـادرون عـلى التـأثير في السياسـة الخارجيـة الأمريكية، واخترق أعضاء الحزب الشيوعي الحكومة الأمريكية لتعزيز الأهداف السوفيتية لتشكيل السياسة الخارجية الأمريكية.[40] وأكد أعضاء سابقون في الحزب على التمويل السوفيتي للحزب، والتوجيه، والسيطرة من الكرملين، وتنظيم أعضاء الحزب والتجسس.[41]

خامساً: أماكن التجسس الشيوعي داخل الولايات المتحدة الأمريكية

ووجهت اتهامات لوكالات حكومة فرانكين روزفلت بإيواء المخـربين في الفـترة 1939-1943م شـملوا اتهامـات بأن الوكالـة الإدارية لقانون فاجنر the Wagner Act's **قانون علاقات العمـل الـوطنى** والمجلـس الـوطني لعلاقـات العمـل the` National Labor Relations Board (NLRB)ومكتب إدارة الأسعار the Office of Price Administration (OPA) كانت تربطهـا بعناصر يسيطر عليهـا الشـيوعيون في حركات العمال والمستهلكين.[42]

أيضًـا شـغل كثـير مـن الـوكلاء مناصـب في إدارة الصـفقة الجديدة على سبيل المثال، كان"هارولد وير "Harold Ware مسـؤولًا في إدارة التنظـيم الزراعـي Agricultural Adjustment Administration(AAA) وزعـيم شـبكة تجسس كبرى بحلول عام 1934م، كانت شبكة وير تتألف من سبع خلايا لكل منها قائدها الخاص. يشار إليها باسم "جهاز A" من قبل ويتاكر تشامبرزWhittaker Chambers ، وتضم المجموعة لي بريسمان Lee Pressman، ألجر هيس Alger Hiss، هنري هيل كوليز جونيور Henry Hill Collins Jr ، فيكتور بيرلو Perlo Victor، جون أبت John Abt، ناثان ويت Nathan Witt، وتشارلز كريفيتسكي Charles Krivitsky، ج. بيترز J. Peters الشيوعي المجري الجسنية، واسمه الحقيقي جوزيف بيترز Jozsef Peters الذي تم إرساله من قبل الكومنترن إلى الولايات

[37] spotlight On Spies: op. cit.,P.11.
[38] Theodore Draper: op. cit.,P.68.
[39] spotlight On Spies: op. cit.,P. 4.

[40] Lawrence D. Swickard: op. cit.,Pp. 14, 18, 19.
[41] Brian E. Birdnow, B.A., M.A.: op. cit,P.20.
[42] Landon R. Y. Storrs: Allegations of Disloyalty at Labor and Consumer Agencies, 1939–43 in" The Second Red Scare and the Unmaking of the New Deal Left ", Princeton University Press, 2013, P.51.





المتحدة باعتباره غير قانوني في عام 1932م لإدارة شبكات التجسس الأمريكية الناشئة عن طريق الحزب الشيوعي الأمريكي بين عامي 1932 و 1943 م واعتمد على سعاة الحزب مثل ويتاكر تشامبرز، وجاكوب جولوس Jacob Golos، وإليزابيث بنتلي Elizabeth Bentley. قاموا بجمع الوثائق والمواد الأخرى من "هارولد وير" وأعضاء آخرين من مجموعته إلى بيترز. كان قد صورهم وعاد إلى عملائه الأمريكيين.[43]

وكان يتم إرسال بعض العملاء الروس كممثلين عسكريين، أو سياسيين، أو كممثلين رسميين آخرين للحكومة السوفيتية بالسفارة السوفيتية في واشنطن العاصمة، أو إلي مقر الأمم المتحدة في نيويورك. وآخرون يتنكرون على أنهم "وكلاء تجاريون" للاتحاد السوفياتي. لقد قاموا بعملهم بهدوء في التجسس من خلال شركات تجارية مثل شركة السياح العالمية "World Tourists، وشركة أمتورج التجارية Amtorg Trading Corporation في مدينة نيويورك[44] . وكان "جاكوب جولوس" ساعي الحزب الشيوعي الأمريكي الذي جند إليزابيث بنتلي في عام 1930م بدأ العمل في المخابرات السوفيتية Glavnoye (GRU) "Razvedyvatel'noye Upravleniye في نيويورك، وكان "جاكوب جولوس" أكثر بكثير من مجرد ساعي للمخابرات السوفيتية GRU؛ حيث عمل خارج شركته شركة السياح العالمية The World Touristالتي كانت واجهة سوفيتية. كان لديه موهبته الخاصة في الحصول على جوازات سفر أمريكية لاستخدامها من قبل المهاجرين غير الشرعيين السوفيت.[45]

والهدف من التجسس هو السيطرة على الولايات المتحدة مع بقية دول العالم، وكان الجواسيس السوفيت في الولايات المتحدة لتمهيد الطريق لأمريكا السوفيتية.[46] وبين عامي 1941 م و 1945م وجه "ستالين" أجهزة المخابرات السوفيتية لتكثيف الجهود لاختراق الحكومة الأمريكية التي حققت نجاحًا كبيرًا في اختراق الحكومة الأمريكية[47]. وعندما أصبح الاتحاد السوفيتي حليفًا لأمريكا في الحرب العالمية الثانية وضع الحزب الشيوعي الأمريكي جواسيس داخل الحكومة الأمريكية، وفي منشآت الأبحاث النووية الجديدة.[48]

43 Lawrence D. Swickard: op. cit., P.15.
44 spotlight On Spies: op. cit. Pp.1, 5.
45 Lawrence D. Swickard: op. cit, P.16.
46 spotlight On Spies: op. cit. P.1
47 Lawrence D. Swickard: op. cit, P.19.
48 William T. Lorenz: op. cit., P.4.

سادساً: مكافحة التجسس الشيوعي.

وفي الفترة 6 سبتمبر 1939 و 8 يناير 1943م صدر توجيه رئاسي ينص على أن مكتب التحقيقات الفيدرالي التابع لوزارة العدل يجب أن يتولى أعمال التحقيق في الأمور المتعلقة بالتجسس والأنشطة التخريبية، وأشير إلى أن التحقيقات يجب أن تجرى بشكل شامل على أساس وطني، وأن يتم فرز جميع المعلومات بعناية.[49] وتطورت الاستجابة الاستخباراتية الأمريكية المضادة للتجسس السوفيتي تدريجيًا، وعلى عدة مستويات، وقام مكتب التحقيقات الفيدرالي بدور قيادي بدءًا من عام 1945م في التحقيق والكشف عن جواسيس الاتحاد السوفيتي، وعملائهم، وشبكات التجسس في الولايات المتحدة الأمريكية[50].

تزامن مع اشتداد الحرب الباردة أن شدد الاتحاد السوفيتي قبضته على الأحزاب الشيوعية الخارجية، وقدمها بشكل أكثر وضوحًا على أنها "العمود الخامس" المكرس لخدمة القوة الروسية. وجعل زعماء الحزب الشيوعي الأمريكي مثل "ويليام ز. فوستر" و "يوجين دينيس Eugene Dennis" ذلك هدفهم يسعون إليه إلى حد ما مع غيرهم من القادة الشيوعيين الذين صرحوا أنه في حالة الحرب سيكون ولاؤهم لروسيا[51].

أدانت "لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية" المدعي العام "توم كلارك" بسبب التطبيق غير الكافي لقوانين التجسس، وأكدت أنه من المصلحة العامة تحرك الجهات المعنية ضد المؤامرة الشيوعية للحصول على دعم البيت الأبيض بدلًا من إعاقتها، وأكدت اللجنة وجود جهاز شيوعي سري في واشنطن قبل الحرب، ووصول هذا الجهاز إلى كثير من المناصب العليا، وأثبت أنه خلال الحرب عمل موظفون حكوميون رفيعو المستوى، وشيوعيون أمريكيون مع شيوعيين روس، وعملاء روس في عدد من حلقات التجسس للحصول على معلومات سرية ومهمة من الحكومة، وعلى الرغم من ذلك كان يُعتقد بأن اللجنة قد خدشت سطح الأنشطة الشيوعية فقط؛ بسبب وجود حلقات تجسس كبرى ما زالت تعمل داخل الحكومة دون الكشف عنها؛ لذلك يُنصح باتخاذ إجراءات جديدة على

49 Report on FBI domestic and foreign liaison activities. Federal Bureau of Investigation, Jan 26, 1953.,P.1-A.
50 Lawrence D. Swickard: op. cit, P.35.
51 Yesterday's New York Edition."Controlling Communism." New York Herald Tribune, Issue: 20566, Mar11,1949, p. 4.

أساس الأدلة الموجودة، ويجب سن تشريع جديد، واتخاذ الإجراءات الإدارية اللازمة [52].

أوضحت "لجنة الأنشطة غير الأمريكية" احتواء حلقات التجسس السوفيتية على أمريكيين علماء، ومحامين، وأساتذة جامعات، وكتاب، وعمال مهنيين حكوميين، ورجال أعمال مؤيديين للشيوعية، وأوضحت أيضًا كيف يتم نقل المعلومات* عن طريق الجواسيس إلى الاتحاد السوفيتي [53].

سابعاً- قضية الجاسوس الشيوعي "ألجير هيس"

كان مكتب التحقيقات الفيدرالي قد قام بدور قيادي بدءًا من عام 1945 م في التحقيق، والكشف عن جواسيس الاتحاد السوفيتي، وعملائهم، وشبكات التجسس في أمريكا؛ فتم الكشف عن الضابطين الرئيسين المنشقين عن جهاز الاستخبارات العسكرية الخارجية في روسيا" (GRU) Glavnoye Razvedyvatel'noye Upravleniye"، وهم والتر كريفيتسكي Walter Krivitsky ، وإيجور جوزينكو، والأمريكان "ويتاكر تشامبرز" "وإليزابيث بنتلي". بناءً على شهادة المنشقين، وتحقيقات مكتب التحقيقات الفيدرالي تمكن مكتب التحقيقات من كشف كثير من الجواسيس الشيوعيين مثل العالم الذري" كلاوس فوكس Klaus Fuchs"، ديفيد جرينجلاس David Greenglass، يوليوس روزنبرج Julius Rosenberg ونتيجة

لتحقيقات مكتب التحقيقات الفدرالي تعرض كثير من العملاء الآخرين للتحقيق بمن فيهم "ألجير هيس Alger Hiss " [54].

ومنذ عام 1946م أصبحت "لجنة الأنشطة غير الأمريكية" لجنة دائمة، وقامت بالتحقيق مع الشيوعيين المشتبه بهم في مناصب مؤثرة في الولايات المتحدة؛ ففي عام 1948م وجهت اللجنة اتهامات بالتجسس ضد "ألجير هيس" في وزارة الخارجية مما عزز الشعور العام بأن "هناك شيوعيين بين الأمريكيين". خلال هذه الفترة عمل مكتب التحقيقات الفيدرالي بشكل وثيق مع لجنة الأنشطة غير الأمريكية، وأقام أعضاء اللجنة علاقات غير رسمية مع مكتب التحقيقات الفيدرالي، وهي علاقة يعود تاريخها إلى مايو 1947 م على الأقل ولكن بشرط صارم ألا تكون المساعدة السرية لمسؤولي مكتب التحقيقات الفيدرالي معروفة" [55].

أصبح "ألجير هيس"* أكثر عملاء النفوذ الأمريكي شهرة من خلال العمل في الحكومة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية، وسنوات ما بعد الحرب مباشرة. بدأ حياته المهنية في الحكومة في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين في وزارة الزراعة، وعمل في وزارة العدل، وأنهى حياته المهنية في وزارة الخارجية، وفي عام 1942م فتح مكتب التحقيقات الفيدرالي تحقيقًا مع " ألجير هيس " وقبلوا إنكاره أنه ليس شيوعيًا أو متورطًا في أنشطة تخريبية وأغلق التحقيق حينذاك [56] . وفي عام 1948م أعادت الأحداث فتح قضية الجاسوس الشيوعي "ألجير هيس" [57].

---

[52] Levin, Carl, and the Herald Tribune Bureau. "Spy Inquiry Raps Clark, President." New York Herald Tribune [European Edition], Issue: 20400, Aug 29, 1948, p. 1.

[53] * أظهرت تحقيقات لجنة الأنشطة غير الأمريكية أن الجاسوس ينقل معلوماته إلى "وسيط" أو "ناقل". وفي بعض الأحيان يخبر الساعي بما سمعه، وفي بعض الأحيان يعطيه ملاحظات، ونسخًا من الرسائل أو الأوراق الأخرى التي تكشف عن الخطط السرية، وفي بعض الأحيان يقوم بسرقة سجلات أصلية من ملفات الحكومة، ويسلمها إلى "وسيط" وهو شيوعي أمريكي موثوق به يعمل كرسول لرئيس تجسس روسي. يلتقط هذا الناقل المعلومات التي يجمعها جواسيس أمريكيون، وينقل لهم أوامر من العميل الروسي المسؤول، وإذا كان على الروسي أن يتصل شخصيًا بجميع جواسيسه فسيثير ذلك الشك. ولكي يحصل الجاسوس على معلومات الساعي كانوا يحددون موعدًا للقاء في مطعم، أومحل لبيع الأدوية، أو منزل شيوعي، أو حتى في حديقة، أو على زاوية شارع، وهناك يقوم الجاسوس بتسليم مادته، ويعرف ما إذا كان الروس يريدون القيام بأي عمل معين، وكان الجواسيس يحملون بعض الأسماء المستعارة مثل "كارل" أو "هيلين". ليس تلك الطريقة الوحيدة لنقل المعلومات؛ بل يمكن للجاسوس إرسال المعلومات إلى عنوان شيوعي موثوق به؛ حيث سيأخذها الناقل. للمزيد ينظر: .spotlight On Spies: op. cit, Pp 7-8

[54] Lawrence D. Swickard: op. cit,P.35.

[55] Agnes Gereben Schaefer: op. cit.,P..

[56] *كان "الجير هيس"يعمل لدى جهاز الاستخبارات الخارجية العسكرية الرئيسة في روسيا" GRU Glavnoye Razvedyvatel'noye Upravleniye "وأنشأ شبكة تجسس موازية لشبكة هاوريد وير Harold Ware. حصل= =على مواد سرية من هاري دكستر وايت Harry Dexter White وجورج سيلفرمان George Silverman و وجوليان ودليج Julian Wadliegh. في عام 1936م أصبح هيس مساعداً لفرانسيس ساير، مساعد وزير الخارجية. كان لديه قدرة كبيرة للوصول إلى مجموعة واسعة من البرقيات، والكابلات السرية، والحساسة بين الدبلوماسيين الأمريكيين، والملحقين العسكريين في أمريكا وأوروبا. من صيف عام 1939م، وحتى مايو 1944م عمل هيس كمساعد لـ ستانلي ك. هومبيك Stanley K. Hombeck، المستشار السياسي لقسم الشرق الأقصى بوزارة الخارجية. صرح ستانلي ك. هومبيك لاحقًا بأن هيس رأى كل ما رآه، وكان متأكدًا من أنه نقل كثيرًا منه إلى مفوضية الشعب للشؤون الداخلية في روسيا NKVD Наро́дный комиссариа́т вну́тренних дел: Naródnyy komissariát vnútrennikh del؛ لم يكن ستانلي ك. هومبيك على دراية بوجود الاستخبارات السوفيتية GRU وافترض أن هيس كان يعمل مع مفوضية الشعب للشئون الداخلية بروسيا NKVD.للمزيد انظر:

Lawrence D. Swickard: op. cit,Pp.25-26.

[57] "Nothing has proved." Times, Issue: 64996, July 2, 1994, p. 16.

في البداية كان كثير من المسؤولين يميلون إلى صرف النظر عنه، ولكن الأمر كان مختلفًا عند "ويتاكر تشامبرز"[58] ففي أغسطس 1948م[59] وجه إلى "ألجير هيس" اتهامات أمام "لجنة مجلس النواب للأنشطة غير الأمريكية" بالعمل لصالح الاتحاد السوفيتي [60]؛ حيث أُتهم بسحب وثائق سرية من ملفات وزارة الخارجية قبل الحرب العالمية الثانية لتسليمها لعملاء روس [61]. ووجهت إليه تهمة العضوية في مجموعة سرية تابعة للحزب الشيوعي الأمريكي [62]. ورد "ألجير هيس" على ذلك برفع دعوى قضائية ضد "تشامبرز" بتهمة التشهير؛ مما أجبره على الكشف عن أدلة تثبت أن "الجير هيس" كان جاسوسًا .[63] وأدى إلى إدانته بالحنث باليمين[64]. كرر "تشامبرز" هذه الاتهامات في برنامج إذاعي بعنوان" قابل الصحافة "Meet the Press"، وفي 17 نوفمبر 1948م تم إصدار وثائق مطبوعة تؤكد تجسس "هيس" تتألف من 65 صفحة من الملخصات، ومقتطفات من وثائق وزارة الخارجية [65].

وعلى الرغم من نفى " ألجير هيس " التهم الموجهة إليه لكن هيئة المحلفين الكبرى وجهت إليه تهمة الخيانة للحكومة الأمريكية. [66]وفي الثاني من ديسمبر 1948م سلم "تشامبرز" للمحققين شريطين من الأفلام المصورة كان قد أخفاها في مزرعة "قرع مجوف" في مزرعته الخاصة، تتكون هذه الأفلام من صور لوثائق وزارة الخارجية التي ادعى "تشامبرز" أن "هيس" سلمها له خلال الفترة من يناير إلى أبريل 1938م، وقد تمت الإشارة إليها أثناء المحاكمات باسم "أوراق القرع [67]".

حيث استغل "هيس" منصبه كمدير لمكتب الشؤون السياسية الخاصة في وزارة الخارجية، فكان لديه إمكانية الوصول إلى كثير من الوثائق الحساسة بما في ذلك الأوراق المتعلقة بالاستراتيجية العسكرية الأمريكية في زمن الحرب، وكان "هيس" جزءًا من وفد وزارة الخارجية في مؤتمر يالطا عام 1945م،واستعدادًا للمؤتمر قامت وزارة الخارجية بصياغة أوراق مواقف ومخططات لاستراتيجيات المفاوضة الأمريكية بما في ذلك القضايا التي تود الولايات المتحدة تقديم تنازلات بشأنها، أو الوقوف بحزم، وتم تنظيم أوراق المواقف والاستراتيجيات من قبل مسؤولي وزارة الخارجية في دفاتر يشار إليها باسم "الكتب السوداء". وكان لهيس إمكانية الوصول إلى الكتب وكشف محتوياتها لمتعهديه السوفيت، فعلى سبيل المثال عرف "ستالين" قبل مؤتمر يالطا أن الأمريكيين لن يعارضوا السيطرة السوفيتية على بولندا، أو الدول التي يحتلها الجيش الأحمر، وفي عام 1945م أصبح هيس الأمين العام للأمم المتحدة المؤقت في سان فرانسيسكو في الوقت الذي كان فيه كل من "دين أتشيسون " و"جيمس بيرنز James Byrnes" على علم بأن الشائعات حول "هيس" منتشره منذ عدة سنوات.[68]

في 15 ديسمبر 1948م وهو اليوم الأخير من ولاية هيئة المحلفين الكبرى[69] في نيويورك[70] . كان قد انتهت صلاحية قانون التقادم للتجسس على الرغم من أن التهمة كانت الكذب على هيئة المحلفين الكبرى كان الرأي العام يرغب في معرفة الحقيقة، وهي ما إذا كان "هيس" جاسوسًا، وفي عام 1949م سيطرت محاكمة التجسس الكبري على العناوين الصحفية، وأثارت جدلًا كبير بين المناهضين للشيوعية [71].

وفي يوليو1949م كان هيس تحت لائحة اتهام بتهم الحنث باليمين فيما يتعلق بالوثائق السرية التي أزيلت من ملفات وزارة الخارجية في عامي 1937 و 1938م [72].وبعد أن دافع "هيس" بأنه غير مذنب في التهم الموجه إليه حُكم مرتين، وبدأت المحاكمة الأولى في 31 مايو 1949م، وانتهت في 8 يوليو 1949م باختلاف هيئة المحلفين[73]. وفشلت المحاكمة الأولى في التوصل إلى قرار [74]. واستمرت المحاكمة الثانية من 17 نوفمبر 1949 إلى 21 يناير1950[75]

58 "Mr. Whittaker Chambers." Times, Issue: 55131, July 12, 1961, p. 19.
59 "Nothing has been proved:op. cit,, p. 16.
60 Michael Dobbs:op. cit, p. 3.; **and also:** Cable Dispatches. "Whittaker Chambers Dies at 60; Was Key Witness in Hiss Trial." New York Herald Tribune, Issue: 24412, July12, 1961, p.1.
61 From Our Own Correspondent. "U.S. Espionage Inquiry." Times, Issue: 51249, Dec 8, 1948, p. 3.
62 FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion.". Federal Bureau Of Investigation, June 7, 1957, P.3.,
63 Stephen Pollard. "US bad, anti-US good. QED." Times, Issue: 68942, Feb 22, 2007, p. 16.
64 OUR OWN. "Alger Hiss Conviction Confirmed." Times, Issue: 51870, Dec 9,1950, p. 5.
65 FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,P.3.
66 "Nothing has been proved, Op. Cit, p. 16.
67 FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,.P.3.

68 Lawrence D. Swickard: op. cit, P.26.
69 FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,.,P.3.
70 "The Spy Serial." Economist, Volume: 156, Issue: 5497, Jan 1st, 1949, p. 17.
71 David Culver: op. cit, p.23.
72 Committee on Un-American Activities: Chronological report of events from August 1948 through January 1950 of proceedings of the House Committee on Un-American Activities HUAC with regard to Alger Hiss., Jan 22, 1950., P.1.
73 FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit, Pp 3- 4.



قدِّم "هيس" للمحاكمة بتهمة الحنث باليمين لإنكاره تقديم مستندات سرية إلى "تشامبرز" وزعمت الحكومة أن الوثائق صدرت في فبراير ومارس 1938م [76] ارتكب هيس عشرة مخالفات أثناء عمله في وزارة الخارجية[77]، وعامة صدر حكم بالإدانة في كلتا التهمتين في 25 يناير1950 م [78]. وحكم عليه بالسجن خمس سنوات [79]، ونفذت الأحكام بشكل متزامن، وأكدت الإدانة من قبل محكمة الاستئناف الأمريكية في 7 ديسمبر 1950م، وفي 3 يناير 1951م قدم التماسًا، وتم رفض إعادة الاستماع، وتم إصدار حكم النهائي بـ هيس في 22 مارس1951م، وأُطلق سراحه من السجن في 27 نوفمبر 1954م بعد أن قضى أقل من عقوبته إجازة لحسن السلوك[80]. وبذلك نستنتج أنه مع إدانة "ألجر هيس" نجح الاتحاد السوفيتي في جعل بعض الأشخاص الشيوعيين يدينون بالولاء لصالحه،

الخاتمة

مما سبق يتضح أنه

مع الاعتراف الدبلوماسي من قبل الولايات المتحدة بدأ التسلل السوفيتي إلى الحكومة الأمريكية في كثير من إداراتها؛ وذلك للتجسس الشيوعي، ونقل أسرار الحكومة الأمريكية لصالح الاتحاد السوفيتي لاختيار أنسب الأوقات للإطاحة بالحكومة الأمريكية من خلال شبكات تجسس شيوعية سوفيتية كبرى، ولإتمام تلك المهمة جند الاتحاد السوفيتي كثيرًا من الجواسيس لصالحه؛ باستخدام الحزب الشيوعي الأمريكي كواجهة للعمل التجسسي، وبذلك يمكن القول بأن كل جاسوس شيوعي، وليس كل شيوعي جاسوس؛ لأن الاتحاد السوفيتي وضع معايير لاختيار الجواسيس الشيوعيين لتجنيدهم لصالحه.

كان كثيرًا من الأمريكيين الشيوعين على استعداد لمساعدة الاتحاد السوفيتي الذي جندهم لصالحه للحصول على أسرار الحكومة الأمريكية؛ فوصل الجواسيس الشيوعيون إلى وزارة الزراعة، ووزارة الخارجية، وبذلك نجح الاتحاد السوفيتي في اختراق الحكومة الأمريكية، واتضحت أسماء كثير من الجواسيس الأمريكيين المنتمين للحزب الشيوعي الأمريكي الذين نقلوا أسرار الولايات المتحدة إلى الاتحاد السوفيتي.

التجسس الشيوعي اتسم ببعض الحذر والدقة في اختيار الجواسيس الشيوعيين؛ فكان لابد من توافر شروط للجاسوس، ومنها أن يكون مؤمنًا بالمبادئ الشيوعية، وأن يكون في منصب عال ومهم في الحكومة الأمريكية، وأن يكون ولاؤه الكامل للاتحاد السوفيتي، وعلى استعداد بالتضحية من أجلها؛ لذلك استغل الاتحاد السوفيتي كثيرًا من المتعاطفين معه ومؤيدين مباده الشيوعية لتحقيق أهدافه.

ومما سبق يتضح أن" الجير هيس" قد عمل على استغلال منصبه للتجسس لصالح السوفييت؛ فالتهمة بالتجسس جاءت بناء على أدلة منها ما صرح به ويتاكر تشامبرز بوجود وثائق تؤكد إدانته، وكذلك ما نشر حوله من الشائعات التي كان على علم بها دين أتشيسون، ورغم أنكاره تهمة التجسس إلا أن كان الاصرار على إدانته.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: وثائق غير منشورة

1- Committee on Un-American Activities : Chronological report of events from August 1948 through January 1950 of proceedings of the House Committee on Un-American Activities (HUAC) with regard to Alger Hiss. , Jan 22 , 1950.

2- Committee on Un-American Activities : Organized Communism in the United States,Committee on Un-American Activities , House of Representatives , Eighty–Fifth Congress, Second Session , Washington, D. C., August 19, 1953.

3- FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion.". Federal Bureau Of Investigation, June 7, 1957.

4- Report on FBI domestic and foreign liaison activities. Federal Bureau of Investigation, Jan 26, 1953.

ثانياً: دوريات

1- Adam J. Hodges : Thinking Globally, Acting Locally: The Portland Soviet and the Emergence of American Communism, 1918-1920 , The Pacific Northwest Quarterly, Vol. 98, No. 3 , Summer, 2007.

2- Richard Gribble : United States Recognition of Soviet Russia: 1917-1933- Church and State Responses , American Catholic Studies, Vol. 119, No. 4, 2008.

---

[74] "Nothing has been proved." Times, Issue: 64996, July 2nd, 1994, p. 16.

[75] FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,Pp 3- 4.

[76] Committee on Un-American Activities: Chronological report of events from August 1948 through January 1950,op. cit, P.1.

[77] Our Own Correspondent. "Hiss Convicted of Perjury." Daily Telegraph, Issue: 29506, Jan 23, 1950, p. 8.

[78] FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,Pp 3- 4.

[79] "OUR OWN. "New Trial Denied To Alger Hiss." Times, Issue: 52534, Jan 31, 1953, p. 6. **;and also:** "The Hiss Case." Times, Issue: 52611, May 2nd, 1953, p. 9.

[80] FBI review and analysis of book written by Alger Hiss entitled "In the Court of Public Opinion: op. cit,Pp 3- 4.



3- Robert J. Alexander : Splinter Groups in American Radical Politics ,Social Research, Vol. 20, No. 3, The Johns Hopkins University Press, Autumn 1953.

ثالثاً: المراجع

أ– المراجع اجنبية

1- Adam Ferenz : Joseph McCarthy and the Loss of China: A study in fear and panic ,Master, the American Culture Faculty , the University of Michigan-Flint , 2014.

2- Donald Elwin Adams : Collateral Damage : Anti-Communism & U.S. Cultural Policy , M.A. , University of Missouri–Kansas City, 2014.

3- Herbert Romerstein and Eric Breindel:The Venona secrets : exposing Soviet espionage and America's traitors , Regnery Publishing, Inc., Washington , 2001.

4- Landon R. Y. Storrs : Allegations of Disloyalty at Labor and Consumer Agencies, 1939–43 in" The Second Red Scare and the Unmaking of the New Deal Left " , Princeton University Press, 2013.

5- Lawrence D. Swickard : Soviet Espionage in the United States , 1945 to 1953 and the Response of the Truman Administration , Master ,University of Central Missouri , 2006.

6- Ryan Buchanan Prechter : "The Highest Type of Disloyalty": The Struggle for Americanism in Louisiana During the Age of Communist Ascendency, 1930s-1960s , Master ,Graduate Faculty ,University of New Orleans ,2011.

7- spotlight On Spies : Committee on Un-American Activities, U. S. House of Representatives , U. S. Government Printins office , Washington. D. C , 1949.

8- Theodore Draper: "The American communist party, a retrospective." , Springer, Society 40.6 , 2003

ب : المراجع العربية والمعربة.

1- آلان تُد : ديمقراطيات ودكتاتوريات سادت أوربا والعالم ١٩١٩-١٩٨٩، تعريب مروان أبو جيب، الحوار الثقافي، بيروت لبنان.

2- بلخيرة محمد : التحولات السياسية في الاتحاد السوفياتي وأثرها على الدول العربية " الوطنية " ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم السياسية والإعلام، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

3- روبرت. ب. رايش : الرأسمالية الطاغية، ترجمة علا أحمد إصلاح، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، د. ت.

4- سرمد زكي الجادر، وائل محمد إسماعيل : الإدراك الأمريكي للعلاقات الأمنية مع روسيا الاتحادية، مجلة قضايا سياسية، مجلد 14، الإصدار الأول، جامعة النهرين، 2008.

5- عبدالخالق عبد الله : العالم المعاصر والصراعات الدولية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩.

6- محمد المحاسنة : انهيار الاتحاد السوفياتي، راية مؤتة، جامعة مؤتة، المجلد الأول، العدد الأول، 1992.

7- نهاد الغادري : التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، دار الكاتب العربي، بيروت، ١٩٦٩.

8- وليم جاى كار : أحجار على رقعة الشطرنج، الحرية، القاهرة.

رابعاً: المقالات الصحفية.

1- "Mr. Whittaker Chambers." Times, Issue: 55131, July 12, 1961, p. 19.

2- "Nothing has been proved." Times, Issue: 64996, July 2, 1994, p. 16.

3- "Nothing has been proved." Times, Issue: 64996, July 2nd, 1994.

4- "OUR OWN. "New Trial Denied To Alger Hiss." Times, Issue: 52534 , Jan 31, 1953.

5- "The Hiss Case." Times, Issue: 52611, May 2nd, 1953.

6- "The Spy Serial." Economist, Volume: 156 , Issue: 5497 , Jan 1st, 1949.

7- Cable Dispatches. "Whittaker Chambers Dies at 60; Was Key Witness in Hiss Trial." New York Herald Tribune , Issue: 24412 , July12, 1961.

8- From Our Own Correspondent. "U.S. Espionage Inquiry." Times, Issue: 51249, Dec 8, 1948.

9- Levin, Carl, and the Herald Tribune Bureau. "Spy Inquiry Raps Clark, President." New York Herald Tribune [European Edition], Issue: 20400 , Aug 29 , 1948.

10- Michael Dobbs: "A New View of U.S.-Soviet Spy Links." International Herald Tribune, Issue: 34874 , Apr1 13, 1995.

11- Nazi-Communist Plot in the U. S..:Daily Mail, Issue: 13726 , Apr 22, 1940.

12- Our Own Correspondent. "Hiss Convicted of Perjury." Daily Telegraph, Issue: 29506, Jan 23, 1950.

13- OUR OWN. "Alger Hiss Conviction Confirmed." Times, Issue: 51870, Dec 9,1950.

14- Stephen Pollard. "US bad, anti-US good. QED." Times, Issue: 68942, Feb 22, 2007.

15- Yesterday's New York Edition. "Controlling Communism." New York Herald Tribune, Issue: 20566 , Mar 11, 194.



اثنوغرافية وادي زم وبواديها؛ السماعلة، بني سمير، بني خيران
عادات، تقاليد، أمثال

الصافي عبد الرزاق

طالب باحث بسلك الدكتوراه

جامعة مُحمد الخامس كلية علوم التربية الرباط

تقديم:

يُعرف المغرب عامة بخصائصه الثقافية المتميزة، منطقة وادي زم لا تخرج عن هذا التميز الذي يستهوي اعداد كبيرة من الباحثين المتخصصين والمهتمين العاديين للنبش فيه، ويوما عن يوم تزداد الأصوات المنادية بضرورة إيلاء الذاكرة المحلية مزيدا من العناية والاهتمام. لما للموضوع من أهمية وملحاحية آنية غير قابلة للتأجيل في ظل زحف سريع للتنميط الثقافي الذي تبشر به العولمة، وما يمثله من خطر مهدد بمسح الذاكرات المحلية وطمسها، والقضاء على الهويات المميزة لجماعة عن الأخرى.

حظيت الثقافة باهتمام مجموعة من المشتغلين في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية، في مجال التاريخ والسوسيولوجيا والاثنوغرافيا، والأدب والأنثروبولوجيا، التي كلها تتداخل وتتعاون مع بعضها، لتكمل بعضها وتغطي نقص بعضها، وتملء ثغرات بعضها، خاصة وان العولمة اليوم تهدد قبل أي وقت مضى المجتمعات البشرية بمسح ذاكرتها وطمس هويتها. وهنا ظهر التاريخ الجديد على يد مجموعة من الرواد الذين رفعوا راية الحفاظ على التاريخ، التاريخ الجديد، من خلال البحث عن المنسي والمهمش، لذلك سنحاول في هذا الإطار البحث عن بعض اثنوغرافيات وادي زم.

ملخص البحث:

يتميز المغرب بتنوعه الثقافي، ومدينة وادي زم وبواديها لا تخرج عن هذا الإطار بقبائلها الثلاث؛ السماعلة، بني سمير، بني خيران، في أدوات طبخها، واعداد خبزها، واطبخها وغنائها وأمثالها في مختلف تجليات الثقافة الشعبية التي تعكس عيش الفئات العامية البسيطة المهمشة والمغيبة عن دائرة التاريخ الرسمي الحدثي، دون اغفال احتفال التبوريدة الذي تشارك فيه كل قبائل المنطقة ودواويرها باعتبارها تعكس الشجاعة والقوة والكرم.

الكلمات المفاتيح:

اثنوغرافيا، الطبخ، العادات، الأمثال، التبوريدة.

أدوات الطبخ:

شكل الطبخ أساس حياة الإنسان ليضمن عيشه، لذلك استعمل مجموعة من الأدوات "لا شك أن الأدوات هي التي جعلت الإنسان إنسانا... فقد كان الإنسان يصنع نفسه، ويشكلها إذ يصنع أدواته ويهيئها، ومن هنا فإن السؤال أيهما جاء أولا –الإنسان أم الألة –سؤال أكاديمي بحت، فلم تُوجد أداة إلا مع وجود الإنسان. كما أن الإنسان لم ينشأ إلا بظهور الأداة. لقد جاءا إلى الوجود معا، وارتبط أحدهما بالأخر ارتباطا لا ينفصم"(إبراهيم الحيسن، 2014، 126). وساهمت الإرادة الإلهية بشكل كبير في اكتشاف الأداة وتطويرها على مر الأزمان، ويمكن تفصيل هذا على النحو التالي:

أدوات تحضير الشاي والقهوة:

تستعمل في اعداد الشاي مجموعة من الأواني المهمة بعدما "ظهرت في وسط الصناع حرفة جديدة أبدع أصحابها في صنع أدوات تحضير الشاي من: صينية، وبراد، وإبريق، وبابور، وربايع..."(عبد الحق المريني، 1999، ص10) ، فقد فرضت جلسات حضور هذه الأدوات في مناسبات مختلف الطبقات الاجتماعية، لأنه يذهب الحزن عن النفوس، ويبعث فيها البهجة والانشراح والفرح، وفي هذا السياق يمكننا ذكرها على الشكل التالي:

- **الْصِينية:** إناء معدني دائري الشكل، منها الصغيرة الحجم التي لا أرجل، وهناك الكبيرة الحجم التي تتوفر على ثلاث أرجل، تصنع من النحاس أو من الفضة، وأيضا من الألنيوم، وهي مزينة بمجموعة من الزخارفوالرموز.

- **أَلْمُقْرَاجْ:** الإناء الذي يغلى فيه الماء، يقولون عنه "طَيَّبْ المَا فِي أَلْمُقْرَاجْ"، إذ بواسطة هذا الماء المغلي يتم إعداد الشاي، اذ يمتنع كل من تكفل بإعداد الشاي عن الماء الغير المغلي بشكل جيد ويشترط أن يكون إبريقا جميلا ذو حجم كبير في حضرة الضيوف لأنه يعكس المكانة والحظوة التي يتمتع بها صاحب البيت، لذلك كان



الحرص على اقتناء النحاسي الذي يسهل تنظيفه والذي يعطي لمعانا خاصا، الذي يكون له مجمر خاص به يشعل فيه الفحم الخشبي الذي يعطي نار هادئة وبالتالي اعداد شاي ذو جودة عالية.

- **أَلْبَرَادْ:** إناءتوضع فيه حبوب الشاي، ويتم إضافة القليل من الماء الساخن لتنقية هاته الحبوب من كل الاوساخ التي يمكن أن تعلق بها، وهذه العادة تسمى "التَشْليلة"، ثم يضيفون إلى تلك الحبوب السكر(قْوَالَبْ دْيَالْ أَلسُكَرْ أَلْمَهْرْش)، وأيضا اعشاب "أَلنَعْنَاعْ أو أَلْوَرْكَةْ" لمن كانت تعجبه، ويتركونه فوق النار حتى يطهى "خَلِي أَلْبَرَادْ إِطْلَعْ فَوْقْ أَلعَافْيَةْ"، بعد أن يطهى يتركونه يغلى من خلال القول "خَلِي أَلْبَرَادْ إِتْبَخْ" حتى يكتسب مذاقا افضل يقوم "العمار" بأخذ القليل من الشاي في كأس ليتذوق ويمنع عليه بعد ذلك إرجاع الباقي في الإبريق، ومن أدبيات إعداد الشاي غسل اليدين، ومسحهما بقطعة قماش تسمى "الفوطة" التي يمنع عليه مسح وجهه أو فمه بها، كما يمنع عليه أثناء أعاد الشاي كح انفه او فمه... بل وأن الحاضرون يراقبونه لتسجيل أي زلة تجعلهم يمتنعون عن الشرب ولمعرفة مدا أحقيته لهاته المهمة الصعبة دون إغفال أن من واجبه مد بكأسين أو ثلاث لجيرانه المقربين من اليمين واليسار قبل مناداة شخص يتكفل بتوزيع الكؤوس على الضيوف، وهاته الكؤوس من آد بياتها عدم الملء ومن اقترف خطأ الملء يقال له هذا كاس حراثي(رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم 2022/01/22، على الساعة التاسعة مساء في عشاء المرحوم الكَفي بقبيلة الكفاف).

هناك عدة أنواع من الأباريق "الْبْرَارَدْ"، "أَلْبَرَادْ أَلصْغِيرْ، البَرَادْ أَلكْبِيرْ، لْبْرِيقْ"، البراد الكبير يكون للضيوف، البراد الصغير للعائلة المتراوحة أعدادهم ما بين 5 إلى 10 أشخاص، ثم أَلْبْرِيقْ فهو خاص بشخص واحد أو شخصين.

- **أَلْرْبِيْعَةْ:** هي علبة معدنية، فيها أنواع؛ واحدة كبيرة يتم وضع السكر فيها، وواحدة متوسطة تستعمل للنعناع أو الوَرْكَةْ، الشيبة، السالمية، النعناع المانتي"، ثم هناك الصغيرة التي توظف لحبوب الشاي(رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم 2022/01/23، على الساعة الرابعة زوالا).

- **أَلْهَرَاسَةْ تَعْتْ أَلسُكَارْ:** هي أداة مخصصة لتكسير قوالب السكر، عبارة عن مطرقة حديدية، وْتَدْ حَدِيدِي، حجرة صلبة.

- **لْمْجْمَرْ:** إناء يضعون فيه الفحم الخشبي "أَلْفَاخْرْ"، الذي يتم بواسطته إعداد الشاي والطبخ أيضا، يصنع من التراب، بمعنى أنه مجمر طيني، أو من الحديد. لكن لم يعد كل سكان وادي زم يقومون بإعداد الشاي فوقه كما في السابق، كما يمكننا الإشارة إلى أن قنينة الغاز عوضت الفحم الخشبي أو الحطب، لأنها تختصر الوقت وتجنب العيون الدخان الذي يسبب سيلان الدموع.

- **أَلرَابُوزْ:** وهو المنفاخ الذي يساعد على اشعال النار وتقويتها، يصنع من الجلد والحديد أو الخشب، يزخرف بمجموعة من الكتابات والألوان.

- **كْتَانَةْ تَعْتْ أَلْكِيسَانْ:** هي قطعة ثوب، تستعمل لمسح الكؤوس، وتنشيفها بعد القيام بغسلها، يسمى "زْيَفْ تَاعْ أَلكِيسَانْ".

كان تحضير الشاي يرتبط بمجموعة من "الطقوس والتقاليد، فلم تكن أسبقية تحضيره تعطى إلا لذوي الشأن القبيلة أو للأب في العائلة، وكان شربه يمنع في كثير من بوادي المغرب على النساء والأطفال والرعاة، وكان الرعاة والأطفال يكتفون بأكل الطبخة (وهي أوراق الشاي والنعناع المتبقية في البراد بعد إفراغه من مشروب الشاي)، بعد انتهاء الجماعة من شرب الشاي، كما كانت صينية الشاي ومجالس تحضيره فرصة للاجتماع والمحادثة والتذاكر. وقد رأى هوفر Hofferr أن استهلاك الشاي خلق مضاعفات اجتماعية غريبة، وفتح بالفعل ثغرة أولى في الاستقلال الذاتي للعائلة، التي كانت في السابق تعيش على منتجاتها المحلية. وتحدث مييج Miège عن تكاثر البقالة بسبب الإقبال على السكر والشاي، كتحول اقتصادي في المغرب المعاصر بأنها عوامل انتشار عادات غذائية جديدة"(بوجمعة رويان، 2020، 40).

❖ أدوات تحضير وجبة الغداء والعشاء:

أَلْبَانْيُوْا: إناء بلاستيكي يملأ بالماء، يتم تقطيع الخضر ووضعها فيه حتى تغتسل بشكل جيد وتفاديا لصلابتها بعد إزالة قشرتها.

أَلْمُوسْ: سكين صغيرة، ذات شفرة حادة تستعمل لتقطيع الخضر، ويطلق عليها "جْنْوِي تَاعْ أَخُضْرَةْ".

أَحَكَاكَةْ: هي قطعة بلاستيكية دائرية الشكل، لها ثقوب متفاوتة الكبر، حسب إرادة المستعمل، إذ تستعمل لحك الجزر، الطماطم، البصل، الثوم... لإعداد الوجبات الغذائية حسب الرغبة.

أَلْكُوكُوطْ: إناء كبير صنع من الألمنيوم، يستعمل لطبخ الخضر واللحم.



أَلطَنْجْرَة /أَلْكَامِيلَة: إناء دائري كبير يستعمل لطهي الخضر واللحم، التي تشكل ما يسمى "أَلْمَرَكَة" أو المرقة، ولها احجام مختلفة.

أَلْخِيمَة: وهي إناء خزفي كبير يستعمل لإعداد الوجبات الغذائية.

أَلْحَمَاش /أَلْحَوَّاز: إناء صغير يستعمل لإعداد المرق، وهو الذي كان سائدا قبل وزمن الحماية الفرنسية على المغرب.

أَدَوَاتْ إِعْدَادْ أَلْكُسْكُسْ: هذا الكسكس يسمى في المنطقة "ألطْعَامْ "، وأدواته على الشكل التالي :

- **أَلطَبَكْ:** إناء دائري يصنع من نبات "السمار" الذي ينتشر في الاودية، وأيضا الدوم، يستعمل لصنع الكسكس، تسمى هاته الطريقة ب "تَيْطُرْنُوا أَلْطْعَامْ"، ويقلبون فيه الكسكس بعد إخراجه من الفخار.
- **أَلْبُورْمَة:** هي إناء كبير مصنوع من الألمنيوم، تطبخ فيه الخضر، اللحم، يوضع فوقها الفخار لاستقبال الماء المتبخر.
- **أَلْفَخَار:** إناء على شكل هرم مقلوب، يوضع فيه الكسكس، بركوكش، البلبولة بعدما تغسل.
- **أَلْقَفَال:** قطعة توب أو بلاستيك يتم احاطتها بجانبات الفخار حتى لا يخرج البخار.
- **شَبْكَة**: هي إناء بلاستيكي مشبك بتقب صغيرة يستعمل، "لِتْسَقْطِيرْ" الخضر، والكسكس، نعناع، العنب، التفاح... من الماء.
- **أَلْغُرْفْ:** ملعقة كبيرة مصنوعة من الخشب أو الحديد، تسمى أيضا بِأَلْغُرْفَة، تستعمل لغرف المرق.
- **أَلْطَبْسِيل:** يسمى أيضا بِأَلغْطَارْ، وهو الصحن الذي يوضع فيه الأكل، وهو أنواع، الصحن الحديدي المزخرف بالصباغة، الصحن الخزفي الذي يتناول فيه الضيوف الطعام، أي أنه خاص بالضيوف فقط(رواية شفهية للسيدة مباركة الجوراني، يوم 2022/01/24، على الساعة 10:00، بقرية تاشرافت).

❖ الأدوات المستعملة للدقيق بالمنزل:

توجد مجموعة من الأدوات التي تستعمل في "تْغَرْبِيلْ" القمح وأيضاً الدقيق داخل المنزل، وهي:

- **أَلْغُرْبَالْ أَلْسَيَارْ:** تَيْسَيْرُوُا فِيهْ أَلْكَمْحْ، وتسمى هاته العملية أيضا بِتَبْرْزْدُوُا فيه القمح، تقوم هاته العملية على وضع القمح في هذا الغربال لعزل "أَلْخَمَاجْ" أي بعض النبتات منه مثل أَلْحْسْكَة، بُوزْغَيْبَة، صْفَى...
- **أَلْغُرْبَالْ أَلْهَلْهَال:** يتم فيه وضع الدقيق الغير المغربل، ويعمل على التغربيل لكنه يسمح بمرور القليل من "أَلْسْمِيدَة".
- **أَلْغُرْبَالْ شْطَاطْوُا:** هو الآخر يوضع فيه الدقيق من أجل التغربيل، لكنه يتميز بكون يخرج الطحين أي الدقيق الصافي بدون سميد.
- **أَلْغُرْبَالْ أَلْقَعَادْ:** يضعون فيه أَلبَلْبُولَة، حتى يتم عزل حبوب البلبولة عن ورق الشعير يسمون هذه العملية ب"تَيْقَعْدُوا أَلْبَلْبُولَة" .

2- أدوات تخزين الدقيق: يتم تخزين الدقيق، البلبولة، السميد، في "أَلْمْزَاوْدْ" التي كانت تصنع من جلود الأغنام والماعز والابقار وقد عوضت ببراميل حديدية أو البلاستيكية(رواية شفهية للسيد عبد القادر الشريفي، يوم 2022/01/24، بقبيلة السيالة دوار كناوة في منزل ولاد المعطي ولد المولى عبد السلام).

3- أدوات عجن الدقيق: تستعمل في العجن أَلْكَصْعَة، هذه الأخيرة تختلف من حيث الصنع إذ نجد المصنوعة من الخشب، وأيضا من البلاستيك، كما تصنع من التراب "قَصْرِيَة بُوجْبَرْ"؛ على اختلافها يتم وضع الدقيق فيها حسب الحاجة إلى الخبز من خلال عدد المستهلكين، تم يوضع الملح، السكر، وتبدأ عملية تخليط الدقيق باليدين بإضافة الماء الساخن، وبعد مدة من ذلك يضاف الخمير الذي ينقسم إلى نوعين؛ "الخميرة الرومية" التي يتم شراءها من السوق، و"الخميرة البلدية" التي تصنع من الدقيق والسكر بوضعها في قنينة صغيرة وإضافة الماء إليها وانتظار مدة خمسة أو ستة أيام إلى أن تصبح جاهزة، ويتم ذلك العجين بشكل جيد، بعد التأكد من دلكها تغطى بقطعة توب تسمى "المنديل"، الذي يمثن بثوب صوفي لتوفير الحرارة الكفيلة بنفخ العجين "تخمار العجينة"، لتشرع المرأة في عملية أخرى تسمى "تكراص"، التي تقوم على تكوين مجموعة من الكويرات المتوسطة بالعجينة وتعمل على خبطها باليدين بشكل جيد يجعلها دائرية الشكل، ثم القيام برش القليل من حبوب البلبولة، السميد...، ويتم تغطيتها كما في المرة السابقة إلى أن تنتفخ" تَخْمَارْ" وتصبح في وضعية مؤهلة لأن تدخل للفرن "إنور، الفران"، الذي يتم إشعال النار فيه عن طريق وضع مخلفات الأبقار، الأغنام، الماعز...، أو أغصان السدرة اليابسة، "خُشْلَاغْ"، و يتم إشعال فيها النار، ويستعمل قضيب حديدي يسمى "الفركان" لتحريك النار داخل الفرن، وبعد أن يجهز الفرن ويصبح قابلا لإستقبال عجين الخبز.

يتم وضع العجين على قطع قصديرية، تسمى "حديدات، صواني" بإستعمال اليد ورميها بحذر حتى لا تسقط وحتى لا تحترق





يد المرأة المكلفة بذلك، وبعد الانتهاء من وضعها في الفرن تم غلق فوهة الفرن بواسطة البسة قديمة أو هدون(رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني، يوم 2022/01/25، على الساعة: 11:53، بمدينة وادي زم حي دار الضوء).يتم الانتظار لقليل من الوقت لرؤية إن أصبح جاهزا للأكل "إطيب"، ليتم إخراجه من الفرن.

- **الكانون:**

توظف المرأة الوادزمية في عملية الطبخ ما يعرف بالكانون، الذي يتم تجهيزه عبر القيام بحفر حفر صغيرة في زاوية المطبخ "أَلْكَشِينَةَ"، بوضع ثلاث أحجار كبيرة تسمى "أَلْمْنَاصَبْ"، وثلاث قضبان حديدية تتكئ على بعضها، تعلق فيه المرأة الوادزمية إناء الطبخ إذ يتم طهو في هذا المكان؛ التشيشة، الأرز، العدس، الفطائر، أو تسخين الماء في مُقْرَاجْ، بعد وضع التبن أو "زْبَزُيُوخْ" بإشعال النار فيها، ونظراً لأن هذه المواد تطلق الدخان فكل فالأواني تصبح سوداء اللون.

- **الغناء:** "الأدب الشعبي هو أحد جوانب التراث الأساسية الذي يصور بدقة واقع حياة عامة الشعب

من عادات وأعراف وعقائد وفنون، نتعرف من خلاله على نفسية أفراد المجتمع وفكرهم وأخلاقهم ومعاناتهم"(إبراهيم الحيسن، 2012، ص. 53)؛ تشكل الموسيقى التعبير عن مكونات وآلام الإنسان، "إن الموسيقى لهي سياسة بلا روح ولا تعال، مادية وعلائقية، (هكذا) تشكل النشاط الأكثر عقلانية للإنسان. تقوم الموسيقى، وتجعلنا نقوم بالحركة، تؤمن تجاوزنا وتملؤه بمفردات ...الخ"(إبراهيم الحيسن، 2012، ص. 272).

يردد سكان وادي زم مجموعة من الأغاني للترويح عن أنفسهم من هموم الدنيا ومشاغلها وفق كلمات متقاربة الأوزان ويتضح ذلك من قول إبراهيم الحيسن؛ "من حزن فليسمع الأصوات الحسنة، فإن النفس إذا حزنت خمدت نارها، فإذا سمعت ما يُطربها ويسرُّها اشتعل منها ما خمد. وليس مما يستلذ به أخف مؤونة من السماع"("(إبراهيم الحيسن، 2012، ص. 278) كما يتم ترديدها في احتفالاتهم، فسواء في الأعراس، أو في الولائم يتم ترديدها، وهي أغاني تتحدث عن أهمية استحضار الموت، فمهما ملك الانسان، من مال وجاه وعز وحكم، فهو زائل من خلال:

1-أهمية طاعة الله ورسوله:

- وَاهْ خْبِيبْتِي وَاهْ وَاحَدْ مَبْلِي
- ْبِالْحْكَامَةْ كَاعْ دَنْيَا طَيْعَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاحَدْ مَبْلِي.
- بِشْرُوتْ كَاعْ دَنْيَا جَيَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاحَدْ مَبْلِي بِلَكْدُوبْ.
- جْهَنَمْ وارْثَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاحَدْ مَبْلِي بِالبَيْعْ.
- أو شْرَى مَعَرْفُوا مْنِينْ جَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- وَلَاشْ تَخَمَمْ يَا بْنَادَمْ لَاحِيلَةْ مْعَ الله.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- يَا بْنَادَمْ صَلِي أُو صُومْ رَدْنْيَا مَادُومْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- لُو كَانْ دَنْيَا دُومْ دُومْ لْوُلْ دَشَرْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- بَنَا لْقَصْبَةْ فِي دْشَرْ بِمُخْ لَبْكَرْ.
- وَاهْ خْبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- نَبْدَاو فِي صْلَاتِي عْلَى نبينا مُحَمْدْ أُو نْزِيدُوا فِي صْلَاهْ.
- وَاهْ خْبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- وَلَيْ يَخْلِيكْ يَا دَنْيَا شْحَالْ مَنْ وَاحَدْ غَارَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- لُوكَانْ دَنْيَا دُومْ دُومْ لَشَدَادْ أُو بَاهْ.
- وَاهْ خْبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- لَقْصَرْ مَبْنِي بِأَلْفَضَةْ شِي وَالُوا مَادَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- مَخْلَقْنَا رَبِي عَنْكُونُوا عْبِيدُوا أَوْ نَتْصَرْفُوا فْدَاهْ.
- وَاهْ حَبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- لِدَارْ لِينَا لَّا جْهَنَمْ خْدَاهْ.
- وَاهْ خْبِيبْتِي وَاهْ وَاهْ.
- طَاحَتْ أَلْقَمْرَةْ أُوْ نَجُومْ كُلْ تَيْضَوِي عَلَى كْدَاهْ(أغاني عبيدات الرمى السماعلة السيالغة، في حفل زفاف أحد الأشخاص يوم 2022/08/14)

❖ المعجـــــــم:

- مبلي بالحكامة: يحب السلطة والأموال.
- شي والوا ماداه: يوموت الانسان ولا يأخذ معه أي شيء.





- **مصدر النص:** نص غنائي لعبيدات الرمى السماعلة السيالغة دوار كناوة.
- **مضمون النص:** مؤدى هذا النص الغنائي، استحضار خوف الله سبحانه وتعالى، فلا الملك يدوم، ولا الجاه يدوم، ولا المال يدوم فالكل ملاقي ربه، الغني والفقير، الكل يفنى ويبقى وجه الله عز جلاله.

- الجفاف وأضراره:

- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- وَرَاهْ خَيل وُلادْ مُوسَى آوَا بْشَاتْ مْدرُوسَة.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- وَبَقْرَةْ أو دْحَيشْ شْحَالْ كْلُوا مَنْ خَيشْ.
- وَامُي هَاهْ'وَامُي هَاهْ.
- اَلعَوْدْ بْسَرْجُوُا مْسَارْنُوا خَرْجُوُ.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- وَنْبْكِي مَنْسكُتْ اَلعَوْد بِسْنَاحُو مْسَارنُوا طَاحُو.
- وَامُي هَاهْ'وَامُي هَاهْ.
- ثْلاثَةْ كِيلُو وَشْ اِعْجْنُوْا.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- سْنَحَاتْ الْبُولاتْ لِكَانُو عَنْدْ سَلْغُونَاتْ.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- رَاهْ عَلَى اَلْنَبِي صَلِينَا.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- رَاهْ زْرِيبْ خْوَا وَبْقِيتْ بْلاعَدَة.
- وَامُي هَاهْ وَامُي هَاهْ.
- قَاصْحِينْ اَلْكَبْدَة بْشَاو بْلاَ عْدَة.

❖ المعجــــم:

- ولاد موسى: فخدة صغيرة من قبيلة البراكسة المنتمية إلى إتحادية السماعلة .
- دحيش: الحمار الصغير.
- ثلاثة كيلوا: ثلاث كيلو غرام من الدقيق.
- زريب: حضائر الأغنام والماعز.

❖ **مصدر النص:** نص غنائي لعبيدات الرمى السيالغة السماعلة.

❖ **مضمون النص:** مضمون هذا النص الغنائي، التغني بالجفاف الذي أصاب المنطقة خلال فترات زمنية سابقة والذي بقي يحافظ على استمراريته عن طريق المشافهة، خاصة أنه يبين الأثر السلبي للجفاف على الساكنة، تراهم اليوم في هذا الموسم الفلاحي الجيد، يتخاطفون على تخزين الحبوب، وتخزين القش وهي أغاني هدفها تذكير الناس الغافلين بالجفاف حتى يأخذ الناس حيطتهم ويملئوا مطاميرهم خلال السنوات ذات المردودية المرتفعة تجنبا لكل مجاعة.

3- فيضان الأودية وأضراره:

- وَاهْ مُي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- رَاهْ حْثِيتْ أوْ مَعْنَى أوْ مَاهُواشْ غْنَا.
- وَامِي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- حَمَادِي الرْطَبْ شَرْكُو الْحْطَبْ(رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم 2022/01/25، على الساعة 13:00).
- وَامِي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- حَمَادِي لَهْشِيشْ شَرْكُوُ لَحْشِيشْ.
- وَامِي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- تْقَطْعْ دَيْرْ وَشْ نَدِير.
- وَاهْ مِي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- شْكَارَةْ الحَمْرَا شَدَتْهَا الحَمْلَة.
- وَاهْ مِي هَاهْ وَاهْ مِي هَاهْ.
- رَاهْ حْثِيتْ أوْ مَعْنَى مَهُووشْ غْنَا.
- وَاهْ مِي هَاهْ وَاهْ بُويَا هَاهْ.
- عْطِيوْنَا وْدْنِيكُمْ الله اِخَلِيكُم(رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم 2023/03/06، على الساعة 07:24 بسوق الاثنين وادي زم).

❖ المعجــــم:

- حثيت: الكلام.
- دير: حزام الحصان يكون عند الصدر.
- لهشيش: الرطب.

مصدر النص: نص غنائي لبعض الشباب من قبيلة السماعلة السيالغة.

مضمون النص: مؤدى هذا النص، هو أن شخص اسمه حمادي، تعرض للموت جراء فيضان الواد، حيث كان يركب حصانه بالقرب من الوادي، وإذا بهذا الأخير يقوم بقتل هذا الشخص المسمى حمادي بعدما أسقطه حصانه الذي تقطع حزامه والذي



يؤمن سلامة الراكب عليه، كما أن الأغنية تشير بين ثناياها إلى أن ما يردده الحفاظ ليس كلاما عابرا وإنما هو رصد للواقع "أَلْكْلَامْ حْثِيتْ أوْ مَعْنَى مَهُوشْ غْنَى"(رواية شفهية للسيد محمد الصافي، يوم 2022/07/14، على الساعة 10:45 بحي دار الضوء وادي زم).

❖ التبوريدة:

البارود أو التبوريدة تشكل معركة بالتبعية، فالمغاربة في دمائهم الحرب، عليهم القتال، يجب أن يتحدث البارود في جميع ظروف الحياة العظيمة، في حفلاتهم، في الفنتازيا، حفلات الزفاف وما الى ذلك، افضل طريقة للتعبير عن الفرح هو اطلاق النار، فالتبوريدة حرب على نطاق صغير[1].

"تختزن ذاكرة المغرب الثقافية والفنية العديد من الكنوز الثمينة، منها فن الفروسية التقليدية؛ وهو تراث عريق تعلق به المغاربة، وحافظوا عليه، حتى صار من العلامات المميزة التي يعرف بها المغرب. الفروسية التقليدية، أو أصحاب البارود، تسمية لعروض فروسية، تقلد الهجمات العسكرية التي خاضتها الجيوش المغربية، دفاعا عن الوطن. وتعود تسمية هذا الفن التراثي، إلى البارود الذي تطلقه البنادق أثناء الاستعراض"(حسن محمد منيعي، 2015، بتصرف).

تشكل التبوريدة إحدى أهم الاحتفالات الرئيسية التي تقوم بها قبائل وادي زم، فالحصان يشكل رمزا للجاه والمال والاحترام، لذلك كانت ولا زالت أغلب الأسر الوادزمية تتعاطى لركوب الخيل. فقد كان رمزا للجاه والعز والكرامة، كان الشخص الذي يرغب في الإحتفال بإحدى المناسبات يستدعي خيول الدوار التي لا تتجاوز عشرة خيول للاحتفال بعد شراء مادة البارود سواء الرومي ذو اللون الأسود الباهت، أو البلدى ذو اللون الأسود المائل الى الأزرق من السوق حيث كان يباع لدى "العطار"، أما فيما بعد فقد أصبح تنظيم المواسم يستغرق ثمانية أيام، يبدأ بيوم الأحد ثم ينتهي يوم الأحد، في البداية من الأحد إلى يوم الخميس صباحا تكون هاته الأيام كلها للاستعداد من خلال، نصب الخيام "وَالْوْثَاقَاتْ" وإحضار الأفرشة من زرابي وأواني وأيضا الخيول. يوم الخميس في الصباح يتم تجهيز سروج الخيول التي تكون أجزاؤها مفصولة عن بعضها البعض، وهي عدة عناصر؛ الشْكيرَةَ، العَياشة، الدير، الديرة، الدجاجة، الحزارة، السطارة، التراشح وكان عددها خلال فترة الحماية لا يتجاوز سبعة لبدات، وخلال المرحلة الحالية تصل الى حوالي أربع عشرة لبدة، وهي قطعة مربعة من الصوف، منها النوع الرومي ومنها االنوع البلدي(الحاج عزوز الصافي، يوم 2021/08/01، على الساعة 05:00، بدوار كناوة السيالغة السماعلة). ومن الواجب على الفارس ان يتميز ركابه بوصوله الى لحم الحصان ليستطيع احداث مجموعة من الخدوش به بواسطة أداة حديدية تسمة "المهمازة، الناعورة" ليقوم الريضة والجري بشكل جيد ان كان لا يتقن ذلك(رواية شفهية للسيد الفارس؛ سمحمد سقراط، السن 52 سنة، سي بوشتى الركادي السن 60 سنة، الحاج احمد الكرويطي، السن 50 سنة، الحاج عزوز الصافي، السن 56 سنة، يوم 2022/08/13، على الساعة 11:00، بموسم حميري السيالغة السماعلة).

"تبهر الفروسية التقليدية المتفرجين بما تقدمه من عروض، بحيث تصطف سربة الخيول بانتظام، يمتطيها فرسان القبيلة، على سروج مزينة بخيوط حريرية ذهبية وفضية، ويرتدون أزياء تقليدية، تختلف بحسب الأقاليم التي يمثلونها. ينتظر الفرسان إعطاء المقدم أو العلام صيحة البدء، التي تحث الخيول على التمايل والرقص، والتحفيز للانطلاق بعد الصيحة الثانية، فتخترق الخيول الميدان، في تسابق لا يتوقف إلا بصيحة ثالثة، تعلن إطلاق البارود بطلقات موحدة، تمثل فخرا للفرسان وقبيلتهم، مما يضفي تأثيرا خاصا على محبي تلك المشاهد، يعبرون عنه بالهتافات والزغاريد"(حسن محمد منيعي، بتصرف)، ويمكن التفصيل في ذلك من خلال القول أن الوادزميين خلال يوم الخميس مساءا (بعد صلاة العصر) تبدأ الفرق "سَرْبَاتْ" في عملية التبوريدة، والتي تبتدأ أولا بقيام كل فرقة أول الأمر بطلب "أَلتَسْلِيمْ "، حيث يقوم الفرسان بركوب خيولهم، ويقومون بما يعرف في المنطقة "بأَلْبَايْعَةَ" أو "الرَّيْضَةَ" أو "الهَدَةَ" يجعلون خيولهم تتمايل بأرجلها وتلعب بشعرها، وعندما يصلون إلى الخيام حيث يوجد الجمهور يطلبون "أَلْتسْلِيمْ" من خلال قول علام السربة "تَحِيَةَ" حينئذ يقومون بالانحناء على خيولهم ويجعلون أفواه بنادقهم إلى الأسفل أي إلى الأرض، طلبا لدعاء الجمهور، وتجنبا للعين. لتبدأ بعدها عملية إخراج أو إطلاق البارود، مع العلم ان الذي يستطيع الركوب على الحصان تكون له قوة جسمانية نوعا ما قوية للمثل الشائع بين الفرسان "الصحة تتعلم العبيزي"(رواية شفهية للسيد الفارس؛ سمحمد سقراط، السن 52 سنة، سي بوشتى الركادي السن 60 سنة، الحاج احمد الكرويطي، السن 50

---

[1] France- Maroc : reve mensuelle illustrée : organe du comité des foires du Maroc/ directeur Alfred de Tarde, Source Gallica. Bnf. Fr Bibliothèque de LINHA/ Coll. J. Doucet CIWQUIEME ANNEE –N 52. MARS1921. P. 47.



سنة، الحاج عزوز الصافي، السن 56 سنة، يوم 2022/08/13، على الساعة 11:00)؛ فتقوم كل فرقة "سُرْبَةَ" بالتقدم، وتبدأ في عملية "أَلرَيْضَـةَ" لمدة قصيرة، ثم يبدؤون في الجري وإطلاق البارود، بعد إشارة العلام لفعل ذلك. في هذه المراحل يقول "علام "السربة، مجموعة من الكلمات، سنقتصر على نموذج واحد لمقدم واحد من قبيلة السماعلة السيالغة، يسمى الحاج عزوز التي ورثها عن والده الذي هو الآخر ورثها عن أبيه، هي على الشكل التالي:

- يَا بِسْمِ الله.
- الوالدين.
- خَليوْ الخَيْلْ الدْرُجْ: أي ان يترك الفرسان خيولهم تتحرك ببطء.
- يَاتَلِيو: في هذه الكلمة إشارة من "العلام/المقدم" إلى فرسانه بضرورة رفع البنادق "المَكَاحْلْ" إلى السماء، و"هْمِيزْ" الخيل بواسطة الة حادة تسمى "المَهْمَازَةَ /النَاعُورَةَ" لتبدأ الخيول في التمايل بأرجلها "أَلرَيْضَـةَ"، وتحريك شعرها أعلى وأسفل "جَدْبَةَ"، كما أن الفرسان من الواجب عليهم الوقوف في "رْكَابْ "، لتظهر الفرقة في أبهى صورة، كل هذا وذاك يستمر لمدة قصيرة، لتأتي المرحلة الموالية:
- حَافِظْ رْبِي: في هاته الكلمات إشارة من "العلام/ المقدم "، إلى فرسانه بضرورة إنزال البنادق إلى الأسفل، والاستعداد للجري.
- خَيْلْ: هي كلمة فيها إشارة إلى الفرسان بضرورة الجري بطريقة موحدة.
- وَوَعِيوْ، شد شد: أي امسكوا اللجام وتوحدوا في الجري حتى لا يسبق أحد الأخر.
- وَاهْيَا لْوْلادْ: هنا علام السربة يقول للفرسان قوموا بمجموعة من الحركات فوق الخيول "أَخَرْطَةَ، أَلكَرْنَةَ" التي تبين شجاعة الفارس واحترافية والاستعداد لإطلاق البارود.
- هُبْ: بهذه العبارة يقول "المقدم" للفرسان أطلقوا البارود بشكل موحد.

بعد كل هاته العمليات، إن كانت الطلقة موحدة، فالفرقة تحظى بتصفيق الجمهور، أما إن قام بعض الفرسان، بإطلاق النار سواء قبل أو بعد إشارة المقدم لذلك "هُبْ" فإن الجمهور يبين صاحب الفعلة من خلال القول "هَذَاكْ هَذَاكْ"، وبذلك فإن أصحاب الفعلة يتعرضون للضرب إن كانوا أبناء "أَلعَلامْ" بالبندقية، وفي ذلك إشارة إلى باقي الفرسان بأهمية الانضباط أثناء ركوب الخيل وإلا فإنهم مجبرين على البقاء في الخيام لا الركوب. ثم إن من يقوم بإطلاق البارود دون إشارة المقدم ينزل إلى الأرض ويقود حصانه في جو يشعر فيه بالخجل من خلال تغطية رأسه ب "قُبْ أَجْلَابِيَةَ تَيْرُدُوُا عَلَى رَاسُوُا".

بخصوص لباس هؤلاء الفرسان، فهو يتشكل من:

- **جِلْبَاب:** وهي أنواع يتم استردادها وصنعها في وادي زم أيضا، أما بخصوص المستوردة من المدن والمناطق الأخرى فهي الجلابة البزيوية، والتي يتم صنعها، تسمى جْلَابِيَةَ تَعْتْ أَخَرْقَةَ، التي يتم صناعتها من صوف الغنم وفي بعض الأحيان يتم صباغتها بألوان زاهية، فُوُقِيَةَ، سْرْوَالْ قَنْطْرِيسِي، رَزَةَ. هاته الملابس يتم ارتداؤها يوم الخميس ويوم الجمعة، في حين أن يوم السبت الذي يعتبر يوما له خصوصيته، من خلال استدعاء الضيوف للحضور من أجل تناول وجبة الغداء، فإنهم يرتدون لباس آخر يتميز بجمالية كبيرة، يتكون من:

- **قُفْطَان:** الذي يميز كل فرقة عن الأخرى، بحيث أن لكل فرقة لون خاص بها: الأزرق، الأخضر، الأصفر، البرتقالي...
- **أَلْحَيْكْ:** هو توب طويل يقوم الفارس بوضعه على جسمه بعد ارتداء القفطان، وهو أنواع واحد يتم شراؤه يسمى البزيوي نسبة الى منطقة بزو، وأخر تتم صناعته في المنطقة من الصوف فقط يسمى حَيْكْ أَخَرْقَةَ.
- **أَلْسَكِينْ:** هو سيف يضعه الفارس فوق كتفيه من أجل التزين، وضبط لباس الحيك من السقوط.
- **أَلْشْكَارَةَ:** هي الأخرى تعتبر من زينة الفارس الضرورية، خاصة لمقدم السربة، حيث يخبئ فيها "أَلحَبَةَ "، التي تساعد على إطلاق البارود.
- **أَلْحْمَالَةَ:** هي خيط حريري طويل يضعه الفارس للتزين
- **أَلْتَمَاكْ:** هو حذاء يرتديه الفارس لحماية رجليه من الأذى أثناء الركوب، وأيضا لأنه يقوم بمسك "أَلْنَاعُورَةَ أو أَلْمَهْمَازَةَ"، من أجل جرح الحصان من جانبيه للقيام "بالرَيْضَـةَ " والجري، لأن هاته الناعورة حسب تعبير علام السربة تحظى بأهمية كبيرة، فحسب تعبير أحد المقدمين، إذا كان الفارس يركب بدونها فالرأي كله للحصان، وإذا كان يركب بناعورة واحدة فهو يتقاسم الراي مع الحصان، وإن كان الفارس يضع اثنتين فهو صاحب الرأي(حمزة خروفة، فارس، يوم 2019/07/14 بموسم بني خلف خريبكة).

الجدير بنا الإشارة إلى أن الفارس بعد نزوله من على صهوة جواده من الواجب عليه العناية به من خلال تقديم الأكل في البداية لأنه لا يجوز تقديم الماء للحصان على العطش فذلك قد يؤدي الى موت الحصان، فلابد من إعطائه القليل من التبن ثم بعد الاستراحة يتم إعطائه الماء، كما أنه من الواجب على الفارس إعطاء الماء للحصان قبل ولوجه إلى المحرك يسمون ذلك ب"ارويه قبل ركوب"، لأن الماء والأكل مهمين للخيول وخاصة الماء للمثل الشائع بين الفرسان؛ "ليكَتْ العْطشْ مَترْجَعشْ، رَويهْ قْبَلْ الرْكوبْ بنصف ساعة أو ملي إنْزلوُ الخيل حتى يا كُل شْويَا ثبن عاد أورد مَيوردشْ على الجوع أو العطش، مع الإشارة الى ان الذي يقتل الخيول هو العطش إن ظل الحصان يوما كاملا بدون ماء مع الركوب عليه وبعد النزول مباشرة يعطى الماء بشكل كبير جدا مما يؤدي الى موته"(رواية شفهية للسيد الفارس؛ سمحمد سقراط، السن 52 سنة، سي بوشتى الركادي السن 60 سنة، الحاج احمد الكرويطي، السن 50 سنة، الحاج عزوز الصافي، السن 56 سنة، يوم 2022/08/13، على الساعة 11:00).

بخصوص أكل هؤلاء الفرسان، يمكننا أن نذكره على الشكل التالي:

وجبة الفطور: تتكون هاته الوجبة من "لَحْرِيرَةْ"، و"بُوشَيَارْ" بالإضافة إلى الخبز العادي والزيت والشاي والزبدة والعسل، وأيضا الإسفنج. بعد نزول الفرسان حوالي الساعة 13.00 فإنهم يتناولون الشاي و"أَلْفَاكْيَةَ" التي تتكون من الحمص والكاكاو واللوز... لتأتي بعدها وجبة الغداء.

وجبة الغداء: هاته الوجبة تتكون من "اللحم سواء أَلْغَنْمِي، أَو أَلْبَكْرِي "، في حين أن "أَلْعَنْزِي" يأكله المصابون بالسكري، مع "أَلبَرْقُوْقْ" أو البطاطس المقلية، أوألبَصَلْ وَأَلْزَبِيبْ. والجدير بالذكر أن الساكنة الوادزمية خلال الفترة الاستعمارية كانت تتناول الكسكس في وجبة الغداء باعتباره وجبة رئيسة وأساسية، إلا أن التحولات التي حدثت في المنطقة جعلت الناس يتناولون اطعمة أخرى.

يمتطي الفرسان خيولهم قبل أداء صلاة العصر، وهناك من يقوم بامتطائها بعد الصلاة، المهم بعد نزولهم عند أذان المغرب، فهم يجدون الخبز، الشاي، الزيت، الزبدة، العسل بالإضافة إلى أَلْفَاكْيَةَ، التي يتناولونها كاستراحة لتأتي بعدها وجبة العشاء المعدة من اللحم المطهي أو المشوي.

وجبة العشاء: ما تم قوله عن وجبة الغداء يقال في وجبة العشاء هذه الوجبات فيما يخص أيام الخميس والجمعة والأحد، لكن يوم السبت له ميزة خاصة من خلال استدعاء الضيوف للغداء، فنفس وجبة الفطور تكرر، لكن الغداء يكون بتناول انصاف بهائم أو بهائم (غنم، ماعز) مَشْوِيَةَ، يضاف عليها "أَلْكَامُونْ، أَلِمْلَحْ" ثم هناك الشاي الذي يرافقها، وبعد الإنتهاء من تناول الحم المشوي يتم إحضار مجموعة من الصحون المملوءة بالكسكس والخضر والحمص ليتم ختم وجبة الغداء بالفواكه البرتقال، التفاح، العنب، أو البطيخ الأحمر.

- ## الأدب الشعبي بوادي زم:

عرفت منطقة وادي زم عدة أنواع من الأدب الشعبي أو من الثقافة الشعبية، "من بينها الحكايات الشعبية، والشعر، والخرافات، والسير، والأمثال الخ. ولكن نوع مقامه في حياة الجماعة. فالحكايات كان منها ما يروى للأطفال الصغار، ويتناول عادة المغامرات الطريفة لبعض الأبطال الأذكياء مثل الطالب علي، أو لبعض الحيوانات كالقنفذ أو الذئب. ومنها العبر لحياة قاسية. أما الشعر فمقامه الأول هو الملتقيات الجماعية، في الأعراس والاحتفالات الزراعية والأعياد بصفة خاصة. وقد يكون ترديدا محفوظا أو يرتجل للمناسبة، ولكن أغراضه هي أغراض الشعر أينما كان، وهي النسيب أو المدح أو العتاب أو الرثاء أو الوصف أو غيرها"(أحمد توفيق، 2011، ص. 449) ، دون أن ننسى أن هذه الثقافة الشعبية هي ثقافة شفوية متوارثة جيلا عن جيل، ونادرا ما يعرف ناسجها، الا أن المهم أنها تنتسب الى عامة الناس وتعبر عن أحاسيسهم وآمالهم وآلامهم، فهي جماعية وليست فردية، إذ "إن الأدب بصفة عامة، في إرث كل أمة، صوت من أصوات دواخلها ووجدانها الاجتماعي المتجدد، لأنه وعي وفكر ينبض وعاطفة تتأجج، وروح تسري في الجسم فتبعث فيه الحيوية والحركة والحياة وتخلصه من أسباب الجمود والخمول فتصيره جديدا"(أحمد بلاج، 2022، دلالة الرمز في شعر الرحل بوادي نون: شعر ترحالت أنموذجا، (ص 256- 275)، كتاب جماعي واحة تغجيجت: المجال، التاريخ، التراث، والمجتمع، أشغال الندوة العلمية حول: واحات تغجيجت بين الغنى الطبيعي والثقافي وآفاق الاستدامة المنعقدة يوم 2017/10/14، تنسيق: رشيد صديق، تقديم ومراجعة: حسن حافظي علوي، الطبعة الأولى، ص. 256.

يحتاج الأدب الشفوي أو التراث الشفهي سواء منه المغنى والمحكي إلى التنقيب والكشف عن مضامينه لأنه بهذه الطريقة سيتم توثيقه وحفظه وحمايته من الضياع ليبقى للأجيال المقبلة، إذ إن العديد من مناطق المغرب سواء في السهول أو الجبال ثم إهمال هذا التراث الشفهي وصار نسيا منسيا، مما أصبح يحتم ضرورة بذل الجهود في سبيل التعريف به، وبما أن تراث وادي زم الشفهي لا زال يروى من طرف فئة الكبار والشيوخ لذلك برزت ضرورة الإسراع الى تدوينه والكشف عن مضامينه وكنوزه بإزالة أنقاض النسيان والإهمال عليه وبالتالي محاولة حمايته من الاندثار.

يمكننا أن نذكر بعضا من هذا التراث الشفهي على النحو التالي:

الأمثال: "لا يعزب عن البال أهمية التراث الثقافي، ودوره الكبير في تحقيق التنمية المستديمة، وإرساء وتطوير

البناء التاريخي والاجتماعي والفكري والتربوي للأمم والشعوب، وكذا في الحفاظ على الهوية والثقافة الوطنيتين، ناهيك عن مساهمته الكبيرة في ضمان استمرارية المجتمعات وتعزيز الأواصر بين الماضي والحاضر" (مرزوك سمير، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، 2022، ص. 57).

في هذا السياق "ترى منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) بأن التراث الثقافي غير المادي؛ يتجسد في الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات- وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي"(مرزوك سمير، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، 2022، ص. 58).

المثل خزان للقيم والمواعظ والارشادات به يوجه الانسان الى الطريق الصحيح، "ينعت المثل كونه حكمة الشعوب، لكونه فن قديم، يصاغ انطلاقا من تجارب وخبرات عميقة ويحمل تراث الأجيال المتلاحقة، فيتناقلها الناس شفاها أو كتابة. كما مع المثل، حسب إبراهيم النظام...، أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام، هي: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكتابة...، وعلى هذا الأساس، فإن... الأمثال الشعبية من وجهة نظر سوسيولوجية يمكن أن تعبر عن الحياة عبر سلسلة أقوال نثرية، لا تخضع ظاهريا لنظام معين، غير أنها متكاملة في موضوعاتها، ومستقلة لغويا في بنيات قصيرة، تعكس قيما فنية وفكرية بل وحتى حضارية، تؤدي وظائف شتى: كالتعليم، والتسلية، والنهي والزجر والدعوة إلى التآلف وغيرها من الوظائف"(الخليل عثماني، 2013 الحمولة الثقافية والنجاعة الوظيفية للتراث الزراعي الجبلي: حالة شمال بلاد وزان، (ص 143- 201)، ضمن كتاب التراث في جبال الريف: واقع وآفاق، تنسيق: فريق البحث الجغرافي حول جبال الريف (كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب)، لجنة التحرير: عبد العزيز بوليفة ومحمد العبدلاوي ونور الدين الشيخي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، متابعة آيت حمزة محمد، بوضليب حسين، علاش صباح، مطبعة المعارف الجديدة الرباط/ 2013، ص. 143).

توضح ذلك لبنى العمراي بقولها؛ "المثل عسل فاللسان دوا يداوي بالحكمة والمعنى لعقل راوي منو نديو ليفادة ونفهمو لقوال لازم نديروه وسادة ونعيشوه في فالحال المثل فيه النفع روى ليه واسمع فيه قصص وحكايات تنور لبصار ومعاني للعقل اختبار صغى للمثال وفهم ما يتكال" (لبنى العماري، 2019، ص 504).

تعتبر الأمثال تعبير جمعي عن هموم المجتمع شاعت بين الناس لما تختزنه من ذخائر وجواهر مكنونة لا تقدر بثمن، فابن واي زم وبواديها استطاع ان يشكل هويته الثقافية بتراثه الشفهي الغني والمتنوع، فكان المثل مصدرا للحكمة، كما أنه شكل مصدرا للتعبير عن مواقف الانسان الوادزامي تجاه القضايا التي تهم حياته اليومية بدءا من الاستيقاظ من النوم الى تناول وجبة الفطور الى الرعي والاعمال اليومية الى النوم، فكل مراحل حياة الانسان اليومية تتضمن امثالا تعبر وتربي وتقوم سلوكات الوادزمي ف"رُب



مثل يفعل في النفس ما تعجز عنه مئة محاضرة في الأخلاق والمثل العليا وما يُقصر دونه ألف كتاب في التهذيب الاجتماعي والتوعية الأخلاقية"(إميل بديع يعقوب، 1995، ص. 67).

يمكننا ان نقول ان الأدب الشعبي مرآة الأمة يكشف عن تفاصيل حياتها اليومية، كما "اننا نستطيع بسهولة اكتشاف طبيعة الشعب وذكائه عن طريق الامثال فهذه الأمثال تمثل فلسفة الجماهير" (إبراهيم الحيسن، 2012، ص. 221)انطلاقا من هذا القول فالمثل تعبير جمعي يتضمن مغزى وهو "ضرب من القول السائر يدل على حكمة منبثقة من تجربة ذاتية فردية أو عامة اجتماعية، ويحكي قصة وقعت في الماضي لكنها أصبحت مضرب الأمثال على مر العصور والدهور، وهو أبلغ من الحكمة...المثل يفيد معنى ظاهرا يرتبط بحدث من أحداث التاريخ، ومعنى باطنا مرجعه الحكمة والإرشاد"عبد الإله لغزاوي،(2010، ص. 623).

يتحدث عنه الحسين بن علي بن عبد الله؛ "كان للأمثال شأن كبير في تاريخنا الثقافي، ولم تكن مكانة المثل تقِل عن مكانة الشعر عند العرب قديما، ولم يكن التمثل بالأمثال أقلُ من الاستشهاد بأبيات القصيد على ألسنة الناس في الحياة اليومية، وقد نعت كلا القولين بالسيرورة وضُرب بهما المثل في ذلك فقيل: أسير من مثل وأسير من شعر لأنهما يرِدان الأنديةَ ويلجان الأخبية ويسيران في البلاد، ويسافران بغير زاد، وكم يطيب لي أن أقتبس بعض ما حَبره الميْداني في قيمة الأمثال إذ قال: تتحلى بفرائدها صدور المحافل والمحاضر، وتتسلى بشواردها قلوب البادي والحاضر، وتقيّد أوابدها في بطون الدفاتر والصحائف، وتطير نواهضها في رؤوس الشواهق وظهور التنائف، فهي تواكب الرياح النُكْب في مدارج مهابها، وتزاحم الأرقام الرُقْش في مضايق مدابها، وتحوج الخطيب المصْقَع والشاعر المُفْلِق إلى إدماجها وإدراجها، في أثناء تصرفاتها وأدراجها لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال، واستيلائها في الجودة على أمد الكمال، وكفاها جلالة قدر، وفخامة فخر، أن كتاب الله عز وجل وهو أشرف الكتب، التي أنزلت على العجم والعرب، لم يعْرَ من وشاحها المفصل ترائب طواله ومفصَله وأن كلام نبيه صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب لسانا، وأكملهم بيانا، وأرجحهم في إيضاح القول ميزانا، لم يخلُ في إيراده وإصداره، وتبشيره وإنذاره، من مثل يحوز قصب السبق في حلبة الإيجاز ويستولي على أمد الحسن في صنعة الإعجاز"(الحسين بن علي بن عبد الله،2014، ص. 1).

هنا بمجال وادي زم، يتم ترديد مجموعة من الأمثال الشعبية، "وما سميت هذه الأمثال شعبية، إلا لكونها قد تصدر عن كل طبقات الشعب، وتستهدف أيضا كل فئاته ولأنها تكون في الغالب الأعم متشعبة الموضوعات والقضايا؛ فهي عطاء ونتاج شعبي، يعكس ما يمور في مجتمع أهل (وادي زم)، ويلخص كيفية تعاملهم مع متطلبات الحياة في السراء والضراء"(مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، ص. 59).

تحمل الأمثال دلالات ومغازي متعددة، يتم إلقاؤها على الأطفال والشباب من طرف الآباء والأجداد((الحسين بن علي بن عبد الله،2014، ص. 1)، فالأمثال "تندرج ضمن التراث الثقافي غير المادي باعتبارها شكلا من أشكال التعبير الشفهي، التي تعتمد اللغة واسطة للتعبير، ولكونها تعكس معارف وتمثلات، تنم عن ممارسات اجتماعية، ومهارات مورست من طرف أهالي المجتمع المحلي" (مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، ص. 58.)" في مختلف مراحل الحياة اليومية للإنسان الوادزامي يتم ترديد مجموعة من الامثال التي تبين المدح او الذم للإنسان المخاطب، يتحدث عنها محمد الصافي قائلا؛ "فالأمثال جمع مثل، وهو قول سائر موجز، ويأتي في الغالب نتيجة حادثة معينة قيل فيها، ثم شاع على الألسنة وصار يضرب في الحالات المماثلة لهذه الحالة"(محمد الصافي، 2016، ص. 311).

هذا النوع من الادب الشعبي منتشر في مجال وادي زم بشكل كبير، وذلك راجع للظروف الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها هؤلاء الناس في تفاعلهم مع المجال. "فالمثل قول

مأثور وجيز العبارة يتضمن فكرة صائبة أو قاعدة من قواعد السلوك الإنساني، أطلقه شخص ثم شاع على الألسنة وأخذ الناس يتداولونه في مختلف المناسبات التي تشبه المناسبة التي قيل فيها لأول مرة، وذلك لشغفهم بالإيجاز، ومثل هذه العبارات القصيرة التي تعبر عما يجيش في صدورهم من أحاسيس" (الطالب بويالعتيك، ماء العينين، 1999، ص 65).

تحتوي الأمثال على عبَر تُوَجه الناشئة الى الطريق المستقيم، فهي "خلاصة دقيقة لتجارب الشيوخ والأجداد في صراعهم المرير مع تحديات الحياة وتقلباتها، ومشتلا لغرس المضامين التربوية، والقيم الأخلاقية النبيلة"(مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، ص. 60.)، وحسب تعبير محمد الصافي فكل مثل يتضمن "حكما صائبا تقر به العقول ومعنى أخاذا تشغف به القلوب وموعظة بائنة تختلف من مكان لآخر. وللمثل مورد ومضرب، أما المورد فهو القصة أو الحادثة التي أطلق فيها لأول مرة، وأما المضرب فهو الحال الذي نستخدم فيه المثل لمشابهته لقصته. تصادف الأمثال هوى في أفئدة الناس لأنها تقوم مقام التعبير عما يجيش في صدورهم (تماما مثل الشعار في العمل السياسي)، وهناك الكثير من الأمثال الشعبية لدى مجتمع (وادي زم) التي تصور لحد بعيد عقليات الناس وأخلاقهم وبيئتهم الطبيعية والاجتماعية، فهي بمثابة مرآة تعكس صورا ناصعة لحياة مجتمع... البدوية، ويصلح تداولها واستعمالها والاستفادة منها في كل وقت حتى في وقتنا الحاضر"(محمد الصافي، 2016، ص. 312).

لعل الأهمية الكبيرة التي يحظى بها المثل هي التي جعلته يضمن استمراره من جيل الى جيل من الأجداد الى الاحفاد، ولعل هاته الأهمية تتطلب المزيد من النبش في ثناياها للكشف عن ما تختزنه من ذخائر وجواهر لا تقدر بثمن خاصة انها تساهم في بناء شخصية الفرد والمجتمع في ظل التطور السريع الذي يشهده المجتمع وما يلحق به من تأثيرات سلبية. "ونظرا لما لتوظيف هذه الأمثال واستثمارها على النحو الأفضل، من دور محوري في بناء شخصية الفرد وتعبئة المجتمع؛ فإننا لا نزال في حاجة ماسة إلى البحث فيها، وتحليلها لغويا وسياقيا، والنهل من كنزها المكنون، خاصة مع ما أفرزته عدة عوامل من تأثيرات سلبية على قيم ومقاصد الحياة الإنسانية، من قبيل: التطور التكنولوجي، والغزو الثقافي، والصراع القيمي بين الأصالة والحداثة، بَلْهَ عنك الميل المتزايد للأفراد أنفسهم، إن لم نقل الجماعات؛ نحو اللامبالاة تجاه ما يقترفه بعضهم، من سلوكات تتعارض والقيم الإنسانية الأصيلة" (مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، ص. 57- 58).

تتميز الأمثال الشعبية بعدة مميزات تتجلى دقتها ووضوحها وايجازها، مستخدمة عدة كلمات تشبيهية، فهي تمثل النضج الفكري لمجتمع الدراسة تتميز بقصرها واسلوبها الجذاب وحكمها البليغة "فهي عبارات موجزة قصيرة ولكنها تحمل معاني رفيعة تصل إلى الهدف من أقرب طريق، ومورودها دليل على سمو التفكير عندهم، فهي تعبر عن المظاهر الحسنة بأسلوب يجعل الناس يهتزون بها فتترك فيهم آثارا تُقوم سلوكهم، فتجمع بينهم في تعاون يخلو من التواكل وتصور العلاقات الطيبة بين الناس"(محمد الصافي، 2016، ص. 312).

تستمد الأمثال مرجعيتها من بيئة أصحابها لأنها تعكس واقعهم وأخلاقهم، فهي تعكس عقلية المجتمع، كما أنها تعكس جمالية الأسلوب، وحسن اختيار الكلمات وشدة الإيجاز، "مما يضفي عليها نغما موسيقيا جذابا يساعد على حفظها ويسهل تداولها على الألسنة"(محمد الصافي، 2016، ص. 312). بل وان الامثال أصبحت تشكل جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي، ف"صحيح أن مصطلح التراث الثقافي، كان حكرا في بدايات ظهوره، على المواقع الطبيعية والمآثر العمرانية وما يرتبط بها من نقوش صخرية، وقطع فنية وأثرية، غير أنه سرعان ما تطور ليشمل مختلف أشكال التعبير الحية والعادات والتقاليد، وغيرها من الطقوس الاحتفالية والممارسات الاجتماعية.



وسـواء أكـان الـتراث الثقـافي مـاديا أم غـير مـادي، أم تراثا مزدوجا؛ فإنه يعتبر إرثا حضاريا، يتطلب منا صونه وتثمينه، كما يعد إبـداعا متميـزا ذا قيمـة وطنيـة وإنسـانية، يـدعونا إلى البحـث في إمكانـــات اســـتثماره، وتفعيـــل التـــدابير الراميـــة إلى ضـــمان استدامته"(مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجابي في الـتراث الثقـافي بصـحراء المغـرب: الأمثـال الشـعبية الحسـانية نموذجـا(ص 57- ص 70)، الـتراث الثقـافي بالبلـدان المغاربيـة القيـم المجتمعيـة والاستثمار التنمـوي، أبحـاث المؤتمر الـدولي الأول حـول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابـن زهـر أكـادير، مطابع الرباط نـت، الـرباط، ص. 57).

ويمكننا أن نذكر بعضا من هذه الأمثال التي تروم الواقعية فهي غالبا ما لا تنجح نحو الخيال تستمد مقوماتها من الواقع وتوجه للواقع المعيش، فالأمثال تشكل سلطة المجتمع التي توجه الفرد والجماعة الى الطريق المستقيم عبر الكلمة المنطوقة، فهي تحتوي على "مضامين تربوية عديدة، ويستفاد من ضربها أمور كثيرة، ولأن الأمثال بصفة عامة لا تُغير، وإنما تحكى كما سُمعت، وتجري كما جـاءت، ويُخاطـب بهـا المـذكر والمؤنـث والمثنى والجماعـة، فالأمثـال (الوادزمية) بدورها ليست حكرا على فئة عمرية دون أخرى، غايتها إعـادة التجربـة ونقـل الحقـائق كمـا هـي، وترغيـب المـرء أو ترهيبـه، وتحقيق مجموعة من الأغراض والغايات، من بينها الاعتبار والتذكير والنصح والإرشاد، والتنبيه والتحذير، وغيرها"(مرزوك سمير، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، 2022، ص. 57).على الشكل التالي:

✓ كَيَتْ لوْلدُوهْ أوْ مَا لخَادُوهْ إطَلكُوه:

- **المعجم:**

- كيت: أسفا.
- طلكوه: يطلقونها.

- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل، أن المرأة التي لا تكون جيدة في عملها المنزلي او تكون مصابة بمرض معين ذهني أو جسدي، يقال عليها هذا المثل كما يمكن أن يقال على الرجل أيضا ويتجلى في أن أم هذا الشخص هي التي ستتحمل الألم لأنه ابنها أو بنتها عكس الأشخاص الأخرين الدين لا تربطهم به علاقة دموية فبإمكانهم الانفصال عنه في أي لحظة شاءوا. وهو الذي يخلف أضرارا سلبية على أسرة الشخص خاصة إن كان امرأة لما تجده هاته المرأة من معاملة قاسية، انطلاقا من ذلك يمكننا ان ندرج ما قاله مرزوك سمير؛ "يضرب هذا المثل في الشخص الذي لا يفطن ولا يدرك بوادر الضرر إلى أن يقع فيه، داعيا إياه ضمنيا إلى إداك الأمر قبل فوات الأوان، كأن يكون المرء مثلا؛ مدمنا على إحدى الآفات، ولا ينتبه إلى حاله إلى أن يفقد حياته. وقد شبه ولد البكاي، هذه الحال بالشخص المجنون، الذي لا يزال يظن أنه سليم معافى؛ كمثل الشجرة المائلة التي لا تهتم لاعوجاجها إلى أن تسقط بصفة نهائية" مرزوك سمير، 2022، التربية على السلوك الإيجـابي في الـتراث الثقـافي بصـحراء المغـرب: الأمثـال الشـعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنمـوي، أبحـاث المؤتمر الـدولي الأول حـول الـتراث الثقافي كليـة الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، ص. 62).

✓ المرا حيدات اللثام وولات تدور فالخيام بلا حزام (سعاد زبيطة، 2020، ص. 523):

- **المعجم:**

- المرا: المرأة.
- حيدات: ازالت.
- اللثام: قطعة الثوب على الشعر والوجه.
- وولات: أصبحت.

- **مضمون المثل:**

مؤدى المثل يظهر في أن المثل عكس التحول الذي عرفه حياء العديد من النساء وليس كل النساء، من خلال إنعدام حشمتهن ووقارهن وقلة حيائهن، فأزلن كل ما يمكن أن يخفي هويتهن من غطاء للشعر والوجه وأصبحن يتجولن في منازل الناس.





✓ **أَلْعَقَيْلْ أَلْمَخْطُوفْ مَيْشْغُلْ أَلْصُوفْ:**

- **المعجم:**
  - العقيل: المخطوف.
  - ميشغل: لا يستخدم

- **مضمون النص:**

يمكننا أن نستشف من هذا المثل أن المرأة الوادزامية، التي لا ترغب في إستمرار زواجها، لا تقوم بواجباتها المنزلية ومنها غسل الصوف ونسجها(رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي، يوم 2022/01/26، على الساعة: 14:57).

✓ **أَلْعَيْنْ مْسَبًّا أُوْرَادْتْهَا حَبَّة:**

- **المعجم:**
  - مسبا: أي انها تختلق الحجج الواهية.

- **مضمون المثل:**

مؤدى هذا المثل أن الشخص الذي لا يريد القيام بعمل ما، يبدأ في اختلاق الأعذار الواهية، ومن أمثلة ذلك اشتغال الفتيات مع أمهاتهن والأبناء مع ابائهن، فيختلقون اعذار غير مقنعة، فيقال هذا المثل كتوبيخ لهم.

✓ **لاَتَيَاسِي أَقِيْدْ مَنْ سَرْحَةْ أُوْ لاَتَيَاسِي أَسَارْحْ مَنْ أَلْقْيَادَةْ مَدَامْتْ لْقِيدْ الْعَيَاشِي ولا خَمَّاسْ عْلَى خَمَّاسُو:**

- **المعجم:**
  - لاتياسي: لا تيأس.
  - اقيد: قائد.

- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل السائد بوادي زم، أن الأحوال والأوضاع تتغير و الزمن يدور، فمن كان غنيا اليوم ربما يصبح فقيرا غدا وهذا المثل يحكى عن أحد القياد المخزنيين الذي لظروف معينة نزعت منه السلطة، وتدهورت أوضاعه السيوسيو إقتصادية، إذ انقطعت به السبل وأصبح يتسول في الدواوير والقبائل، فكان أن نزل ذات يوم بأحد "أَلْعْرَمَاتْ" لطلب ألعشورْ من الحبوب التي كان يقوم بتنقيتها أحد الفلاحين "تصفيتها"، فكان أن انتبه صاحب الحبوب الى رجلي القائد المتسول، وقال له رجليك مثل رجلي "القيَدْ " العياشي، فرد القائد المتسول من أين تعرفه، أجابه كنت خماسا عنده في بلاد كذا، فكان القائد ان انهمرت عيونه بالدموع قائلا أنا هو القائد العياشي الذي كنت املك المال، الجاه، السلطة، الاحترام... كل شيء ضاع(رواية شفهية للسيد عبد القادر الشريفي، يوم 2022/02/26، على الساعة الرابعة زوالا).

✓ **المرا الفايتة بحال اللقمة البايتة (سعاد زبيطة،2020، ص. 523):**

- **المعجم:**
  - الفايتة: فقدت عذريتها.

- **مضمون المثل:**

معنى المثل يتجلى في أن الإنسان يقوم بمجهود كبير في اختيار شريكة الحياة، إن علم بأن لها ماضي سيء وبأن عذريتها غير موجودة، فهو حينذاك يقتنع بأنها لن تصلح لتكون زوجة صالحة لبناء اسرة سوية اذ ان المرأة عماد صلاح البيت والأسرة.

✓ **أشْ دَارْ زَوَيْسِي تَيْتْحَطْ فِي دَوْسِي:**

- **المعجم:**
  - أش دار: ماذا فعل.
  - تيتحط: يوضع.

- **مضمون المثل:**

مضمون هذا المثل أن الإنسان إذا وقع في مشكلة، يعبر عن ذلك بهذا المثل الذي يعكس معاناته.

✓ **مَاتَتْ الْحْمَارَةْ وُتَقَطعَتْ الزْيَارَةْ:**

- **المعجم:**
  - ماتت: توفيت

- **مضمون المثل:**

مؤدى هذا المثل، العتاب، العتاب الشخص الذي تكن له المحبة، والذي قام بقطع علاقته وزيارته لك، وبمجرد لقائه في مناسبة ما، يتم مخاطبته بهذا المثل عتابا له، وهو خطاب صريح يظهر مدى الرغبة في الإبقاء على المودة والحب بين الطرفين، وان قطع العلاقة يؤدي خاطره بشكل كبير جدا.

✓ **أَلزْلطْ تَيْكَرْفْ الْعْفَارَتْ:**

- **المعجم:**
  - الزلط: الفقر
  - تيكرف: يربط
  - العفارت: الأذكياء





- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل أن الفقر يحبس الأنفاس، ويشل الحركة، ويقطع صلة الرحم، ولا يستطيع الانسان رغم ذكائه وتطوره القيام بأي عمل احساني تطوعي في المجتمع بل انه يعجز حتى عن توفير لقمة العيش عدا تحسين وضعيته ومكانته.

- **قَلْتْ الشِّي تَتْرَشِي:**
- **المعجم:**

- الشي: الأموال

- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل أن الإنسان لا يبقى له الجهد ولا القيمة بسبب الفقر وما ينجم عنه من هد للصحة والكرامة، والقيمة أمام الناس، وبخلاف ذلك من له المال له الهيبة والسلطة والمكانة الرفيعة.

✓ **المرا فالدار تغوت وتلالي، وراجلها برا، فلالة ومالي، وتقرقيب السطالي (سعاد زبيطة، 2020، ص. 523):**

- **المعجم:**

- فلالة ومالي: يلهوا مع النساء.

- **مضمون المثل:**

معنى المثل ان العديد من النساء يتزوجن برجال غير صالحين، فبينما هي تحاول بناء عش الزوجية ومضادة الأعداء بناء المنازل وتسمين القطيع، وتربية الأطفال تجد ازواجهن غير مكترثين يلوهون ويشربون الخمر مع النساء، وفي بعض الأحيان يطلق على المرأة الكثيرة الشكوى مما يجعل الزوج يحس بالنفور ويبحث عن بديل ينسيه مشاكل البيت.

✓ **شُوفْ بَيتُوا وُخُودْ بَنْتُوا:**

- **المعجم:**

- شوف: انظر إلى
- بيتو: منزله
- خود: تزوج
- بنتوا: ابنته.

- **مضمون المثل:**

مؤدى هذا المثل أن الإنسان الذي يريد الزواج ينبغي أن يرى منزل والد العروس من الناحية المادية هل هو بيت فخم أم بيت متواضع، فابنة البيت الأول لا تصلح للزواج لأنها إبنة من فئة غنية معتادة على حياة الرفاهية، لذلك فكل ما يملكه زوجها لا يعجبها ولا تقنع به، أما من الناحية المعنوية فالذي يرغب في الزواج عليه أن يضطلع على أحوال الرجل الذي يرغب في مصاهرته حتى يعرف هل هو ذو شخصية قوية ام أنه خاضع لسيطرة زوجته، فإن كان ذو شخصية قوية فذاك هو الهدف والمراد، وإن كان خاضع لرغبات زوجته فابنته لا تصلح لأنها سترغب في تمرير ما تعلمته في أسرتها على زوجها (رواية شفهية للسيد الحاج الجلالي الصافي، يوم 2022/01/26، على الساعة 17:11).

✓ **فَخَارْ خُبِيزَةْ أُوْلا قَمْحْ شَمَايْتْ:**

- **المعجم:**

- شمايت: الغرباء

- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل يتجلى في كون الوادزاميين يؤكدون على أهمية الاعتزاز بالنفس، فمن الواجب على الإنسان أن يتميز بمكانة بين أهله، وأبرز مثال لهذه المكانة، أن على الإنسان أن يأكل ولو القليل في بيته، على أن يأكل الكثير في بيوت الناس، فوجبة عشب "أَلْخُبِيزَةْ" التي تنبت في الخلاء أفضل بكثير وانت في بيتك معزز مكرم، على وجبة دسمة أو من خبز قمح تم إعداده وطهيه في منازل الغير.

✓ **أَلْقَهْرَةْ تَتْرُدْ أَلْكَلْبْ جْرُوْا:**

- **المعجم:**

- القهرة: الفقر.
- ترد: تجعل.

- **مضمون المثل:**

يبين لنا هذا المثل أن الإنسان الفقير تكون أوضاعه جد مزرية، بل يصل إلى درجة أن حاله يرثى له، إذ تجده مهموما حزينا يفكر في الا تفكير وبالتالي هذا المثل يعكس أوضاع السوسيو اقتصادية.

✓ **كِكَالْتْ أَلْحْمَارَةْ: مْلِي وَلَدْتْ وَلْدِي، مَاكَلْتْ عَلْفِي وَافِي، مَاشْرَبْتْ مَايَا صَافِي:**

- **المعجم:**

- ككالت: قالت
- ملي: عندما
- ماكلت: لم أتناول



- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل، أن الأباء بعد إنجاب أطفالهم يصبحون هم اولويتهم، يفضلون لباس أطفالهم، اكلهم، شربهم، على أنفسهم فأن ينام الأب او الأم بدون تناول وجبة العشاء أخف ضررا من أن ينام الابن بدون تناول الأكل(رواية شفهية للسيد المختار الباتولي يوم 2022/01/26، على الساعة 17:23).

✓ **أَلْعَظَمْ أَلِلي مَتْكَدُوُا وَدْ بِيه خُوكْ:**

- **المعجم:**

- ود: قم بإعطائه.
- خوك: أخاك.

- **مضمون المثل:**

مؤدى هذا المثل، أن الناس ينبغي أن يتعاونوا ويتكافلوا مع بعضهم البعض، ويساندوا بعضهم البعض ماديا ومعنويا، خاصة ان كان الشخص في حاجة ماسة الى المساعدة.

✓ **جِيتْ نْعَوْنُوُا عْلَى قَبَرْبُوهْ هْرَبْلِي بْلْفَاسْ:**

- **المعجم:**

- جيت: جأت.
- نعاونوا: اقدم له المساعدة.
- هربلي: هرب

- **مضمون المثل:**

فحوى هذا المثل، ان الانسان في بعض الأحيان يحب مساعدة الاخرين وتقديم المساندة لهم معنويا، لكنه بالمقابل يواجه الاهانات او الصد من طرف المحتاج للمساعدة.

✓ **المرا فيها قنطار والراجل كيف المسمار (سعاد زبيطة، 2020، ص. 523):**

- **المعجم:**

- فيها قنطار: أي غليظة وسمينة.
- المسمار: نحيف.

- **مضمون المثل:**

معنى المثل، ان الرجال في غالبيتهم يتميزون بالنحافة نظرا لما يفكرون فيه من هموم توفير الأكل والبناء، فهم يتناولون مثلا وجبة الفطور ويفكرون كيف يوفرون وجبة الغذاء، ونفس الأمر بالنسبة لوجبة العشاء... بينما النساء في معظمهن لا يكترثن لتلك المسؤوليات فهن لا يعرفن سوى الأكل والنوم مما يزيد من حجم اوزانهن.

✓ **أَنَا بِأَللكْمَةَ أَلْفُمُوُا أُوْ هُوَ بِطَرْشَةَ لْحَنْكِي (الحاج عزوز الصافي، يوم 2022/02/07، على الساعة: 07:15).**

- **المعجم:**

- اللكمة: اللقمة.
- بطرشة: صفعة.

- **مضمون المثل:**

معنى هذا المثل شبيه بسابقه، ويتجلى في أن الإنسان يحب تقديم المساعدة لأخرين، فيقابله المحتاج للمساعدة بالإساءة؛ الإهانة، الضرب.... فيردد هذا المثل دلالة على ندمه لأنه حاول مساعدة ذلك الشخص(فاطنة الجوراني، يوم 2022/01/26، على الساعة 18:05):

خاتمة:

مجمل القول، إن القيام بدراسة تاريخية باعتماد المنهج الاثنوغرافي يساهم في الكشف عن حقائق تاريخية مهمة، اذ أن الاثنوغرافيا وصف لمعيش الإنسان اليومي في أدق تفاصيل حياته فهي علم ومنهج هادف الى حفظ وصون ما يمكن حفظه من هوية الانسان والمجال في ظل الزحف الكبير للعولمة والتي تساهم في القضاء على الهويات الثقافية وجعل العالم قرية واحدة. كما توصلنا الى ان التاريخ الجديد اصبح تاريخ الكل؛ كل الفئات الاجتماعية الغني والفقير، المهمش والحاكم، باعتماد وثائق جديدة لم يكن يعترف بها التاريخ الكلاسيكي؛ كالرواية الشفهية، ووثائق العدول، والصورة التاريخية وغيرها عديد في كتابة هذا التاريخ الجهوي والتاريخ المحلي.

كشف لنا أن مدينة وادي زم وبواديها تختزن تراث متنوع في أدوات الطبخ، في الغناء، في الأمثال... لكن الزحف السريع للعولمة وما تشكله من خطر كبير على ثقافة الشعوب بطمس ذاكرتها وهويتها أصبح يستدعي اليوم قبل أي وقت مضى الى محاولة توثيق كل ما يمكن توثيقه للأجيال المقبلة، فمن خلال ما سبق من نتائج والتي توصل إليها هذا البحث المتواضع، يمكننا أن نؤكد على أنه من الواجب:

أولا: المسارعة إلى استعمال المتن الاثنوغرافي في حفظ التاريخ المحلي الذي يضيع بضياع حفاظه أي بموت شيوخه الذين

يحملونـه في ذاكـراتهم في تصـرفاتهم في طريقـة حـديثهم في لباسهم.

ثانيا : ثانيا أهمية إنشاء متحف اثنوغرافي كما أشار الى ذلك احمد توفيق في مقاله المعنون نحو تهيئ متحف تراثي بأبي الجعد ضمن ندوة مدينة أبي الجعد الذاكرة والمستقبل، وذلك لكون فعل الاندثار قد زحف على العديد من العادات والتقاليد والأعراف المحلية بسبب التحولات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي مست المجتمع المحلي الورديغي وهي كما قال عبد العزيز طليح ضمن كتابه ابقوين نبش في الذاكرة دراسة اثنوغرافية، حيث صارت كل هاته العادات والتقاليد والأعراف انمحت وصارت في عداد كان ياما كان في قديم الزمان دون أن تحكيها العجائز للصبيان ،وهي دعوة كما قال عبد العزيز طليح دعوة للجهات الرسمية وللمعاهد المختصة والمؤسسات الجامعية المتخصصة كي تضطلع بالدور الموكول اليها في هذا المضمار، لما تتوفر عليه من إمكانات وامكانيات في مستوى القيام بالمهمة على الوجه المطلوب، من أجل الحفاظ على ما تبقى بالذاكرة الجماعية موشوما ،والنبش عما صار مستورا منسيا، والتنقيب على ما أصبح مندرسا منطمسا، وهي مهمة تتجاوز بكثير ما تستطيع مبادرات فردية منعزلة، وإن كان لا أحد ينكر الدور الأساسي لمثل هذه المبادرات –رغم محدوديتها – فيما ستقدمه في هذا المجال لذاكرة قبيلة عريقة مثل ورديغة.

من هنا وكما قال محمد بوسلام في كتابه اللباس التقليدي في المغرب الجذور والإنتاج والأصناف والتطور: "من هنا كان لزاما علينا أن نكون من جملة جنود الخفاء الذين يتحملون عناء البحث والتوثيق، وتعميق النظر والتدقيق"[2]، كمحاولة منا لكتابة هذا التاريخ المحلي الاثنوغرافي.

ثالثا: بذل الجهود في التعريف بورديغة من خلال تدريس متنها الاثنوغرافي في المقررات التعليمية، حتى يحفظ هذا التاريخ المحلي بقاءه واستمراره من خلال جمع وتوثيق هدا التراث ودراسته دراسة ميدانية قائمة على أسس ومناهج بحثية محكمة.

رابعا: تسليط المزيد من الضوء على النصوص التراثية الشفهية الوادزمية وإظهار وظائفها المتباينة.

[2] محمد بوسلام، اللباس التقليدي في المغرب الجدور والإنتاج والاصناف والتطور ،ص:265

- ## المحور الثاني: مفهوم الوطنية ومفهوم المقاومة

✓ **الوطنية:** هي ان تحب بلدك وان تضحي من اجله وفي سبيله، من خلال العناية والاهتمام بمصالحها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويظهر ذلك في تذويب ذات الفرد في ذات الجماعة، "والإخلاص لها ومحاربة اعدائها واحترام ماضيها التاريخي وتقاليدها الموروثة والتعلق بها وبما يحيط به كشخص من ناس كالأهل وسكان القرية او المدينة وسكان الناحية وسكان البلد ككل. وتتأصل الوطنية في وعي الناس في صيغة عقلانية وكذلك في صيغة عاطفية ينتج عنها الإحساس بالواجب والمسؤولية والضمير والكرامة والإخلاص بمعنى الولاء الثابت لقضية المجتمع والقناعة العميقة بصحتها والاستعداد للتضحية من أجلها"[3].

✓ **المقاومة:** هي الدفاع عن الوطن والتضحية بالغالي والنفيس في سبيل تحريره، فهي الجهاد والكفاح من اجل ان يعيش الوطن في امن وامان، ولعلها من المصطلحات التي تحمل معاني تاريخية وثقافية تعكس الهوية المغربية.

- ## المحور الثالث: النضال السياسي بابي الجعد زمن الحماية

عرفت منطقة ابي الجعد هي الأخرى الاستعمار الفرنسي فقد اهتم الجنرال ليوطي بضرورة احتلال منطقة ابي الجعد باعتبارها تقع في موقع استراتيجي شأنها في ذلك شأن مدينة وادي زم الواقعة بالقرب منها على بعد كلومترات قليلة، ولذلك عرف هذا المجال اصطدامات عنيفة تمثلت في عدة معارك لعل ابرزها معركة وارغوس قرب وادي زم بقبيلة السماعلة والتي عرفت اتحاد والتفاف بني زمور والسماعلة حول موحا او حمو الزياني، والتي قتل فيها عدد كبير من جنود الاحتلال كما استشهد عدد من المجاهدين[4].

فاذا عرفت المنطقة مقاومة مسلحة لكنها لم تتمكن من ردع الاستعمار بما فيه الكفاية فتم اللجوء الى المقاومة السياسية،

[3] ندوة المقاومة بإقليم خريبكة ما بين سنوات 1912-1956، من 26 شعبان الى 28 شعبان 1413 الموافق ل 18 الى 20 فبراير 1993، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الثانية 2009، محمد معروف الدفالي، المقاومة والمقاوم على ضوء أحداث 20 غشت 1955 من خلال نموذج حركة وادي زمص73-80ص73

[4] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد، ندوة علمية عقدت بمدينة ابي الجعد بتاريخ 17 يناير 2009، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى 2011، نعيمة بنونة، من المقاومة السلمية الى العمل المسلح: الحركة الوطنية بابي الجعد نموذجا،ص 61-67، ص63





هاته المقاومة التي كان أساسها التعليم، فالزاوية الشرقاوية قامت بمجموعة من الأدوار العلمية والتأطيرية[5]، من خلال رموز الحركة الوطنية الذين قادوا التعليم الحر رغبة في بث روح الوطنية والحفاظ على الهوية الإسلامية المغربية، وكان على رأسهم العلامة الفقيه سيدي محمد الشرقاوي السموني رحمة الله عليه[6]. هذا الفقيه الذي كان يلقن متعلميه عدة مواد كالفقه، النحو، علم البيان، السيرة النبوية، صحيح البخاري... هاته الدروس التي ساهمت في تكوين نخبة مثقفة ساهمت في نشر العلم والمعرفة داخل وخارج ابي الجعد، بالإضافة الى المدارس التعليم الحر الذي اعطى الذي ساهم من جهته خاصة بعد صدور ظهير ماي 1930 القاضي بفصل العرب عن البربر دفعة قوية في تكوين وتخريج نخبة مثقفة، خاصة وان هاته المدارس الحرة اهتم بنشر القراءة والكتابة لمحاربة الامية، ناهيك عن الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية بتعليم اللغة العربية والقران الكريم والسنة النبوية وتعليم وتدرس التلاميذ تاريخ المغرب وتاريخ الإسلام، مما ساهم في تكوين نخبة مثقفة كانت أساس النضال السياسي بمنطقة ابي الجعد وفي هذا المنحى عرفت المنطقة ظهور عدة تنظيمات سياسية التي بدأت بقراءة اللطيف في المساجد ضد الظهير البربري: **اللهم يا لطيف.. نسألك اللطف فيما جرت به المقادير لا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر**. ناهيك عن " تأطير حركة الكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة في المدينة والمدن المجاورة كوادي زم وتادلة وبني ملال وحتى مدينة خنيفرة والقرى المجاورة"[7].

المنظمة السرية: هدفها المقاومة من بينها فرع ابي الجعد التي ظهر بمدينة الدار البيضاء.خلال سنة 1951، وانتشر لها عدة فروع في مختلف منطقة ورديغة ومنها ابي الجعد بزعامة عبد السلام الزين كما ان هذه المنظمة قامت بعدة أدوار خلال انتفاضة 20 غشت 1955 من خلال توزيع المناشير، تهديد الخونة والدعوة الى مقاطعة المواد الاستعمارية(خمر- دخان- غاز...)، بالإضافة الى وضع الحجارة في الطرقات، وقطع اسلاك الهاتف، ناهيك عن الدعوة الى عدم التعامل مع الخونة واشعال النيران في ممتلكاتهم وممتلكات الفرنسيين.

منظمة يد الانتقام: هي منظمة تزعمها بوطيب الشرقي بالإضافة الى سبعة افراد معه.

المنظمة الحسنية: تزعم هاته المنظمة جلال الهالي بن المفضل كانت تقوم بعدة أدوار هي الأخرى كحرق ضيعة القائد دحو بن المالكي، وضيعات كل الخونة والمتعاونين مع الاستعمار.

مجموعة الاستقلاب: تزعم هاته المجموعة محمد جبري، وقامت تقريبا بنفس ما كانت تقوم به المنظمات السابقة، كما انها قامت يوم الخميس 18 نونبر 1954 الذي صادف عيد العرش حيث تم توزيع المناشير وتم اتلاف اسلاك الهاتف[8].

الحزب الشيوعي: عرفت منطقة ابي الجعد تأسيس الحزب الشيوعي خلال النصف الأول من القرن العشرين، الذي كانت له جريدتين هما جريدة إسبواغ، وجريدة حياة الشعب، وقد عرفت منطقة ابي الجعد اهتمام كبير من طرف الشيوعيين نظرا للقاعدة العمالية الكبيرة في المنطقة، "وقد ساهم في تجدر عمل الحزب الشيوعي بالمنطقة مجموعة من المناضلين المحنكين المشهود لهم بالإخلاص والكفاءة وروح النضال أمثال المعطي اليوسفي، احمد الماضي وحدو مبارك وعبد السلام بورقية"[9]. وقد عمل هذا الحزب على توعية المواطنين بأهمية المقاومة والدفاع عن حوزة البلاد.

حزب الاستقلال: اهتم حزب الاستقلال بتوعية الناس في الأسواق والبوادي، وقد انظم اليه جبري محمد بن المصطفى الدكالي الأصل والمولود بابي الجعد سنة 1938، ورشدي محمد بن العربي المولود سنة 1935، والحاج الحبيب الناصري الشرقاوي المولود سنة 1938، والحبيب السموني المولود سنة 1936، وقد تعرض كل واحد منهم للسجن ما بين شهر وشهرين بسبب التحريض او السب.

كل هاته المنظمات والحركات التي يمكننا ان نسميها نضال سياسي تعد مسارا من الكفاح والنضال والمقاومة والتي ساهمت في توقيع وثيقة المطالبة بالاستقلال يوم 11 يناير 1944 ، والتي ابانت

---

[5] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد، ندوة علمية عقدت بمدينة ابي الجعد بتاريخ 17 يناير 2009، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى 2011، نعيمة بنونة، من المقاومة السلمية الى العمل المسلح: الحركة الوطنية بابي الجعد نموذجا،ص 61-67، ص63

[6] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد، ندوة علمية عقدت بمدينة ابي الجعد بتاريخ 17 يناير 2009، نعيمة بنونة، م.س، ص63

[7] تراجم الموقعين على وثيقة المطالبة بالاستقلال. نشر المندوبية السامية للمقاومة. ط2، ص: 33-47

[8] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد 1930-1955،احمد بوكاري، ثورة الملك والشعب انتفاضة 20 غشت بابي الجعد مائدة مستديرة حول شهادات المجاهد والمقاوم الحاج محمد جبري الموتشو، ص101-118 ص105

[9] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد 1930-1955، علال ركوك، العمل الوطني بمدينة ابي الجعد والبحث الجامعي نموذج كلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال ص90



عن شدة التلاحم بين العرش العلوي والشعب المغربي[10] قاطبة والبجعدي خاصة، فكان اللقاء في متجر الفقيه السموني بعد ان تم دراسة الوضعية التي يعيشها المغرب وتعيشها ابي الجعد، فتم الاتفاق على يوم الخميس على الساعة الثامنة لتلقي التوقيعات تدعيما للوثيقة المذكورة والمطالبة بالاستقلال[11].ما ان علم المراقب المدني بالحدث حتى سارع الى المتجر لاعتقال زعماء الفتنة حسب تعبيره، فكان رد الفعل مجيء العديد من الرجال والأطفال والشيوخ والنساء من مختلف الاعمار يطالبون بالإفراج عن الموقعين عن الوثيقة ومعهم وثيقتهم، "امام هذا الوضع الحرج لم يجد الحاكم بدا من إطلاق سراح الوثيقة وزعماء الانتفاضة، عندها توجه الجميع الى ضريح سيدي بوعبيد الشرقي لتلقي التوقيعات لأنه المكان الرحب الذي له قدسيته ورمزيته لاحتواء هذه الحشود الهادرة والعواطف الفياضة وقد تحررت من عقال الخوف والخضوع والهيمنة"[12]. وقد حضر لتوقيع هاته الوثيقة التاريخية مختلف المعلمين والفقهاء والتلاميذ والفلاحين والتجار والحرفيين الكل حضر ليجسد ويبرهن عن حب الوطن وعن التضحية في سبيل تحريره، ليلقوا اللوم من طرف قائد فرنسا الذي اتهمهم بخيانة فرنسا بعد ان طلب حضور كل زعماء الحركة في منزل قائد المدينة الحاج عبد القادر الشرقاوي.

توجه افراد خلية ابي الجعد بالوثيقة التاريخية الى المدن والمناطق المجاورة لابي الجعد وخاصة وادي زم اذ تم الاتصال بالقاضي مولاي ادريس العلوي والفقيه محمد بن احماد للتنسيق في الموضوع، كما ان هؤلاء الزعماء الوطنيين تعرضوا لعقوبات حبسية من طرف السلطات الاستعمارية اذ تم الحكم على الفقيه سي حمزة بسنة سجنا، وامحمد بن خلوق بعشرة اشهر حبسا، والحاج محمد السموني بستة اشهر حبسا، والحاج عبد الواحد الشرقاوي والحاج بوبكر الشرقاوي وبنداود الشرقاوي والحاج المختار السموني بشهرين حبسا...

- ## نفي محمد الخامس:

تأجج العمل السياسي بنفي الملك محمد بن يوسف، لينتقل عملها من الكفاح السياسي الى الكفاح المسلح، فقد تم نفي الملك محمد الخامس في يوم الحناء لعيد الأضحى، والذي واكب أيضا يوم الخميس وهو يوم السوق الأسبوعي وما يرافق ذلك من ازدحام للناس المقبلين على شراء الاضاحي، في هذا اليوم المشهود نقلت إذاعة صوت العرب من القاهرة خبر ان الجنرال كيوم عزل محمد الخامس، فانقلب حال الناس الى الحزن واضرب الناس عن ذبح اضاحيهم حزنا على ملك البلاد الشرعي محمد بن يوسف، وهو ما زاد من تأجيج العمل والكفاح السياسي ضد الاستعمار.

- ## انتفاضة 20 غشت 1955:

بعد نفي السلطان محمد بن يوسف، تم الاقتناع بجدوى وضرورة ممارسة العنف من اجل نيل الاستقلال، وهذا لا يمكننا من القول بان المنطقة انتقلت نحو الكفاح المسلح مباشرة بل ان العمل السياسي استمر على شكل عمليات تحريضية للناس في الأسواق والتجمعات على عدم شراء الاضاحي وعلى عدم ذبحها كشكل من اشكال الاحتجاج على نفي السلطان محمد الخامس، كما انها جمعت بين العمل السياسي والعمل الفدائي عن طريق:

أ) الدعوة الى مقاطعة البضائع الأجنبية.

ب) اللجوء الى سلاح الاضراب.

ج) الشروع في تدمير المنشآت الاقتصادية وتحطيم أعمدة الكهرباء والهاتف

قصارى القول، ان النضال السياسي انتشر في مختلف مناطق ابي الجعد والنواحي المحيطة بها ليصل الى مدينة وادي زم، " وإذا كان من الجائز القول بأن الانتقال الى العمل الفدائي واشعال فتيل الانتفاضة كانا من تدبير الوطنيين الذين انتقل معظمهم الى العمل الفدائي فإنه يصعب مع ذلك ضبط العديد من الجوانب التي تتعلق بعدد الخلايا وحمها او بالدور الذي قامت به في قيام انتفاضة غشت 1955، فإذا كان قيام هذه الانتفاضة شكل تكذيبا صريحا وتلقائيا لأطروحة هدوء البادية وولائها للمستعمر فإن حجم الانتفاضة والعنف والضراوة اللذين اتسمت بهما يدفعنا الى التساؤل عن عدد الوطنيين بالإقليم الى غاية 1954 فالظاهر أن هذه الخلايا، رغم كل ما قلناه، لم تشارك وحدها في الاصطدامات مع الفرنسيين في غشت 1955. فأفراد القبائل والدواوير والجماعات،

[10] عبد الكريم غلاب، تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، الجزء الأول، 2000، ص252-279

[11] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد، ندوة علمية عقدت بمدينة ابي الجعد بتاريخ 17 يناير 2009، عبد الله الشرقاوي، بعض خصوصية الحركة الوطنية بابي الجعد، ص 55-59، ص56

[12] الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد 1930-1955،احمد بوكاري الشرقاوي، الحركة الوطنية والمقاومة بابي الجعد عرض تركيبيص 69-76، ص 73





مـن خـارج التنظيمـات الحزبيـة والفدائيـة، شـاركوا عـلى مـا يبـدو في انتفاضة غشت 1955"[13].

خاتمة:

مجمل القول، تعتبر مدينة ابي الجعد مدينة تاريخية وثقافية ذات أهمية كبيرة نظرا لما قامت به من مقاومة سياسية للاستعمار الفرنسي ولعـل ذلـك يتبـين مـن خـلال التنظيمـات السياسـية التي قامت بعدة أدوار كما سبقنا وأن رأينا.

يشكل النضال السياسي الذي قادته مدينة ابي الجعد والذي يبين شدة وضرورة التفاني في حب الوطن، ومن ذلك مـا قامت به سـاكنة ابي الجعـد مـن وقفـات شـجاعة تجـاه الـرد الـذي قامـت بـه السـلطات الاسـتعمارية والـذي تجـلى في اعتقـال زعمـاء المنظمـات السياسـية، ردا عـلى تخـريبهم للمنشـأة الاسـتعمارية خاصـة بعـد الاعتـداء عـلى العـرش في شـخص المغفـور لـه الملك محمد الخامس، لكن كل ذلك لم يمنع من تأجيج المقاومة البجعدية، التي ابانت عن نضال شرس توج بثورة الملك والشعب في 20 غشت 1955.

اثبات المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- الحسين ابراهيم، الأطعمة والاشربة في الصحراء انثروبولوجيا الطبيخ وادب المائدة عند البيضان، الطبعة
- الأولى 2014،مطبعة النجاح الجديدة.
- ابراهيم الحَيْسن، اثنوغرافيا الكلام الشفاهية ومأثورات القول الحساني، الطبعة الأولى 2012.
- حسن محمد منيعي، التبوريدة تراث مغربي اصيل، مجلة فكر الثقافية، العدد 10، فبراير 2015 (بتصرف)
- توفيق احمد،المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (إينولتان 1850-1912)،منشـورات كليـة الآداب والعلـوم الإنسانية،الطبعة الثالثة 1432هـ/2011م
- بوسـلام محمـد،اللباس التقليـدي في المغـرب الجـذور والإنتـاج والاصناف والتطور، نشر ضمن دار ابي رقراق للطباعة والنشر 2014.

[13] ندوة المقاومة بإقليم خريبكة ما بين سنوات 1912-1956، عبد الحميد احساين، العمل الوطني السياسي بإقليم خريبكة بين سنتي 1944-1954، ص61-65 ص65

- لبنى العماري، تعليم الفتيات المغربيات خلال فترة الحماية الفرنسية 1912-1956، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى 2019.
- إميل بديع يعقوب، موسوعة أمثال العرب، دار الجيل، بيروت، 1995، الطبعة الأولى، الجزء الأول: الدراسة.
- الحسين بن علي بن عبد الله،قصص وأمثال من المغرب،الجزء الأول،دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 2014.
- عبد الإله لغزاوي، منوغرافية المقدس بمدينة مكناس مقاربة لظاهرة الاولياء في تجلياتها الثقافية والأدبية ودراسة اليات اشتغال الكتابة، الجزء الأول، الطبعة الأولى 1431هـ/2010.
- محمد الصافي، واد نون خلال القرن 19 مساهمة في دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي من خلال وثائق محلية، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، دار ابي رقراق للطباعة والنشر، الطبعة 2016.
- الطالب بويالعتيك(ماء العينين)، شذرات من الأدب الحساني، مركز طارق بن زياد للدراسات والأبحاث، الرباط، 1999.
- بوجمعة رويان، الطب الكولونيالي الفرنسي بالمغرب 1912-1945، الطبعة الثانية 2020، منشورات الرباط نت.
- سعاد زبيطة، النساء المغربيات زمن الاستعمار 1830-1962 الموروثات والمتغيرات، نشر المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، الطبعة الأولى 2020.
- عبد الحق المريني، الشاي في الأدب المغربي، سلسلة شراع، العدد السابع والخمسون: 3 ربيع الأول 1420- 15 يونيو 1999.

الكتب الجماعية:

- أحمد بلاج، دلالة الرمز في شعر الرحل بوادي نون: شعر ترحالت أنموذجا، (ص 256- 275)، كتاب جماعي واحة تغجيجت: المجال، التاريخ، التراث، والمجتمع، أشغال الندوة العلمية حول: واحات تغجيجت بين الغنى الطبيعي والثقافي وآفاق الاستدامة المنعقدة يوم 2017/10/14، تنسيق: رشيد صديق، تقديم ومراجعة: حسن حافظي علوي، الطبعة الأولى 2022.
- الخليل عثماني، الحمولة الثقافية والنجاعة الوظيفية للتراث الزراعي الجبلي: حالة شمال بلاد وزان، (ص 143- 201)، ضمن كتاب التراث في جبال الريف: واقع وآفاق، تنسيق: فريق البحث الجغرافي حول جبال الريف (كلية الآداب والعلوم





الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، المغرب)، لجنة التحرير: عبد العزيز بوليفة ومحمد العبدلاوي ونور الدين الشيخي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، متابعة آيت حمزة محمد، بوضليب حسين، علاش صباح، مطبعة المعارف الجديدة الرباط/ 2013.

- مرزوك سمير، التربية على السلوك الإيجابي في التراث الثقافي بصحراء المغرب: الأمثال الشعبية الحسانية نموذجا(ص 57- ص 70)، التراث الثقافي بالبلدان المغاربية القيم المجتمعية والاستثمار التنموي، أبحاث المؤتمر الدولي الأول حول التراث الثقافي كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، يومي 20-21 ماي 2022، تنسيق وتقديم: البشير أبرزاق، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر أكادير، مطابع الرباط نت، الرباط، 2022.

الرواية الشفهية:

- رواية شفهية للسيد الحاج عزوز الصافي.
- رواية شفهية للسيدة فاطنة الجوراني.
- رواية شفهية للسيدة مباركة الجوراني.
- رواية شفهية للسيد عبد القادر الشريفي.
- رواية شفهية للسيد محمد الصافي.
- رواية شفهية للسيد الفارس؛ سمحمد سقراط، السن 52 سنة، سي بوشتى الركادي السن 60 سنة، الحاج احمد الكرويطي، السن 50 سنة، الحاج عزوز الصافي، السن 56 سنة.
- رواية شفهية للسيد الحاج الجلالي الصافي.
- رواية شفهية للسيد المختار الباتولي.
- رواية شفهية للسيد حمزة خروفة.

باللغة الفرنسية:

- France- Maroc : reve mensuelle illustrée : organe du comité des foires du Maroc/ directeur Alfred de Tarde, Source Gallica. Bnf. Fr Bibliothèque de LINHA/ Coll. J. Doucet CIWQUIEME ANNEE –N 52. MARS1921.



دراسة للتراث الشفهي بمدينة تطوان كتراث مجالي متعدد المشارب

د. نورالدين أشبون

باحث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية مارتيل،

جامعة عبد المالك السعدي، تطوان

ملخص

إن غنى الموروث الثقافي الشفهي لا زال يحتفظ بعراقته وأصالته في المجتمع التطواني، ويتعزز هذا من خلال حضوره في السلوك اليومي والمناسباتي للفرد، حيث يتمسك التطوانيون بتراثهم الشفهي، وأهم ما يميز هذا الغنى هو ذلك التأثر الذي يعرفه الموروث الثقافي الشفهي التطواني بمجموعة من الثقافات المختلفة أبرزها الثقافة الاندلسية والأمازيغية والإسبانية المعاصرة. وقد تفردت إبداعات التراث الشفهي التطواني بصور فنية وجمالية بلغت حد الروعة، كان للطابع الأندلسي دورا هاما في ذلك منذ القرن الخامس عشر الميلادي، سواء في الفنون الشفهية أو في اللهجة المحلية التطوانية التي تترصع بمصطلحات أندلسية لا زالت حية ليومنا الحالي.

الكلمات المفتاحية: التراث الشفهي، تطوان، اللهجة المحلية، الفنون الغنائية.

Abstract

The richness of the oral cultural heritage still retains its authenticity in the Tetouan community, and it is strengthened through its presence in the daily and occasional behavior of the individual. Tetouan residents cling to their oral heritage, and what distinguishes this richness is the influence that the Tetouan oral cultural heritage is exposed to by a variety of different cultures, including Andalusian, Amazigh, and contemporary Spanish culture. The creative expressions of Tetouan's oral heritage are unique in their artistic and aesthetic forms, reaching the height of splendor. The Andalusian character played an important role in this since the 15th century AD, whether in oral arts or in the local Tetouan dialect, which is adorned with Andalusian terms that are still alive to this day.

Keywords: Oral heritage, Tetouan, Local dialect, singing.

مقدمة

"المجتمعات البشرية تختلف طبقاتها وأحوالها، ولعل أقرب الوسائل لمعرفة والغوص فيها هي دراسة التراث الشفهي، الذي يعتبر مادة خصبة للباحثين بالخصوص لمعرفة الحقائق المتعلقة بالعنصر البشري".[1]"إن الإبداعات الشفهية للمجتمع التطواني، لا تكشف لنا عن المهارات الجمالية والفنية التي اكتسبها السكان في تطوان عبر الزمن في تفاعلهم مع المجال ومحيطهم البيئي فقط"[2]، بل تعبر بجلاء عن جوانب عديدة تخص الروابط الثقافية والاجتماعية لهذه المجموعة البشرية كما تكشف عن نمط عيش الأفراد والجماعات وما يتحكم فيها من ظروف ثقافية وسوسيو-اقتصادية. وفي إطار البحث الذي قمنا به، وجدنا مجموعة كبيرة جدا من الكتابات التي تخصصت في أحد العناصر المكونة للتراث الشفهي بتطوان، والتي يصعب جمعها وتحديدها ولكن سنتطرق في مقالتنا هذه لأهمها وأكثرها انتشارا، والتي من المكن أن تلعب دور المؤثر في التعريف بالهوية المحلية وتخزين الذاكرة الثقافية بالخصوص.

الإشكالية التي يمكن طرحها بهذا الصدد هي: هل يمكن القول إن غنى الموروث الشفهي لا زال يحتفظ بعراقته وأصالته في المجتمع التطواني، وبالتالي ما مدى حضوره في السلوك اليومي والمناسباتي في هذا المجتمع؟ كما يمكن طرح إشكالية أخرى تتعلق بمدى تأثر التراث الشفهي التطواني بالثقافة الأندلسية خاصة والثقافات الأخرى عموما؟

---

[1]–داود محمد، "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية" الجزء الأول: مقدمات والأمثال المجردة، إصدارات المجموعة الحضرية بتطوان، مطبعة الهداية1999، ص5.

[2]–أميلي حسن والترني عبد الكريم، "التراث الشفوي بواحات درعة الوسطى سبل المحافظة وآفاق التثمين" التراث اللامادي بالجنوب المغربي أعمال الندوة الوطنية المنعقدة بمدينة تيزنيت أيام: 28/29/30 مايو 2015 تنسيق محمد آيت حمزة والوافي نوحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية2019، ص 371.



هنا نستحضر مجموعة من الفرضيات التي قد تشكل توضيحا منطقيا لكل الإشكاليات المطروحة، نستعرضها كالآتي:

حيث إن العولمة الثقافية أدت دورا هاما في محو الهوية المحلية، وأثرت في المجتمعات بصفة عامة، وعملت على محو الذكرة الثقافية لمجموعة من الشعوب، بما في ذلك موروثها الشفهي.

وحيث إن المجتمع التطواني مجتمع محافظ على أصالته وثقافته المحلية، ومتشبث بتراثه الشفهي الذي هو عبارة عن مزج ثقافات عدة أبرزها الأندلسية والأمازيغية، مما أعطى تميزا وتفردا لهذا الموروث على المستوى الوطني والعربي.

وحيث إن القرب الجغرافي لمدينة تطوان من إسبانيا ساهم في الحفاظ نوعا ما على تراثها الشفهي، خاصة في ظل الاحتكاك البشري والإنساني المستمر، خصوصا منه ذلك المتعلق بالثقافة الإسبانية الأندلسية، كما أن وجود العنصر البشري العثماني وحضوره في المجتمع التطواني كان له الدور الأهم في التأثر بالثقافة العثمانية.

للإجابة عن هذه الإشكالية، ومن خلال كل ما سبق سنقوم بعرض مجموعة من نماذج للموروث الثقافي الشفهي التطواني، سواء المتعلق باللهجة المحلية او بعض الفنون الغنائية أو النثرية.

المنهجية المتبعة

تحقيقا لما تقتضيه الإشكالية، اعتمدنا المنهج التاريخي في تناول عدة محاور تخص التراث الشفهي التطواني، الذي يستند على الوثيقة بمختلف أنواعها، كما حاولنا الاستعانة بمقاربة ثقافية تهدف لتثمين التراث الثقافي اللامادي لمدينة تطوان في أبعاد مختلفة كاللهجة المحلية والفنون الغنائية والفن الشعبي الحكواتي...عبر مرحلة زمنية تنطلق من الهجرات الأندلسية الأولى لحدود الفترة الراهنة.

1- اللهجة المحلية تعكس تنوع الأصول الجغرافية لساكنة المدينة

اللغة التي يتكلم بها سكان تطوان، هي نفس اللغة التي تتكلم بها المجموعات البشرية في دول شمال إفريقيا[3]، وهي اللغة العربية الدارجة، إلا أن لسكان تطوان لهجة خاصة كما لكل مدينة أو جماعة بشرية لهجتها الخاصة. فتجد في تطوان تعابير ومصطلحات لا تجدها في المدن المجاورة، حتى أن لهجة الشرائح المختلفة في تطوان تختلف باختلاف الوسط، فمثلا لهجة المثقفين تختلف عن لهجة العامة من السكان. ذكر المؤرخ أبو العباس أحمد الرهوني، أن سكان تطوان هم خليط من عرب نازحين من الأندلس وغيرها، ومن أمازيغيين أصلي، ومن نازحين من نصارى ويهود، وأن العرب الأندلسيين قد أتوا بعربية مخلوطة بعدة ألفاظ لاتينية، فأحدثوا لهجة مؤلفة من عربية وبربرية ولاتينية كما خلطوها بشيء من الألفاظ التركية التي نقلها إليهم مهاجرو الجزائر[4].

جدول1: نموذج لكلمات عثمانية في اللهجة التطوانية

التعبير	المعنى
البوف	الرئة
ماعينو	جدتي
باسيدو	جدي
حبابي	عندما تنادي السيدة العجوز حبابي فلانة
البوجة	حفل العرس
بقلاوة	نوع من الحلوى
البقرج	إناء تطهى فيه القهوة

المصدر: عمل الباحث

كما للتأثير الإسباني نصيب كبير في التأثير على اللهجة التطوانية، خصوصا وأن المدينة كانت مستعمرة إسبانية لمدة تقارب النصف قرن، بالإضافة للعامل الجغرافي، وخصوصا التواجد الإسباني بمدينة سبتة. حتى أن أغلب سكان مدينة تطوان يتحدثون الإسبانية بكل طلاقة. فهنا لا يمكن حصر التعابير الإسبانية في اللهجة التطوانية، ولكن يمكن استعراض بعضها لتزكية الطرح فقط. يؤدي التصغير في اللهجة التطوانية دورا كبيرا، إذ جعل سكان تطوان لأغلب الأسماء مصغرات تدل إما على التفخيم أو الملاحة أو التقليل أو التصغير، "فمن قولهم "طعيم"تصغير الطعام تفخيم وتعظيم إذ يطلقون هذا اللفظ حين يقصدون وليمة الفرح ونحوها "الحرايمي" مصغر حرامي وهو الذكي، وحرايمي: شديد الذكاء."حميدو"تصغير لأحمد "نويويرة" تصغير النوارة، ويقصد بها الملاحة والظرف، "دريويش" تصغير درويش وهو الفقير "السويف" تصغير سيف و يقصد به نوع من الطيور يشبه الصقر، وفي هذاين الإسمين مبالغة لبيان شدة الفقر في الأول وشدة الفتك في الثاني، و"الشتيوا" تصغير للشتاء، ويقصد بها المطر، ويهدفون إلى التقليل

3– داود حسناء، "سمات وملامح من الحياة الاجتماعية"، منشورات مؤسسة محمد داوود للتاريخ والثقافة، مطبعة الخليج العربي2019، الطبعة الأولى، ص 55.

4– نفسه ...ص 53.



من الأثر والكم وفي قول سكان تطوان"جحيش"و"زنيبر" تصغير للجحش والزنبور كتصغير وتحقير لهذه المسميات"[5].

جدول2: نموذج لكلمات إسبانية في اللهجة التطوانية

التعبير	المعنى
Vacuna	اللقاح
Batido	عصير الفواكه
Bufanda	وشاح العنق
Bolso	حقيبة
Redoma	قنينة
Tabla	مائدة
Tacón	الكعب
Troley	الترام
Carretera	طريق
Camarero	نادل
Cuadro	إطار
Gamba	نوع من فواكه البحر
Droga	مخدرات
Ensalada	سلطة
Guantes	قفازات

المصدر: عمل الباحث

2- العيطة الجبلية نموذج لفن الغناء المحلي التطواني

تعني العيطة في مفهومها الأصلي القديم النداء، أي نداء القبيلة والاستنجاد بالسلف لتحريك واستنهاض همم الرجال واستحضار ملكة الشعر والغناء، حيث كان يقال"عمل شي عيطة يا فلان"من هنا جاءت كلمة العيطة. أما اصطلاحا فهي مجموعة من المقاطع الغنائية والفواصل الموسيقية الإيقاعية الممتزجة في منظومة تختلف عناصرها باختلاف أنواع وأنماط العيطة نفسها.وتتميز منطقة بلاد جبالة بتراثها الثقافي المتميز عن باقي مناطق الأخرى في المغرب، وتعتبر العيطة الجبلية المنبثقة من المناطق الجبلية من أهم ما يزخر به التراث الفني بمنطقة جبالة وباعتبار أن مدينة تطوان هي المركز والقلب النابض لهذه المنطقة، فهي تعتبر من أهم حاضني العيطة الجبلية، فلا يمكن أن يخلو العرس التطواني من الأغاني والمقطوعات الجبلية.

"العيطة عبارة عن مقطوعات قصيرة تمثل التراث الشعبي الجبلي، ذات مواضيع مختلفة تتمثل في الهجاء والمدح والغزل والتشجيع على الجهاد في بعض منها، وهي تجمع بين الغناء والموسيقى والرقص، حيث تبتدأ العيطة بلحن حر بطيء الحركة، تعزفه الكمان أو "الكمبري" أو العود، بعدها يبدأ الجوق في عزف اللحن الأساسي، وهو اللحن نفسه يظل يتكرر سواء مع مقاطع الأغنية أو كفاصل خلالها، ثم يتبعه المغني بإنشاد مطلع الأغنية، يردده بعده العازفون لأنهم أنفسهم يقومون بدور الغناء الجماعي، وعندما تقترب نهاية الأغنية، يقع تغيير بسيط في اللحن، حيث يرتفع القرار إلى مسافة أعلى، ويميل الإيقاع إلى السرعة تنبيها باقتراب نهاية الأغنية، وجميع أغاني العيطة تؤدى بنفس الأسلوب مع تغيير بسيط من جوق لآخر"[6]. وهذا مقطع صغير لبعض الكلمات المستعملة في نموذج لأحد أشهر المقطوعات الغنائية في العيطة الجبلية:

أو يالاه معـايا ويالاه معـايا أو يالاه معـايا أنتطـوان

أو مـا أنسريـك الغرسـة أو مانزيـد ونلفـدان

وفي أغنية أخرى يقول:

لالا بـلادي تطـوان مـا زينـة

نسـرى كل مكـان أو نرجع للـنزورة

ويقول كذلك:

يـالاه معـاي ويالاه لأنجرة وبنـي حسـان

نزيـد ونبنـي يسـر ونحـدوها

الملاحظ أن الإيقاع الذي يرافق العيطة الجبلية ويؤطرها ويضبطها زمنيا وحركيا، فهو في الكثير من الأحيان يعزف بمصاحبة الآلات الموسيقية فقط، دون مصاحبة الأغنية، وذلك حتى يتمكن "الشطاح" وهو الراقص من إبراز قدراته ويمتع الجمهور برقصاته، ويكون شابا جبليا يتنكر بلباس المرأة المحلية، ويضع فوق رأسه صينية مملوءة بكؤوس الشاي والشموع الموقدة ثم يبدأ بالدوران حول نفسه وبالتمايل إلى الأمام والخلف، متزنا باتزان الإيقاع، ثم يهبط رويدا في حركات منتظمة إلى أن يقعد على ركبتيه، ثم يمتد طريحا ويبدأ بالتدحرج على الأرض، إلى أن يقف من جديد، دون أن تسقط الصينية وما عليها، ودون استعمال يديه. تؤدى هذه

[5]–سيد عبد العال عبد المنعم، "لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها" وزارة الثقافة المصرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة1968، ص75.

[6]–أخليفة مصطفى، "أضواء على الفنون الجبلية بشمال المغرب"منشورات جمعية تطاون أسمير، الطبعة الأولى، مطابع الشويخ2000، ص11.



الرقصة في إطار بهلواني فرجوي. وتمارس هذه الطقوس الفنية غالبا في الأعراس والمواسم، حيث دائما ينتظر الحضور فقرة العيطة الجبلية من أجل مشاهدة والاستمتاع بهذا الفن الشعبي. وغالبا ما يستهدف هذا الفن الطبقة العامة من السكان ولا يهتم به المثقفون والأعيان، بقدر ما يستمتعون بالغناء الأندلسي باعتباره فنا راقيا في حين أن العيطة الجبلية فنا شعبيا. ورغم كل ذلك فهو من الفنون الشعبية التي مازالت تقاوم من أجل البقاء، وإن كانت منتشرة بشكل كبير في مختلف المناطق التابعة لبلاد جبالة، إلا أنها في تطوان تقلصت ممارستها نوعا ما.

الملاحظ في السنوات الأخيرة، هو انفتاح العيطة الجبلية على أصناف أخرى من الفنون الموسيقية إما بتطعيمها بألوان أخرى منها غربية أو شبابية حديثة، أو إدماج مقطوعات منها في فنون غنائية أخرى على سبيل الاستلهام كالأغنية الشعبية التطوانية أو المغربية، مع الاحتفاظ بنغمات الآلات المستخدمة في العيطة الجبلية لتشكل مزيجا موسيقيا رائعا يواكب متطلبات المستمع في العصر الحالي. وهنا نفرق بين تيارين كمحبذين لمبادرة الإندماج مع فنون موسيقية أخرى باعتبار أنه نوع من أنواع الصون والحفاظ على هذا الموروث الثقافي اللامادي من الاندثار، في حين أن تيار آخر رفض هذا التعايش الموسيقي باعتباره انسلاخ عن الهوية الحقيقية لهذا الفن الجبلي الأصيل، وأنه شكل من أشكال الاندثار والتحريف له.

3- الموسيقى الأندلسية ثابتة في التراث الشفهي التطواني

اشتهرت مدينة تطوان بالموسيقى الأندلسية، والدليل على ذلك الأسماء التطوانية التي عرفت بتميزها في هذا التراث الشفهي، فورثها أبناءهم وأصبحت علامة فنية للمدينة، وقد تميزت بذلك الإمتزاج بين المؤثرات العربية القديمة من المشرق بأخرى إيبيرية ثم مغاربية، مما أعطى فنا موسيقيا مجاليا. هكذا تبرز الموسيقى الأندلسية كأحد أهم الأنواع الموسيقية في تطوان، والتي يعتز بها سكان تطوان، بل وتكون حاضرة في كل المناسبات والحفلات التطوانية وقد نقلها الموريسكيون القادمون من غرناطة الفارين من جحيم الإبادة في القرن الخامس عشر الميلادي. وتشتمل الموسيقى الأندلسية على عدة نوبات، والنوبة هي مجموعة قطع شعرية من مختلف البحور والأوزان، وكل نوبة تحتوي على خمسة موازين هي: "البسيط"، "القائم والنصف"، "البطايحي"، "القدام" وأخيرا "الدرج". وكل ميزان من هذه الموازين الخمسة تشتمل على عدة صنعات والصنعة تحتوي على أبيات شعرية تتردد في الغالب بين 3 و5 و7. فالصنعة إذا كانت فيها 3 أبيات تسمى صنعة ثلاثية، وإذا كانت تتكون من 5 أبيات تسمى خماسية... وهكذا، "فالنوبة تحتوي 5 مجموعات، كل مجموعة منها تسمى ميزانا، والميزان يحتوي على عدة صنائع تتفق في نغماتها وميزانها، وإن كانت تختلف في تلحينها"[7]. "قلنا إن الموسيقى الأندلسية تشتمل على عدة نوبات، حيث كانت هذه النوبات تؤدي في مختلف أوقات الليل والنهار"[8].

جدول3: النوبات الموسيقية وأوقاتها

الرقم	النوبة	التوقيت الزمني
1	عرق العجم	عند الشروق
2	العشاق	الصباح
3	رمل الماية	الضحى
4	الرصد	الزوال
5	غريبة الحسين	بين الظهرين
6	الاستهلال المايا	العصر العشية
7	الحجاز الكبير	العشاءين
8	الحجاز المشرقي	بعد العشاء
9	الاصبهان	منتصف الليل
10	رصد الذيل	آخر الليل

المصدر: عمل الباحث

لا ينبغي أن نتغاضى عن الدور الهام الذي لعبته الزوايا والأضرحة في إثراء الآلة الأندلسية. فكانت الزاوية الحراقية بتطوان مرفقا هيأ روادا متميزين في هدا المجال. ولا يفوتنا أن نذكر بجوق تطوان الذي كان ولازال من أبرز المجموعات الأندلسية بالمغرب، حيث قدم عروضا متألقة في محافل دولية مند عقد الأربعينات، وكانت فترته الذهبية أثناء رئاسة الفنان المرحوم محمد العربي التمسماني، الذي بفضله تم ظهور عدد من الصنائع التي كان يظن البعض أنها قد اندثرت، كما أعطى للآلة الأندلسية طابعا خاصا في أساليب التوزيع والأداء عبر إدخاله لعدد من الآلات التي لم تكن تستعمل من قبل كان أهمها آلة [بيانو] حيث أعطت للموسيقى الأندلسية بعدا جماليا إضافيا، ولم تقف عبقرية محمد العربي التمسماني عند هذا الحد بل تجاوزته من خلال إضافته

7- داود محمد، "التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية" مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي، 2016 ص 501.

8-داوود حسناء 2019 مرجع سابق، ص 272.



للأصوات النسائية إلى الجوق وإدخاله للرقص أيضا في عروض فنية باهرة مع مجموعة "كلارا" الإسبانية.

عرفت تطوان مجموعة من الفنانين المهرة في فن الغناء الأندلسي من بينهم الفنان عبد الصادق اشقارة، الذي أسس جيلا جديدا من الطرب الأندلسي، الذي استخرج منه ما يسمى بالأغنية التطوانية الشعبية، فمزج بين أصالة الطرب الأندلسي والكلام التطواني وإيقاعات جديدة مبتكرة. وأنت تتجول في المدينة العتيقة لتطوان لا يمكن ألا تستمع لنغمات عبد الصادق اشقارة في دروبها وأحيائها، حيث يعتبر من مجددي الأغنية الأندلسية بتطوان.

لازال المعهد الوطني للفنون الجميلة يكون موسيقيين في هذا النوع من الموسيقى، سواء كانوا رجلا أو نساء. كما أصبحت عادة مجموعة من المقاهي الراقية في تطوان أن تنظم أمسيات فنية للغناء الأندلسي، وذلك بصفة يومية، حيث يرتدها مجموعة من محبي هذا الغناء الأصيل.

4- الحكم والأمثال التطوانية: موروث تطواني راسخ

"الأمثال الشعبية، هي كلمات فيها حكم وفوائد وثمرات تجارب، يستعملها الناس ويستفيدون منها ويستشهدون بها في مواقف خاصة ومواطن معينة، وهي غير خاصة بلغة دون أخرى"[9]، فهي موجودة بكل اللغات وفي كل المجموعات البشرية، ففي المغرب هناك أمثال باللغة العربية الفصحى، والأمازيغية وحتى اللغات الأجنبية الأخرى كالإسبانية والفرنسية. "كما عرف البعض المثل بقوله، أنه قول مأثور يمتاز بالإيجاز، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكتابة، وهو مثال الجملة العربية في أسمى أشكالها، وللمثل مورد قيل فيه أولا، سواء كان حقيقيا أم فرضيا، ومضرب هو ما يقال فيه بعده، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى ليفيد الكلام قوة ووضوحا"[10]. أما الأمثال في الكلام العامي، فإنها لا تتقيد عندنا بشيء من ذلك فيدخل فيها كل كلام عامي يحفظه الناس ويقولونه في المناسبات الخاصة، "وقد يكون كناية من الكنايات، أو حكمة من الحكم، موعظة، نصيحة فائدة علمية، طبية، تاريخية، أو وصفا لشيء من الأشياء، كما يكون دعوة من الدعوات الصالحة أو غيرها"[11].

يصعب بالضبط الرجوع للشخص الذي أبدعها لأول مرة، ولا للمكان التي قيلت فيه أو الحادثة التي قيل بمناسبتها، وهذا ما يفسر وجود أمثلة متقاربة أو مختلف فيها فقط اللهجة التي تنطق بها، فهي تنتقل من مكان لآخر عن طريق تنقل العنصر البشري بين هذه الأماكن وربما أحيانا يصعب التعرف بدقة على الظروف التي ظهر أو اشتهر فيها المثل الشعبي إلا في بعض الحالات النادرة. "المثل الشعبي يعطي في جوهره نظرة صادقة عن مختلف خاصيات المجتمع، الذي انبعثت منه، شأنه شأن ريشة الفنان التي تبرز تشابه الصورة مع صاحبها وتكشف في نفس الوقت عما يخامر نفس الفنان من شعور وما يروج في خاطره، وهكذا نرى المثل ينبعث من النشاط الثقافي الاجتماعي، سواء كان استعماله على المستوى الوطني أو كان خاصا بمجموعة جهوية أو بيئية محدودة بل نجده يعتمد على معطيات دينية، فلسفية، خلقية، تاريخية اجتماعية، اقتصادية تميز الوسط التي تنبع منه"[12].

"حيث تندرج الأمثال بدورها ضمن المأثورات الشعبية، فهي عصارة تجارب الشعوب تترجم تقاليدها وعاداتها وعقليتها، وهي حاملة لمجموعة من القيم السائدة في المجتمع مثل الحب والصدق، العفة والإيثار"[13]. فالأمثال التطوانية تحيلنا إلى الحياة اليومية لسكان تطوان وإلى عادتهم وتقاليدهم وحتى الجانب الروحي والفكري. وأيضا للعناصر البشرية التي تتكون منها الساكنة بالمدينة من خلال اللهجات المستخدمة في هذه الأمثال العامية. فلهجة تطوان تختلف من طبقة لأخرى بل والأكثر من هذا أن هذه الطبقات البشرية لا تعرف أشياء كثيرة عن بعضها البعض. كما أن الساكنة المحلية تختلف من حيث الأصول فتطوان غالبية ساكنتها من أصول أندلسية من الموريسكيين المهاجرين إلى المغرب في القرن 15، في حين البعض الآخر من أصول أمازيغية يعتبرون السكان الأصليين، بالإضافة للعنصر الجزائري وهو الأقل تمثيلا في المجتمع التطواني، لذلك أحيانا نجد مثلا عاميا واحدا منطوقا بطريقة أو لهجة تختلف عن الأخرى.

9–داود محمد 1999 الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية ...مرجع سابق، ص 22.

10–داود محمد 2015 التكملة...مرجع سابق، ص 465.

11–داود محمد 1999 الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية ...مرجع سابق، ص 22.

12–المسعودي ليلى، "أمثال وأقوال مغربية" مطبعة إيديال الداراالبيضاء، الطبعة الأولى 1987، ص 19.

13–أمحراف عبد الهادي، "بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف" منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية سلسلة دراسات وأبحاث رقم 04، التراث في جبال الريف: واقع وآفاق 2013، ص 254.





تطرق محمد داود في كتاباته للأمثال العامية التطوانية، التي تداولها سكان تطوان في مختلف الحقب التاريخية، فمنها مازال حيا متداولا ومنها ما اختفى ولم يعد متداولا.

جدول4: نموذج الأمثال العامية في تطوان

الأمثال العامية الحية	الأمثال العامية المهجورة
بعيد البلا والباس	بين للشاري ما يكره
بالشفا انشاءالله	البيصار والما ولا الجداد بالدباز
تاكل شي أ مريط	تأمل قبل ما تعمل
التالتا تابتا	حمار كناوة ما كيهوله
ثلاثا ما منهم أمان: النار والبحر	الحيا ما كتعط روحا
الجار قبل الدار	خلط ومخلوط جوز وبلوط
حتى يخلق ونسيمواه عبد الرزاق	خيم عجولك يمشيوا ما
حساب لعكايز	رايق على البروج
ذكتب الله عليك هو هذا	ربي كريم ومعندوشي قليل
لي حصل كيأدي	الراجل حرما ولو كان عرما
راسو كبير وعقلو صغير	زال الري من يد أهل الري
زوللو من حلقو	طار طيرك وعباه غيرك
طاحت وجبرناها	الطوبا ما تعاند الحجرا

المصدر: عمل الباحث

من خلال البحث الميداني والوثائق المتعلقة بالأمثال العامية التطوانية، اتضح أنه هناك لبس في هذه الأعراف القولية، حيث أن العديد من الناس، وخصوصا فئة الشباب لا يعرفون مرادها وشرحها. حيث وجدنا تعارض بين ما يقصده المتحدث من استعمال هذه الأمثال، وما فسرت به في كتب وأبحاث عن الأمثال العامية التطوانية. كما أن لدراسة التراث الشفهي عدة خصوصيات ونتائج علمية نستهلها بالأهمية والفائدة الثقافية والاجتماعية وحتى الاقتصادية من حيث أنها وثيقة شعبية لها قيمتها في تصوير البيئة الاجتماعية والنفسية للجماعات والمجموعات البشرية، وفيها إشارات إلى عدد من عوائد المجتمع وتقاليده وقيمه[14].كما تكشف لنا الأمثال العامية عن الطبقات الاجتماعية في المجموعة البشرية، وعن وضعية ومحيط ومستوى تطور مجموعة من المهن الحرفية، التجارية والبحرية في المجتمع. إن الأمثال العامية هي نتاج رصيد المجتمع الأخلاقي الاجتماعي والثقافي وعصارة الوجود الطبيعي والبشري، كما أنها تلعب دور الموجه للجماعة البشرية من حيث قيم الحياة والاستمرار.

5- الفن الحكواتي التطواني: موروث تطواني شبه مندثر

"بدأ هذا التراث في أوربا والعالم العربي يحتل موقعه المتميز في الثقافة الإنسانية المعاصرة انطلاقا من القرن التاسع عشر، ومغاربيا انطلاقا من القرن العشرين، حيث لم يبدأ الاهتمام بهذا الموضوع إلا في بداية القرن الماضي، على يد الرحالة الفرنسيين الذين وفدوا مع سلطات الحماية الفرنسية، وذلك من أجل فهم الثقافة المحلية وعقلية سكانها"[15]. "يمكن تعريف الحكاية الشعبية أنها مخزون مهم للصور والرموز، والنماذج الأصلية والخطاطات التي تكون المتخيل الشعبي المغربي، إنها مكونات ثقافية تطبع المتخيل وتستكشف طبيعته. وهي الحلم الجماعي الذي يهرب فيه الجميع من ذواتهم ويحققون خلاله رغباتهم الدفينة، تختلط فيه السخرية والمرح بعنف الرغبات الطفولية، وتطلق فيه حكمة السنين منظمة أحوال البشر من جديد"[16]. تتميز الحكاية الشعبية في تطوان، بطابعها الاجتماعي أو التربوي بشكل كبير، وتعرف باسم "الخرافة". ومنها ما تستهدف الكبير وأخرى تستهدف الأطفال والصغار حيث غالبا ما تلقيها الأمهات أو الجدات قبل النوم أو في فترة القيلولة، كما كانت تلقى الحكايات في بعض الميادين والفضاءات العمومية من طرف الحكواتي، هذا الشخص الذي يتميز بذلك الحس الجمالي والتواصلي وما عنده من ذوق يصل إلى أن يكون رفيعا على الرغم من بساطة العمل أو سذاجته، حيث يمتع الحضور بنخبة من الحكايات الجميلة مواضيع تختلف باختلاف المستهدف هل هو طفل أم شخص كبير السن. فمن مواضيع الأطفال هناك عالم الحيوانات الشخصيات الخيالية، الحشرات، النبات وغيرها، وكلها تستعمل من أجل هدف واحد وهو تغليب قيمة الخير على الشر، وتخويف الأطفال من آثار بعض التصرفات السيئة. ومن بين أهم الحكايات الشعبية أو "الخرايف" المتداولة نجد "عمتي الغولة" و"عيشا قنديشا". أما شخصيات الحكايات الموجهة نحو الكبار فغالبا ما تكون شخصيات

14–سليماني رشيد، "تجليات الهوية والخصوصية في الشعر النسائي الأمازيغي السوسي" التراث اللامادي بالجنوب المغربي أعمال الندوة الوطنية المنعقدة بمدينة تيزنيت أيام: 30/29/28 ماي 2015 تنسيق محمد آيت حمزة والوافي نوحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية2019، ص 158.

15–الكدية الجيلالي، "أنطولوجيا الحكاية الشعبية المغربية" مطبعة أنفوبرانت، مدينة فاس 2014، ص12.

16–فخر الدين محمد، "الحكاية الشعبية المغربية بنيات السرد والمتخيل" صدر عن دار نشر المعرفة بالرباط2014، ص 12.



واقعية في قالب خيالي لا يمت للواقع بصلة، كشخصية بعض مراتب المخزن كالقاضي، القايد، الشيخ، السلطان وغيرها من الشخصيات، أو شخصية بعض المهن كالتاجر والصياد، الفقيه وغيرها، ومواضيعها تعالج غالبا قيمة الخير والعدل والكفاح من أجل الوطن أو من أجل لقمة العيش أو العدل بين الرجل والمرأة. وبالنسبة للحلقة المتعلقة بالحكواتي كانت الغرسة الكبيرة مسرحا خاصا بها.

أما اليوم فالحكاية اندثرت بشكل شبه كلي حيث لم يعد الحكواتي موجودا. إذا استثنينا مبادرة واحدة تقوم بها مجموعة من الشباب في مكتبات الحي، ولكن تبقى غير كافية من أجل إحياء هذا التراث الثقافي اللامادي الشعبي، الذي أصبح عرضة للنسيان. "فالحكاية الشعبية معرضة اليوم للاندثار أكثر من أي وقت مضى خصوصا مع انتشار وسائل الترفيه في المجتمع التطواني، ونخص بالذكر الهاتف الذكي والتلفاز واللوحات الذكية. حيث عوضت الحكايات الليلية الشعبية بهذه الوسائل الترفيهية"[17]. "الحكاية الشعبية من المؤشرات الرمزية لثقافة المجموعة البشرية وقيمها الأخلاقية والتربوية وحتى الاجتماعية. وفي طيات أسطوريتها هناك الواقع المعيش، وتعمل على ترسيخ قيم أنتجتها جماعة بشرية. والتي تعمل على ترسيخها وضمان استمراريتها حفاظا على الهوية والثوابت، كما أنها تحقق تواصلا فكريا لا يستهان به بين السلف والخلف، وبالتالي تضمن استمرارية نفس النسق ونفس البيانات وتساهم بذلك في تمتين الهوية والانتماء، وفي توطيد لحمة المجموعات، وتدعيم ثقة الفرد بنفسه وحضارته وتراثه"[18]. كما أنها تمثل الوجه الحضاري للمجموعة البشرية في مقابل الجماعات الأخرى.

الخاتمة

من خلال كل ما سبق في فقرات المقالة، يتضح أن التراث الثقافي الشفهي بمدينة تطوان يتسم بالتنوع والغنى، سواء من حيث الأصناف الشفهية، أو من حيث التأثر بالثقافات المتعاقبة على مدينة تطوان، ويعتبر التأثير الأندلسي أو الثقافة الاندلسية واضحا وجليا في هذا الموروث الثقافي، حيث ما زال حيا لحدود الفترة المعاصرة، سواء في اللهجة المحلية من خلال الأمثال والحكم، أو الفنون الغنائية ذات الأصول الأندلسية، فالتراث الشفهي التطواني يعتبر وسيلة لتعزيز الهوية المحلية الأندلسية، وإحياء الذاكرة التطوانية، التي تساهم في تلك الخصوصية المجالية التي تتميز بها مدينة تطوان. حيث يمكن لهذا التراث الثقافي اللامادي أن يؤدي دورا رياديا في التنمية المحلية بمدينة تطوان.

المراجع

- أخليفة مصطفى (2000) "أضواء على الفنون الجبلية بشمال المغرب"منشورات جمعية تطاون أسمير، الطبعة الأولى، مطابع الشويخ.
- أمحراف عبد الهادي (2013) "بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف" منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية سلسلة دراسات وأبحاث رقم 04، التراث في جبال الريف: واقع وآفاق.
- أميلي حسن والترني عبد الكريم (2019) "التراث الشفوي بواحات درعة الوسطى سبل المحافظة وآفاق التثمين" التراث اللامادي بالجنوب المغربي أعمال الندوة الوطنية المنعقدة بمدينة تيزنيت أيام: 28/29/30 مايو 2015 تنسيق محمد آيت حمزة والوافي نوحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.
- بنونة عبد السلام (2016) "تحفة الإخوان في الصنائع التقليدية بتطوان" تخريج وتقديم حسناء محمد داود، منشورات مكتبة سلمى الثقافية.
- داود حسناء (2019) "سمات وملامح من الحياة الاجتماعية"، منشورات مؤسسة محمد داوود للتاريخ والثقافة، مطبعة الخليج العربي، الطبعة الأولى.
- داود محمد (1999) "الأمثال العامية في تطوان والبلاد العربية" الجزء الأول: مقدمات والأمثال المجردة، إصدارات المجموعة الحضرية بتطوان، مطبعة الهداية.

---

[17]–أمحراف عبد الهادي، "بعض مظاهر التراث اللامادي بالريف" منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية سلسلة دراسات وأبحاث رقم 04، التراث في جبال الريف: واقع وآفاق 2013 ، ص 251.

[18]–آيت جمال محمد، "الحكاية الشعبية بواد نون والصحراء: قراءة في مرويات شرتات" التراث اللامادي بالجنوب المغربي أعمال الندوة الوطنية المنعقدة بمدينة تيزنيت أيام: 28/29/30 مايو 2015 تنسيق محمد آيت حمزة والوافي نوحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية 2019، ص 183

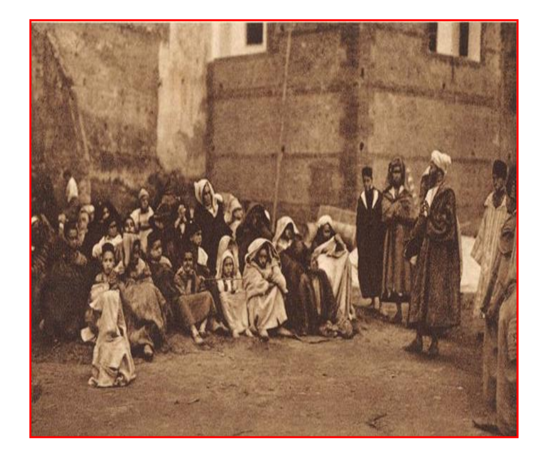




- داود محمد (2010) "تاريخ تطوان" المجلد الثاني، منشورات جمعية تطاون أسمير.
- داود محمد (2016) "التكملة ذيل لكتاب تاريخ تطوان (في خطط المدينة وسكانها وحياتها الاجتماعية)" مراجعة وتحقيق وإضافات حسناء محمد داود، مطبعة الخليج العربي.
- الرامي خالد (2005) "تطوان خلال القرن الثامن عشر تاريخ وعمران"، الطبعة الأولى، مطبعة الخليج العربي.
- الرهوني أبو العباس أحمد (2011) "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" تحقيق الحاج جعفر بن الحاج السلمي، جمعية تطاون أسمير ج2، مطبعة الخليج العربي.
- السعود عبد العزيز (1996) "تطوان خلال القرن التاسع عشر" منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي.
- السعود عبد العزيز (2009) "معطيات ديمغرافية وإثنية عن تطوان في القرنين 18 و19، في: المجتمع التطواني والتطور العمراني والمعماري" تنسيق امحمد بن عبود، مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، سلسلة أعمال الندوات 15 و16، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، الطبعة الأولى، مطبعة الخليج العربي، تطوان المغرب.
- سليماني رشيد (2019) "تجليات الهوية والخصوصية في الشعر النسائي الأمازيغي السوسي" التراث اللامادي بالجنوب المغربي أعمال الندوة الوطنية المنعقدة بمدينة تيزنيت أيام: 28/29/30 مايو 2015 تنسيق محمد آيت حمزة والوافي نوحي، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. -الكدية الجيلالي (2014) **"أنطولوجيا الحكاية الشعبية المغربية" مطبعة أنفوبرانت، مدينة فاس.**
- سيد عبد العال عبد المنعم (1968) "لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها" وزارة الثقافة المصرية، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة.
- فخر الدين محمد (2014) "الحكاية الشعبية المغربية بنيات السرد والمتخيل" صدر عن دار نشر المعرفة بالرباط.
- القباج عبد الإله (2005) "الصناعة التقليدية نضال وثقافة واقتصاد اجتماعي" مطبعة المعارف الجديدة-الرباط.
- المسعودي ليلى (1987) "أمثال وأقوال مغربية" مطبعة إيديال الدارالبيضاء، الطبعة الأولى.

الملاحق

صورة 3: حلقة الحكواتي في مدينة تطوان في عهد الحماية الإسبانية



المصدر:

http://www.findglocal.com/MA/T%C3%A9touan/

تؤكد الصورة اهتمام الساكنة التطوانية بالحكاية الشعبية التي كان الحكواتي يقدمها في الساحات العمومية الذي اندثرت بصفة نهائية من المدينة.

صورة4: الآلات الموسيقية المستعملة في العيطة الجبلية



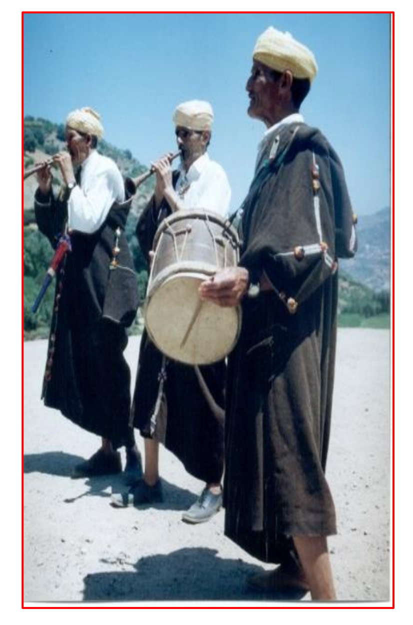
المصدر:

https://www.youtube.com/watch?v=laiQEKVnmlu

تبين الصورة بعض الآلات الموسيقية المستعملة في العيطة الجبلية، التي اعتمدتها الفرق الموسيقية في مختلف فترات ازدهار هذا الفن الموسيقي، التي برع الحرفيون المحليون في صناعتها.



صورة2: مجموعة للعيطة الجبلية



المصدر: بعدسة الباحث بتاريخ 2018/8/02

تبرز الصورة مجموعة للعيطة الجبلية تتكون من ثلاثث أفراد وهي من قبيلة بني يدر ضواحي مدينة تطوان، حيث تمارس هذه الفرق نشاطها في المناسبات الخاصة كالأعراس والعقيقة وغيرها.



الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في غزواته في شمال وشمال شرق المدينة النبوية من أطراف جبل أحد الجنوبية وحتى خيبر دراسة ميدانية تاريخية

د. عبدالله سكات الرشيدي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ﷻ وتقدس في ذاته وصفاته، والصلاة والسلام على رسوله الأمين والسراج المنير بينا وحبيبنا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إسهاما في خدمة السيرة النبوية والآثار التي تخدم سيرة حبيبنا محمد ﷺ بدى لي الكتابة عن موضوع مهم لم أرى من تطرق له بشكل منفرد فيما طالعت من البحوث والكتب ألا وهو: (**الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في غزواته في شمال وشمال شرق المدينة النبوية من أطراف جبل أحد الجنوبية وحتى خيبر - دراسة ميدانية تاريخية**)، فرأيت الكتابة من خلال تناول الأودية التي سارت معها جحافل الفتح ونشر الإسلام بقيادة رسولنا الكريم ﷺ، وقد اجتهدت في دراسة تلك الأودية دراسة مختلفة من حيث دراسة الأودية وروافدها وأهم أشجارها، وذكر الروايات التي ورد ذكر سلوك الرسول ﷺ لها، ومحاولة نقد ما يمكن نقده من خلال ما توفر لدي من معلومات ومصادر، مع ذكر بعض السرايا التي سلكت تلك الأودية والوهاد، وهي دراسة فيما أظن أنها جديدة ولم أسبق عليها وهذا فضل من الله ومنّة، واقتصرت البحث على الجهات الشمالية والشمالية الشرقية لأن دراسة بقية الجهات متعب ومضني خاصة في شقة الميداني، ولعل الله أن يكتب لي إكمال ما بدأته في بقية الجهات، وكان منهجي في هذا البحث تتبع الروايات وحصرها ومحاولة معرفة الطرق التي سلكها النبي ﷺ في تلك الغزوات من خلال عرض ما ورد فيها من أماكن على معاجم البلدانيين وأصحاب الاختصاص، وإذا تعذر معرفة بعضها لجأت إلى أهالي المنطقة بالسؤال والتقصي والحمد لله أثمرت تلك الجهود بالشيء الكثير من النتائج المبهجة فلله الشكر والمنّة، وقد اعتمدت بعد الله على الكثير من المصادر والمراجع باختلاف الطبعات لكنني حاولت جاهدا اعتماد الطبعات المتوفرة لدي أو التي يمكنني احضارها، ولا اخفي اعتمادي على الكتب التي بصيغة (pdf)، وكذلك المكتبة الشاملة، فقد كان فيهما جهد عظيم بذله من تكبد فعل هذه المشاريع الخيّرة أسأل الله لهم الأجر والعون والمثوبة، وقد اقتصرت على ذكر الرواية من مصدر واحد ومن اكثر من مصدر في بعض الأحيان، وتوثيق تلك المعلومات بشكل مختصر (اسم المؤلف – واسم الكتاب – ورقم الجزء والصفحة)، تاركا التوثيق والمعلومات البيولوجية للمصادر آخر البحث، كما حرصت على ذكر الأحاديث من مصادرها فما كان في الصحيحين أشرت إليه في مصدره، وقد اكتفي في ذكر مصدر واحد، وما كان في غيرها اجتهدت على بيان درجته من الصحة والضعف حسب ما يتوفر لدي من إمكانات، وقد حاولت في استنتاج بعض المعلومات على الأدلاء الذين أرسلهم أو كلفهم رسول الله ﷺ لتسهيل وصول تلك السرايا والغزوات لهدفها بكل يسر وسهولة، ثم وضعت في خاتمة البحث .

ولا يسعني في نهاية هذا البحث إلا أن أشكر كل من أسدى لي معلومة أو شارك بالرأي، وأزجي أكمل الشكر ولامتنان لأسرتي على تحملهم أعباء معاناتي طوال فترة البحث، سائلا الله ﷻ أن يكون هذا البحث في ميزان حسنات كل من أسهم به وأعان عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال وشمال شرق المدينة النبوية

وادي قناة – ونعامين – والأعوص – والقزاز

تمهيد

حينما يتتبع الباحث الروايات التاريخية يجد فيها نوعا من التفرد في تسجيل كل ما يتعلق بالسيرة النبوية أو لنقل معظم ما يتعلق بالسيرة، وهذا جهد قام به العلماء الكبار فدونوا كل ما علموه ووصل إلينا في بطون المؤلفات التي بذل فيها أصحابها جهدا لا ينكره إلا جاحد، وقد راودتني فكرة تتبع ما كتبوه عن المنطقة التي تقع شمال المدينة النبوية لأنني وجدت أنها لم تخدم بالشكل المطلوب، وإن كانت هناك جهود لا تنكر كتب الله لأصحابها الأجر والثواب، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث في الأودية التي سلكها نبينا وحبيبنا محمد ﷺ في شمال وشمال شرق المدينة النبوية، والتي جاء ذكرها في الروايات، وسأتناول كل ما يتعلق بهذه الأودية، وفق

المنهج الذي أوضحته في المقدمة، وقد جاء ذكر بعض الأودية ذكرا صريحا وهذا لا خلاف عليه لكنني سأتناول بعض الأودية التي يُظن أن رسول الله ﷺ مر بها لما يحتمه الوضع الجغرافي للمنطقة ولم تذكره الروايات، والتي ربما أختلف أو اتفق ممن اعتنى بذكر تلك الأودية عناية جغرافية لا تاريخية عليها، وقبل ذكر الأودية لا بد من التعريف على منطقة تصل المدينة بزُغابة، وهي الجبانة، ثم الحديث عن زُغابة وصولا إلى أول تلك الأودية:

ثنية الوداع[1]:

اختلف الكثير على موقعها فالبعض قال أنها على طريق مكة، والبعض قال أنها شامي المدينة في أول الطريق عند جبل سلع وهي الأقرب، لورود الكثير من النصوص التي تدل على ذلك، وهذا لا يعني نفي وجود ثنية باسم ثنية الوداع على طريق مكة المكرمة.

الجبّانة:

ورد عند البكري أن ذُباب اسم جبل بجبانة المدينة، أسفل من ثنيّة المدينة[2]، فمن هذا نستنتج أن الجبانة شمال المسجد النبوي ومنذ المدينة لمن أراد الذهاب إلى شاميها، والجبانة أصله المقبرة وهو موضع شامي المدينة، وفي حديث عمر ﷺ لما زاد في المسجد من شاميه، ثم قال: لو زدنا فيه حتى نبلغ به الجبانة كان مسجد رسول الله ﷺ[3].

الخندق:

تم حفر الخندق من شمال المدينة الشرقي حتى غربيها، وكان حده الشرقي من طرف حرّة واقم وحده الغربي إلى وادي بطحان، حيث طرف الحرّة الغربية حرّة الوبرة، فهو نصف دائرة طرفها الغربي يقع غربي مسجد المصلى، والشرقي عند مبتدأ حرة واقم في الشمال الشرقي، والخندق مطمور اليوم فلا يعرف موضعه بالتحديد[4].

يثرب:

وهي ما بين طرف قناة إلى طرف الجرف، وهذا حدها من المشرق إلى المغرب، أما حدها الجنوبي والشمالي فما بين مال البرني وزبالة[5]، وهي من ضليعات الرسي شمال غرب، إلى عقاب وهو الأزهري، قال العياشي: قلت هي في شمال المدينة[6].

زبالة:

قال البكري: زبالة: من أعمال المدينة، سمّيت بضبطها الماء، وأخذها منه كثيرا، من قولهم إنّ فلانا لشديد الزّبل للقرب، وقال ابن الكلبيّ عن أبيه: سمّيت بزبالة بنت مسعود من العماليق، نزلت موضعها، فسمّيت بها[7]، وقال السمهودي: زبالة بالزج شمالي المدينة بينها وبين يثرب، كان لأهلها أطمان[8].

الصمغة:

موضع بقرب قناة، ذكر ابن هشام[9] نزول قريش بعينين على شفير وادي قناة، ثم ذكر تسريحهم الظّهر والكراع في زرع كانت بالصمغة من قناة[10]، وهي فيما يبدو أرض فسيحة ينبت فيها العشب والمرعي.

زُغابة:

ورد عند البكري: (زغابة بضم أوله، وبالباء المعجمة بواحدة، زعم ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ لمّا فرغ من حفر الخندق، أقبلت قريش حتّى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة، بين الجرف وزغابة، وفي بعض النسخ: زغابة! بالغين المعجمة، وكلا الاسمين مجهول، وقال محمد بن جرير: بين الجرف والغابة، وما رواه أقرب إلى الصواب، قال ابن إسحاق: وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتّى نزلوا بذنب نقم)[11]، وقال السمهوي: (زغابة: كسحابة والغين معجمة، مجتمع السيول آخر العقيق غربي قبر حمزة رضي الله تعالى عنه، وهي أعلى إضم كما سبق عن الهجرى وغيره، وأن ابن إسحاق قال: نزلت قريش بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف وزغابة، قال أبو عبيد البكري في ضبطه: زعابة بالضم وإهمال العين، وقال محمد بن جرير: الرواية الجيدة بين الجرف والغابة؛ لأن زعابة لا تعرف، قال ياقوت: ليس كذلك، فإن في الحديث أنه ﷺ قال: «ألا تعجبون لهذا الأعرابي؟ أهدى إليّ ناقتي أعرفها بعيني،

---

1 انظر: عبدالقدوس الأنصاري: **آثار المدينة المنورة**، ص135-136.

2 **معجم ما استعجم**: 609/2.

3السمهودي: **وفاء الوفاء**، 51/4.

4 عبدالقدوس الأنصاري: **آثار المدينة المنورة**، ص134.

5 السمهودي: وفاء الوفاء، 196/4.

6 العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص475.

7 **معجم ما استعجم**: 694/2. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 129/3.

8 السمهودي: السابق، 98/4.

9 **السيرة**: 58/3.

10 السمهودي: السابق، 122/4.

11 **معجم ما استعجم**: 698/2.

ذهبت مني يوم زعابة، وقد كافأته بست- أي بست بكرات- فسخط»، فكيف لا يكون يعرف؟)[12]، وقد ورد نص الحديث عند الإمام أحمد بن حنبل: (إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً وَهِيَ نَاقَتِي، أَعْرِفُهَا كَمَا أَعْرِفُ بَعْضَ أَهْلِي، ذَهَبَتْ مِنِّي يَوْمَ زَغَابَاتٍ، فَعَوَّضْتُهُ سِتَّ بَكَرَاتٍ، فَظَلَّ سَاخِطًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلَّا مِنْ قُرَشِيٍّ، أَوْ أَنْصَارِيٍّ، أَوْثَقَفِيٍّ، أَوْ دَوْسِيٍّ)[13]، وكان نزول غطفان ومن تبعهم من أهل نجد يوم الأحزاب بذنب نقمي غرب أحد[14]، وقيل بزغابة إلى نقمي، وقيل بالزغابة إلى جانب أحد، وسرّحت غطفان إبلها في الغابة في أثلها وطرفائها في الجرف[15].

الحفياء (حيفاء):

بفتح أوّله وبالياء أخت الواو ممدود على مثال علياء، وهو موضع قرب المدينة، روى مالك عن نافع عن ابن عمر أنّ رسول الله ﷺ سابق بين الخيل التي أضمرت من الحفياء، وكان أمدها ثنيّة الوداع، وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنيّة إلى مسجد بنى زريق؛ وأنّ عبد الله بن عمر كان ممّن سابق بها، وبين الحفياء وثنيته الوداع ستّة أميال[16]، وورد عند ياقوت: (حَفْيَاءُ: موضع قرب المدينة أجرى منه رسول الله، ﷺ الخيل في السباق، قال الحازمي: ورواه غيره بالفتح والقصر، وقال البخاري: قال سفيان بين الحفيا إلى الثنية خمسة أميال أو ستة)[17]، وجاء عند السمهودي: (حفياء: بالفتح ثم السكون ثم مثناة تحتية وألف ممدودة، موضع قرب المدينة، منه أجريت الخيل المضمرة إلى ثنية الوداع، قاله الحازمي، ورواه غيره بالقصر، وضبطه بعضهم بالضم والقصر، وأخطأ، ورواه بعضهم حيفاء بتقديم الياء على الفاء، قال البخاري: قال سفيان: من الحفياء إلى الثنية خمسة أميال أو ستة، وقال ابن عقبة: ستة أو سبعة، قال المجد: وهي على مقربة من البركة فيما يغلب على الظن، قلت: هي شامي البركة مغيض العين؛ لأن الهجري قال بعد ذكر مجتمع السيول بزغابة: ثم يفضي إلى سافلة المدينة وعين الصورين بالغابة، وبها الحفياء صدقة الحسن بن زيد بن علي، وعبارة الزبير: فينحدر على عين أبي زياد والصورين في أدنى الغابة، فالحفياء التي عبر عنها الهجري بالحيفاء بأدنى الغابة، ولهذا جاء في حديث السباق: من الغابة إلى موضع كذا)[18].

جبل ثور:

من جبال المدينة ومن حدود الحرم الثابتة، ورد في الصحيح: (قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا»)[19]، ولن أدخل في خلافات أصحاب الآراء فما أثبته الصحيح فهو الصحيح ولا جدال، وقد قال المطري: ثور جبل خلف جبل أحد من شماليه تحته جبل صغير مدور يسمى ثورا يعرفه أهل المدينة خلف عن سلف، ووعيره شرقيه وهما حد الحرم[20]، ويقول العياشي: خرجت أبحث واطبق فوجدت ثورا هو الذي عليه خزان ماء المدينة في الشمال الشرقي من أحد[21]، وفي رأيي أن ما ذكره المطري هو الصواب.

وادي الضيقة:

قال المطري: إن السيول تجتمع بدومة سيل بطحان والعقيق والزغابة النقمى وسيل غراب من جهة الغابة فيصير سيلا واحدا ويأخذ في وادي الضيقة إلى إضم[22]، وقال السمهودي: الضيقة يسمى بها اليوم أعلى وادي إضم[23]، وهذا الوادي يقع شمال يثرب والبركة وينحصر بين جبال غريبات والرسي، وعند هذا المضيق ينتهي العقيق، وقناة الوارد من الشرق، ويكون المجرى بعده وادي إضم[24].

جبلا وَعيرة ووعيرة:

---

12 **وفاء الوفاء**: 4/98-99.

13 **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: 13/296. قال المحقق: حسن. وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي معشر، وهو نجيح بن عبدالرحمن السندي، لكنه توبع.

14 ابن هشام: **السيرة**، 3/189.

15 الْجُرْفُ: بِسُكُونِ الرَّاءِ – هُوَ الصَّوَابُ – مَكَانٌ غَرْبِيَّ الْمَدِينَةِ يُرَى مِنْ جَبَلِ سَلْعٍ مَغِيبَ الشَّمْسِ، يُظَلِّلُهُ عَشِيًّا جَبَلٌ سَامِقٍ يُسَمَّى جَبَلَ الشَّظْفَاءِ. البلادي: **معجم المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية**، ص 281. انظر: عبدالله سكات: **غزوة ذي قرد**، ص9.

16 البكري: **معجم ما استعجم**، 2/458.

17 **معجم البلدان**: 2/276.

18 **وفاء الوفاء**: 4/67-68.

19 البخاري: باب إثم من تبرأ من مواليه، الحديث 6755، ص806. مسلم: باب تحريم تولي العتيق غير مواليه، الحديث 1370، 2/1147. واللفظ له.

20 **التعريف بما أنست الهجرة من معرفة دار الهجرة**: ص182.

21 **المدينة بين الماضي والحاضر**: ص461.

22 المطري: **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، ص172.

23 **وفاء الوفاء**: 4/126.

24 العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص458.

وعيرة: بفتح أوله، من الوعورة وهو خشونة الأرض، جبل شرقي ثور، وهو أكبر من ثور وأصغر من أحد[25]، وقال العياشي: جبلا وعيرة ووعيرة كلاهما مؤنث والثانية مصغّرة، وهما متجاورتان يلتقيان ببعضهما، إلا أن المصغرة أصغر من المكبرة، واسمهما يطابق واقعهما، فهما وعرتان جدا مأوى للصقور[26].

هذه بعض المناطق التي تقع في شمال المدينة النبوية ولها تاريخ حافل في عصر السيرة النبوية وجدير بنا دراستها دراسة مستفيضة تعطيها ولو قليل من حقها، وقد تجاوزت عن وادي حرض والغابة ووادي إضم لوقوعهم شمال غرب المدينة، ومثل هذه المناطق تحتاج لدراسة مستقلة، أسأل الله أن يسخر لها من يدرسها، وأن يكتب لي الحظ الجزيل من ذلك.

أما أبرز الأودية والوهاد التي سار معها النبي ﷺ في تلك المنطقة فسأوردها تباعا وفق قربها وبعدها عن المدينة النبوية فاتجاه الدراسة سيكون من الجنوب إلى الشمال إن شاء الله تعالى، وهذه الأودية هي:

وادي قناة:

وهو أول وادٍ يقابلنا في هذه الدراسة، وهو وادٍ يقع شمال المدينة بينها وبين جبل أحد، وقد ورد ذكره في الروايات كثير، و(وادي قناة يقع في الناحية الشمالية من المدينة، ويبعد عنها بأربعة كيلو مترات ونصف)[27]، وأول من سماه بوادي قناة هو تبّع حينما مرّ بموضع قناة، فقال: هذه قناة الأرض[28]، وقال ياقوت: (وادي قناة، قالوا: سمي قناة لأن تبّعا مرّ به فقال هذه قناة الأرض، وتبّع هذا كما ذكره الدكتور جواد علي بأنه تبّع أبو كرب الذي طلب من الأوس والخزرج بدفع أتاوة له وهم الذين لا يقبلون ذلك منذ العصور الجاهلية الأولى فقرر غزوهم فقاتلوه ليلا وطال به المقام فقرر الرحيل عنهم لما رأى من كرمهم[29]، وورد عند السهيلي أن تبّع غزى المدينة ليس لهدف غزو الأوس والخزرج وإنما قصد قتل اليهود الذين نقضوا عهودهم مع الأوس والخزرج واستنجدوا به[30]، وقال أحمد بن جابر: أقطع أبو بكر الصديق الزبير بن العوام رضي الله عنهما ما بين الجرف إلى قناة، وقال المدائني: وقناة واد يأتي من الطائف ويصب في الأرحضية وهي: موضع قرب أبلى وبئر معونة، بين مكة والمدينة[31]، وقرقرة الكدر وهو: جمع أكدر، قال الواقدي: بناحية المعدن قريبة من الأرحضيّة بينها وبين المدينة ثمانية برد، وقال غيره: ماء لبني سليم[32]، ثم يأتي بئر معاوية ثم يمر على طرف القدوم وهو: جبل، وقيل: وادٍ في أصل قبور الشهداء)[33]، وحول قول المدائني أنه يأخذ مياهه من الطائف جدل واختلاف يقول البلادي: وهذا وهم وقع فيه بعض المتأخرين ، لأن مياه الطائف لا تصل إلى هناك ولا تقرب المدينة، ولا شك أن الأقدمين كانوا غير قادرين على تتبع مثل هذا فظنوا ذلك[34]، ومن أجل معرفة دقيقة وأخذ المعلومة من أصحاب الخبرة سألت أهالي منطقة المسبعة وهي قرية تبعد قرابة 70 كيلا شرق المدينة وقد أفادني الشيخ عوض بن عويض الشاماني وهو خبير بأوديتها وجبالها ورعاها بإبله أن هناك نوعين من الأودية في تلك الديار منها أودية تذهب إلى قاع محير لها لا تسيل منه إطلاقا وقد ذكر البعض أنه لم يشاهد مياه ذلك المحير إلا مرّة واحدة وهي جميع الأودية التي تقع غرب المسبعة ووادي غراب شرق الحرّة، أما الأودية التي تقع جنوب غراب فهي تسيل في الشعبة مثل الضميرية، وكذلك تسيل الأودية التي شمال المهد في الشعبة، وهناك أودية تفيض للعاقول مثل الديسية والحويسة والبلاعة وزرقة أبو زيد وسكابا ويسيل في وادي غراب أبو رمثة والقِري ورحاب الصباح وإرشيّة وامهات القطايف وهي خمسة شعاب، وصياد والبريطيمة والسليم والعزلاء وأم سرحة ووادي غراب الذي يجمع أودية المسبعة والوزراء، ومن الأودية التي تسيل في الشعبة: القفيف والأرحضية والضميرية والخليج وأم العشارق والهرارة والحجون والعرج والجريسية، وكل هذه الأودية من روافد وادي قناة (العاقول)، وسألت الشيخ عايض المطيري من خبراء منطقة المهد وصاحب إبل يرعاها هناك قال بخصوص سيل الطائف لا يمكن ان يفيض إلى الشعبة لأن رأس الشعبة قريب من الخط (الطريق) السريع ويبعد عن الطائف قرابة 170 كيلا شمال الطائف وهناك قاع محير بالحرّة شرق السوارقية حد الحرّة من السهل عرضه 70 كيلا تقريبا وطوله قرابة 100 كيلا، وما بعد الحرّة يفيض في جهات متعددة ولا يفيض على الشعبة لأن رأسها عدة أودية لا تتجاوز الحرّة، ويؤكد ذلك ما أورده الدكتور تنيضب الفايدي عن سيل وادي قناة بقوله أن سيل الطائف لا يصل منه إلى المدينة قطرة ماء واحدة، لأن القاع الكبير الذي تصب به مياه أودية الطائف والذي يبلغ طوله 60 كيلا تحجزه حرّة أرن وهي حرة طويلة تمتد من الشرق إلى الغرب ويمر بها طريق الهجرة والمسافة

25السمهودي: السابق، 196/4.

26 العياشي: السابق، ص459.

27 مُحَمَّد بيومي مهران: **دراسات في تاريخ العرب القديم**، ص432.

28 البكري: **معجم ما استعجم**، 117/1.

29 **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**: 133/7.

30 **الروض الأنف**: 83/1.

31 ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 144/1.

32 السابق: 441/4.

33 السابق: 401/4. انظر : السمهودي: **وفاء الوفاء**، 152/4.

34 **معجم معالم الحجاز**: 1403/7.



بين أعلى مسيل وادي قناة والقاع المذكور لا تقل عن 300 كيلا[35]، ومما يؤكد أن وادي قناة يأخذ مياهه من الشعبة ولا يتجاوزها إلى الطائف ما أورده البلادي بقوله: (وقناة وادٍ يمر بين المدينة وأحد أعلاه وادي الخَنَقْ، والخَنَقْ يأخذ سيله من الشعبة، وهو وادٍ يأتي من شرق نجد من جهات ضرية ويأخذ مياهه من أبلى الشمالية ومياه حرّة النقيع الشرقية ويجتمع مع أودية نخل ونجار والنخيل والشعبة وأخرى ثم يدفع بالخَنَقْ، ومن إلى سد العاقول ومن العاقول إلى الغابة ومنها إلى إضم مجتمعا مع العقيق وبطحان)[36]، وقد ورد عند العياشي أن: وادي قناة يأتي من الشمال الرقي من جبل تِيم ثم يملأ حوض العاقول في قسميه الرمرام وأم القروان، ثم يأتي ماضيا إلى الشمال في موازنة الحرّة حتى يرجع إلى جهة الغرب مقابل جبلي وعيرة ووعيّرة (بالتصغير) ويكون جبل أحد من الشرق (واعتقد أنه كان يقصد من الغرب لأن الموقع على الطبيعة يقول ذلك) وعندما يقابل قهوة رشوان (وهي مكان يقع شرق محطة الكهرباء التي تقع جنوب جبل وعيّرة وأزيلت اليوم ومكانها نخطط لوزارة الإسكان) يمضي لحف حرّة النار وهي الشظاة ويبقى اسم قناة عليه حتى يفيض إلى جهة بركة الزبير ﷺ وهناك يصب فيه وادي حرض وهنا تبدأ تسميته بوادي الحمض[37]، في هذا الوصف لوادي قناة يلاحظ أنه لم يذكر التقاء وادي قناة بأودية الخضراء والرصيعة والعوينة وقزارا ومطوقات ووادي السدر والتي تجتمع في الأعوص شمال مطار الأمير محمد بن عبدالعزيز ثم يدفع سيلها غربا ثم جنوبا شرقي جبل وعيرة حتى يلتقي بسيل وادي قناة شرقي جبل أحد وجنوب شرقي جبل وعيّرة، كما لم يذكر جزء من سيل المفهق والذي قال عنه البلادي: أنه فج في شمالي المدينة بين أحد ووعيّرة إذ أخذته تلتف حول جبل أحد من الشرقي والشمال دون أن تمر بالمدينة[38]، والذي يدفع جزء من سيله في وادي قناة بالقرب من جبل الخزان، والجزء الشمالي يدفع بوادي نقمي، والملاحظ أن وادي قناة يلتقي مع وادي العقيق وغيره من أودية المدينة في مجمع الأسيال الأول في زُغابة ثم ينحدر سيلهم شمالا ويلتقي مع سيول نقمي وحرض والضليعات الحمر والحفيا في رأس وادي إضم (الحمض) فلا علاقة لقناة بوادي حرض الذي يصب مياهه في وادي نقمي، كما أورد العياشي سببا لتسمية حوض العاقول بهذا الاسم فقال: أن تسمية حوض العاقول بهذا الاسم نتيجة تشابه أحجاره في أسنانها الحادة بشوك شجر العاقول[39]، وربما يكون هذا الاجتهاد في محلّه لو لم يكن السبب معلوما، فسبب تسمية العاقول بواديه وحوضه كان لانتشار نبات العاقول هناك، وقد سألت أحد أهالي العاقول وهو الأستاذ إبراهيم بن ملفي الحسيني وهو من سكان منطقة العاقول بقوله: أن كبار السن كانوا يقولون أن شجر العاقول كان منتشرا في الوادي وخاصة في حوض العاقول وعند السد، لكن نتيجة التجريف وكذلك قلة الأمطار انقرضت معظم تلك الأشجار، وهنا يتبين أن سبب التسمية نتيجة تشابه أحجاره في أسنانها الحادة بشوك شجر العاقول وكذلك لانتشار نبات العاقول في تلك المنطقة، وسأتناول بعض التفصيلات التي تتعلق في وادي قناة عند التعرض للحديث عن وادي نقمي، كما أن وادي القدوم وهو وادي يمر وادي قناة بطرفه الجنوبي غي أصل قبور الشهداء بأحد[40]، وشعب أحد وهو الشعب الذي نهض المسلمون برسول الله ﷺ إليه يوم أحد وأسندوا إليه[41]، ويسمى شعب المهاريس، وهما من روافد وادي قناة عند جبل عينين وهو كما ورد عند السمهودي جبل جنوب جبل أحد والذي كان عليه الرماة يوم غزوة أحد[42]، وقد سلك النبي ﷺ وبعض أصحابه شعب المهراس وهو يدعو المسلمين ويحاول جمع فلولهم ويحضهم على قتال المشركين[43]، وقد ورد أن المهراس ماء بأحد، وروي أن النبي ﷺ عطش يوم أحد فجاءه عليّ ﷺ وفي درقته ماء من المهراس فعافه وغسل به الدم عن وجهه. قال عبيد الله الفقير إليه: ويجوز أن يكون جاءه بماء من الحجر المنقور المسمّى بالمهراس، ويجوز أن يكون علما لهذا الحجر سمي به لثقله لما أنه يقع على الشيء فيهرسه، وليس كل حجر منقور مستطيل مهراسا[44]، هذا ما يتعلق بوادي قناة من حيث امتداده وروافده حتى وصوله إلى مجمع الأسيال الأول في زُغابة شمال المدينة المنورة، والملاحظ أن أغلب الأشجار التي تنمو بهذا الوادي هي أشجار السيال والسمر ثم يغلب عليه نبات العاقول الذي ينتشر حول السد فيسمى باسمه، وسد العاقول سد صناعي ضخم على وادي قناة شرق المدينة المنورة على 16 كيلا، يحجز وراءه بحيرة تقدر بـ 1300م في 1000م من المياه وله أثر في انتعاش الزراعة في أسفل وادي قناة[45]، والوادي يضيق ويتسع حسب قرب الجبال والحرة من حوافه إذ يبلغ اتساعه في قاع حضوضى ثم يضيق بسبب حجارة الحرّة بعد ثوران بركانها حتى يبلغ مساحة ضيقة جنوب شرق جبل أحد، وقاع حضوضى هو مجمع أودية عظيمة تنحدر سيوله من الجبال الجنوبية التي تشرف على المهد والأرحضية ثم تتجه شمالا إلى أن تلتقي بسيول تأتي من الشرق

---

35 **الأودية والآبار في مدينة المختار بين الأدب والتاريخ**: ص277.

36 عاتق البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 1403/7.

37 إبراهيم العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص490-491.

38 عاتق البلادي: السابق، 8/ 1638.

39 إبراهيم العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص498.

40 السمهودي: **وفاء الوفاء**، 152/4.

41 السابق: 113/4.

42 السابق: 138/4.

43 الواقدي: **المغازي**، 115/1.

44 البكري: **معجم ما استعجم**، 1274/4 . ياقوت: **معجم البلدان**، 232/5. السمهودي: السابق، 180/4.

45 عاتق البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 796/6.



منها وادي الحناكية (وادي نخل قديما)، ووادي الشقرة الذي أعلاه وادي الصويدرة (الطرف قديما)، وأودية أخرى تجتمع في منخفض يدعى قاع حضوضى، الذي يبتلع سيول تلك الأودية بشكل عجيب، ويظهر أنه تكوّن إثر ثوران بركان الحرّة عام 654هـ الذي أوجد سدا عظيما لحجز سيول تلك الأودية عن المدينة النبوية، إذ أن تلك السيول كانت تتجه لوادي قناة مباشرة، لكنه كوّن ما يعرف بوادي الخنق الذي أصبح يفضي لوادي قناة، وهو وادي المدينة الشمالي بينها وبين أحد، ويظهر أن ذلك المنخفض تكون نتيجة تراكم الصخور العظيمة التي سدّت مجرى الوادي ولا تزال آثارها باقية ومشاهدة[46]، أما الروايات التي وردت في سلوك النبي ﷺ لهذا الوادي أو جزء منه فسأوردها سواء التي ذكر فيها الوادي صراحة أو التي وردت فيه إشارات تدل على أنها جزء من الوادي أو من روافده، فقد ورد ذكر لجزء من وادي قناة في غزوة قرارة الكدر التي كانت في السنة الثانية للهجرة إلى بني سليم وغطفان[47]، ولم تذكر الروايات طريق الذهاب الذي سلكه رسول الله ﷺ في هذه الغزوة، لكن ورد عند الواقدي أن النبي ﷺ خمّس النعم بصرار الذي يبعد عن المدينة ثلاثة أميال[48]، وورد أن صرار بئر قديمة على ثلاثة أميال من المدينة على طريق الحاج العراقي[49]، وقدم صرار يوم الأحد لخمس بقين من المحرم، وسميت ذات الرقاع لأن فيها جبل فيه بقع حمرة وسواد وبياض فسمي ذات الرقاع، والمؤكد أن الأصح في اسم ذات الرقاع ما ورد في الصحيح بأنها سميت بذلك لما روى أبو موسى ﷺ قال: «خرجنا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، وَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا»، وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَاكَ، قَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ[50]، وذات الرقاع قريبة من النخيل بين السعد والشقرة[51]، فقد ورد في الصحيح أن الغزوة كانت موجهة إلى محارب وثعلبة من غطفان، وأن ذات الرقاع من نخل[52]، فمن هنا يتضح أن طريق عودة الجيش وتقسيم الخمس جاء عن طريق وادي قناة وهذا ما أكدته الرواية، والموقع الذي حدده البيهقي يدل على أن الطريق الذي سلكه الجيش يمر

46حمد الجاسر: **في شمال غرب الجزيرة**، ص521.

47 الواقدي: **المغازي**، 171/1.

48 السابق: 172/1.

49 الفيروزبادي: **المغانم الطابة في معالم طابة، ص217**. السمهودي: **وفاء الوفاء**، 119/2.

50 البخاري: **الصحيح**، الحديث 4125، باب غزوة ذات الرقاع، ص497. مسلم: **الصحيح**، الحديث 1816، باب غزوة ذات الرقاع، ص520.

51 البيهقي: **دلائل النبوة**، 371/3.

52البخاري: السابق، ص497.

بوادي قناة والأعوص والعرينة (العوينة) وصولا إلى الشقرة ثم تجاوزوها إلى ما دون نخل (النخيل)، وهذا يحتم مرور الجيش بقيادة رسول الله ﷺ بتلك الأودية والوهاد، وفي غزوة ذي أمر: في السنة الثالثة للهجرة[53]، وهي ذو أمرّ، فقد بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من بني ثعلبة بن سعيد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وبني محارب بن خصفة بن قيس بذي أمر قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف رسول الله ﷺ، وجمعهم رجل منهم يقال له: دعثور بن الحارث بن محارب[54]، فندب رسول الله ﷺ المسلمين، وخرج في أربعمائة وخمسين، معهم عدة أفراس، واستخلف على المدينة عثمان ابن عفان ﷺ، فأصابوا بالمدينة رجلا منهم بذي القصّة يقال له: جبّار من بني ثعلبة، فقال له المسلمون: أين تريد؟ فقال: أريد يثرب لأرتاد لنفسي وأنظر، فأدخل على رسول الله ﷺ فأخبره من خبرهم، قال: قال لن يلاقوك ولو سمعوا بسيرك هربوا في رؤوس الجبال وأنا سائر معك، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وأسلم، وضمّه رسول الله ﷺ إلى بلال، فأخذ به جبّار طريقا، وهبط به عليهم، وسمع القوم بمسير رسول الله ﷺ، فهربوا في رءوس الجبال، فبلغ ماء يقال له: ذو أمر، فعسكر به، وأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه مطر كثير، فابتلّت ثياب رسول الله ﷺ وثياب أصحابه، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة ونشر ثيابه لتجفّ، واضطجع، وذلك بمرأى من المشركين، واشتغل المسلمون في شؤونهم، فبعث المشركون رجلا شجاعا منهم يقال له: دعثور بن الحارث، وكان سيدها وأشجعها، ومعه سيف متقلّد به، فبادر دعثور وأقبل مشتملا على السيف، حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف مشهورا، فقال: يا محمد، من يمنعك مني اليوم؟ فقال رسول الله ﷺ: «الله»، ودفع جبريل في صدره، فوقع السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ، وقال له: «من يمنعك مني؟» فقال: لا أحد، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليك جمعا أبدا، فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، ثم أتى قومه فقالوا: مالك؟ ويلك! فقال: نظرت إلى رجل طويل، فدفع في صدري، فوقعت لظهري، فعرفت أنه ملك، وشهدت بأنّ محمدا رسول الله، والله لا أكثر عليه جمعا، وقال الرواة أن الله ﷻ أنزل في هذه الواقعة قراءنا يتلى، إذ أنزل قوله تعالى: المائدة [11]، وعاد رسول الله ﷺ إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة،

53 الواقدي: السابق، 180/1.

54 دعثور بن الحارث الغطفانيّ، ذكره أبو سعيد النّقّاش، وبعد قصته الشهيرة مع رسول الله ﷺ أسلم دعثور بعد ذلك، قلت: وقصته هذه شبيهة بقصة غورث بن الحارث المخرّجة في الصحيح من حديث جابر، فيحتمل التعدّد أو أحد الاسمين لقب إن ثبت الاتّحاد. ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصحابة**، 324/2.

وقال أبو عمر: قام رسول الله ﷺ بنجد صفر كلّه[55]، ومن خلال ما أورده الواقدي يتضح أن رسول الله ﷺ سلك وادي قناة حتى جاء في المنطقة الواقعة بين الحرّة ووعيرة فاتجه شمالا مع طريق الحاج العراقي وهذا ما تبينه الرواية إذ ورد أن النبي ﷺ أخذ على المنقى وحول المنقى أقول: من المواضع التاريخية التي جاء ذكرها في المصادر المتقدمة المنقى وهو: المخلّص من الشوائب وَالطَّرِيق[56]، وعملية إزالة الحجارة عن طريق المارة هي تنقية للطريق، لذا نجد أكثر من طريق في البوادي والقفار يحمل اسم المُنَقَّى، فهناك موضع على سيف البحر مما يلي المدينة، يسمى المنقى، قال الجعدي:

جلبنا الخيل من تثليث حتّى

أتين عــلى أوارة فالــــــعـــدان

وبتن على المنقّى ممســكات

خفاف الوطء من جدب الزّمان[57]

وكذلك هناك طريق يربط مكة المكرمة ببغداد وهو طريق زبيدة يسمى المنقى لأنه نقي من الحجارة ومهد ليسير عليه بكل بساطة وراحة حجاج بيت الله الحرام ومن يكن في حكمهم، قال البلادي: (ودرب زُبَيدة سمي المُنَقَّى لأنهُ منقىً من الحصى والحجارة حتى صار سالكاً للدواب والقوافل، وهو يخرج من مكة المكرمة من بين ثَبِير وحِراء فيمر في ثنية خَلّ، ثم علمي طريق نخلة، ثم يأخذ ذات اليسار فيمر في البرود -واد وماء- ثم يأخذ ثنية تسمى (مُدَرَّجة الناقة) ثم يهبط وادي حُراض، وهو غير حراض نخلة الشامية، ثم يمر بملتقى النخلتين، فيقبل نخلة الشامية حتى تفترق حُراض والزرقاء، فيأخذ الزرقاء مروراً بمكة الرَّقَّة ثم الضريبة ثم مسولا ثم القَاحَة، ثم يفترق إلى طريقين: طريق البصرة: يأخذ يميناً على وجرة ثم حرة كشب، وطريق الكوفة: يأخذ يساراً على حاذة ثم مهد الذهب ثم يمر بالحاجر في وادي الرمة[58]).

والمنقّى: بين أحد والمدينة، قال ابن إسحاق: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ، يوم أحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقّى دون الأعوص، وقال ابن هرمة:

كأني من تذكّر ما ألاقي

إذا ما أظلم الليل البهيم

سليم ملّ مـــــنه أقــربوه

وودّعه المداوي والحميم

فكم بين الأقارع والمنقّى

إلى أحد إلى ميقات ريم

إلى الجمّاء من خدّ أسيل

عوارضه ومن دلّ رخيم[59].

وقد ورد ذكر المنقى بالمدينة المنورة في عدد من المصادر خاصة التي تناولت غزوة أحد في السنة الثالثة للهجرة[60]، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ انْهَزَمُوا عَنْ النبي ﷺ حَتَّى بَلَغَ بَعْضُهُمْ إلَى الْمُنَقَّى دُونَ الْأَعْوَص، وَفَرَّ عُثْمَانُ بن عَفَّان وَسعد بن عُثْمَان رجل مِنَ الْأَنْصَارِ حَتَّى بَلَغُوا الْجَلَعْبَ، جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ مِمَّا يَلِي الْأَعْوَصِ، فَأَقَامُوا ثَلَاثًا ثُمَّ رَجَعُوا، فَزَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: لَقَدْ ذَهَبْتُمْ فِيهَا عَرِيضَةً[61]،كما ورد عند الواقدي ذكر للمنقى في غزوة النبي ﷺ بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنّ جَمْعًا مِنْ ثَعْلَبَة وَمُحَارِبٍ بِذِي أَمَرّ، قَدْ تَجَمّعُوا يُرِيدُونَ أَنْ يُصِيبُوا مِنْ أَطْرَافِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، جمعهم رجل منهم يقال له دعثور ابن الْحَارِثِ بْنِ مُحَارِبٍ، فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمُسْلِمِينَ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ رَجُلٍ وَخَمْسِينَ، وَمَعَهُمْ أَفْرَاسٌ، فَأَخَذَ عَلَى الْمُنَقّى، ثم سلك مضيق الخبيث، ثُمّ خَرَجَ إلَى ذِي الْقَصّةِ ..[62]، إذا في هذه الرواية المنقى جزء من الطريق وليس كل الطريق، وفيما يظهر أنه الطريق الذي يمر بجوار جبل أحد، وكذلك حرة العريض وجبلي وعيرة، وفي سرية سعيد بن زيد ﷺ للعرنين ورد ذكر المنقى فجاء أن العرنيين اسْتَاقُوا لقاح رسول الله ﷺ فبعث رسول الله ﷺ فِي آثَارِهِمْ فَأَدْرَكُوا فَوْقَ الْمنقَى، فَأَمَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُطّعَتْ أَيْدِيهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ، وَسَمَلَ أَعْيُنَهُمْ[63]، والثابت أن السرية أدركت العرنيين بالحرّة وهذا ما يثبت أن المنقى هو الطريق الذي يمر بسفح جبل أو حرّة فتلتقط منه الحجارة لتنقيته وتسهيل عبور المارة، وقال السمهودي: المنقي: اسم مفعول من نقاه، قال المجد: هو اسم للأرض التي بين أحد والمدينة، قال ابن إسحاق: وقد كان الناس

---

55 الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 176/4.

56 إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، 950/2.

57 البكري: **معجم ما استعجم**، 1272/4.

58 عاتق غيث: **معالم مكة التاريخية والأثرية**، ص294.

59 ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 215/5. يُنظر: ابن شبة: **تاريخ المدينة**، 285/1.

60 الواقدي: **المغازي**، 185/1.

61 ابن هشام: **السيرة**، 87/2. ابن عبدالبر: **الاستيعاب**، 1074/3. ابن الأثير: **أسد الغابة**، 554/3. ابن سيد الناس: **عيون الأثر**، 25/2. الذهبي: **المقتنى في سرد الكُنى**، 42/2. الصفدي: **الوافي بالوفيات**، 61/20. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 391/5. حسين بكري: **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، ص437.

62 الواقدي: السابق، 180/1.

63 ابن سيد الناس: السابق، 125/2.

انهزموا عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص[64]، وَالْمُنَقَّى هُوَ الطَّرِيقُ الْخَارِجُ مِنْ الْمَدِينَةِ بِاتِّجَاهِ الْقَصِيمِ، حَيْثُ كَانَ يَمُرُّ فِي حَرَّةِ بَنِي حَارِثَةَ، وَهُوَ نَفْسُ الطَّرِيقِ الَّذِي زُفِّتَ فِيمَا بَعْدُ فَسَلَكَتْهُ السَّيَّارَاتُ، وَهُوَ عَلَى مَرْأًى مِنْ أُحُدٍ، جَنُوبًا شَرْقِيًّا بَيْنَهُمَا وَادِي قَنَاةَ[65]، ومما سبق يتضح أن المنقى هو الطريق الذي يمر بسفح جبل أحد الجنوبي ثم يأخذ يمنا ليمر بالحرة الشرقية (حرة العريض) ثم يتجه شمالا في سفح جبلي وعيرة إلى أن يلتقي بالأعوص شرقي جبل وعيرة، والذي يقع فيه مطار المدينة المنورة الدولي حاليا، أو أن المنقى يتجه مع الحرة شرقا، وما بين سفح جبلي وعيرة وواديها هو الأعوص، وهو الأقرب، إذ يتجه المنقى مع الحرار شرقا جهة وادي قناة (العاقول)، والمنقى شرقي المدينة في طريق العراق، وطريق العراق يسلك اتجاهين مع الحرة وبجوار الجبال الشمالية، ثم يلتقيان في وادي القزاز وبئر السائب وصولا إلى الطرف (الصويدرة) والنخيل، ثم سلك مضيق الخبيت ثم خرج على ذي القصة[66]، من خلال ذلك يتضح إلى أنه سلك وادي قناة حتى منطقة التقاءه بالأودية الشمالية والمناطق الشمالية للمدينة المنورة، وتعوّد المسلمون في غزواتهم أن يسلكوا طرقا مختلفة تجاه موقع الغزوات حسب ما تقتضيه سرية حركة الجيش، وحسب ما تقتضيه المصلحة العامة، فقد يتوجه الجيش مباشرة إلى وجهته، وتكون وجهته معلنة، كما في غزوة خيبر إذ جاءه من يريد الغزو قائلا: نخرج معك إلى خيبر إنها ريف الحجاز طعاما وودكا[67] وأموالا، وحينما قال أحد اليهود[68] لأبي حدرد الأسلمي رضي الله عنه[69] حينما طالبه بدين له، وقال له أبو حدرد رضي الله عنه: إنا نخرج إلى خيبر ريف الحجاز، فقال له اليهودي حسدا وبغيا: تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها عشرة آلاف مقاتل[70]، فهنا وجهته ﷺ معلومة للجميع من مسلمين ويهود، وفي غزوة تبوك أخبرهم بوجهته «فكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورى[71] بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا، حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرا بعيدا، واستقبل غُزّى وعددا كثيرا، فجلى[72] للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة غزوهم، وأخبر بالوجه الذي يريد»[73]، أما الغارات التي يشنها الكفار على المسلمين فتُحتّم اتخاذ إجراءات سريعة، وتدابير فورية، فالمطاردة لهم تحتم معرفة وجهتهم بشكل سريع، ليتمكن المسلمون من القضاء على خطر الغزاة، وقد حدث ذلك في أكثر من غزوة، مثل: غزوة السويق[74] بقيادة أبي سفيان[75]، وغزوة طَلَبْ كرز بن جابر الفهري[76]، فمن الأهمية بمكان اتخاذ تدابير عاجلة لعلاج الأمر بسرعة متناهية، وهذا ما تخذه حبيبنا ونبينا محمد ﷺ في كل أموره، وفيما اتخذه النبي ﷺ في غزوة أحد خير شاهد فبالرغم من أن جُلّ الجيش من أهل المدينة من الأنصار إلا أنه اتخذ دليلا معه يدله على الطرق بين تلك البساتين والآطام[77]، وقد جاء عند ابن هشام أن رسول الله ﷺ «قال لأصحابه من رجل يخرج بنا على القوم من كثب أي من

---

64 **وفاء الوفاء**: 151/4.

65 عاتق غيث البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص304. الشائع: طريق الأخرجة، ص204.

66 **المغازي**: 180/1.

67 الودك: دسم اللحم. ابن منظور: **لسان العرب**، 509/10.

68 يقال له أبو الشحم اليهودي: لم يعرف اسمه، لكنه ذُكر أنه من بني ظفر، وهو تاجر من كبار تجار يهود المدينة، توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة عنده. ابن حجر: **الإصابة**، 279/1.

69 أبو حدرد الأسلمي والد عبدالله، قيل اسمه: سلامة بن عمير، وقيل: عبد مكبر بغير إضافة قاله أحمد، وقيل: عبيد مصغر روى عن النبي ﷺ، روى عنه ابنه عم حمل بن بشر بن حدرد ومُحَمَّد بن إبراهيم التيمي، ذكره العسكري ووقع في تهذيب المزي أن بن سعد أرخ وفاته سنة إحدى وسبعين وتعقبه مغلطاي بأن بن سعد إنما ترجم عبد الله بن أبي حدرد وساق نسبه ثم أرخه وزاد وهو بن إحدى وثمانين وكذا أرخه خليفة ويحيى بن بكير وغيرهما. السابق: 147/12.

70 الواقدي: **المغازي**، 113/2- 114.

71 التَّوْرِية عن الشيء: وهو الكناية عنه. ابن منظور: **لسان العرب**، 386/15. وحدثت التورية من النبي ﷺ في هجرته، وبعض غزواته، إذ كان يقصد جهة مخالفة للجهة التي ينوي الذهاب إليها، حتى يوقع عدوه في حيرة من أمره ويفاجئ خصومه، إذ جاء عند الواقدي أنه في غزوة بني لحيان توجه ﷺ إلى شمال المدينة ثم غربها، ووجهته الحقيقة إلى جنوب المدينة. الواقدي: **المغازي**، 36/2.

72 جلّى: أظهر وأبان، وأنجلى وتجَلَّى: انكشف وظهر، وأمرٌ جَلِيٌّ: واضح. ابن منظور: السابق، 149/14.

73 الواقدي: السابق، 379/2.

74 السَّوِيق: ما يُتَّخذ من الحنطة والشعير. ابن منظور: السابق، 166/10.

75 ابن هشام: **السيرة**، 41/3. وهي في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وسميت بالسويق لأن أكثر ما طرحه المشركون من أزوادهم السويق، وهي غزوة أبي سفيان للمدينة من جهتها الشرقية، من جهة جبل ثيب، المعروف حاليا باسم تِيَمْ وهو الجبل الذي يقع خلف مركز التفتيش من جهة الشرق، وتعاون بني النضير مع المشركين، وطاردهم رسول الله ﷺ ورجع ولم يلق كيدا. السابق: 42/3.

76 ابن سعد: **الطبقات**، 8/2.

77 الأُطُم حِصْنٌ مَبْنِيٌّ بحجارة وقيل: هو كل بيت مُرَبَّع مُسَطَّح، وقيل: الأُطْم مثل الأُجّم يخفف ويثقّل، والجمع القليلُ آطامٌ. ابن منظور: السابق، 19/12.

قرب من طريق لا يمر بنا عليهم، فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث، وورد عند ابن حجر أبو حثمة[78]: أنا يا رسول الله، فنفذ به في حرة بني حارثة[79] وبين أموالهم حتى سلك في مال لمربع بن قيظي[80] وكان رجلا منافقا ضرير البصر، فلما سمع حس رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين قام يحثي في وجوههم التراب، ويقول: إن كنت رسول الله فإني لا أحل لك أن تدخل حائطي، وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ثم قال والله لو اعلم أني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك، فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ: لا تقتلوه فهذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، وقد بدر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل[81] قبل نهي رسول الله ﷺ عنه فضربه بالقوس في رأسه فشجه»[82]، ومن المعروف أن تلك الحرار من الوعورة بمكان، فمسالكها غاية في الصعوبة، وهنا يتبين أن رسول الله ﷺ سلك وادي قناة جنوبي جبل أحد أثناء مروره وعبوره لساحة القتال وهي ما تذكره الرواية السابقة وورد في العديد من المصادر التاريخية التي كتبت عن غزوة أحد والطريق في جنوبي جبل أحد المعروف هو ما يعرف باسم المُنَقَّي[83]، وهو الطريق الذي نُقّيَ من الحجارة لتتمكن القوافل من السير والعبور معه، كما عبر النبي ﷺ في غزوة أحد وادي القدوم: وهو وادٍ يصب من شعب أحد المعروف بالمهاريس أو طريق المهاريس، وكان يعرف بشعب الجرار، ويصب غربي قبور الشهداء في وادي قناة، ويقع في القسم الشمالي لجبل الرماة (عينين) الذي يقع في جنوبيه وادي قناة، وقد خاض فيه رسول الله ﷺ مع الجيش الإسلامي ضد الكفار يوم أحد معركة ضارية في السنة الثالثة للهجرة[84]، وفي غزوة ذات الرقاع سلك النبي ﷺ المضيق[85] ثم أفضى إلى وادي الشقرة[86] في السنة الخامسة للهجرة[87]، وهذا يعني أنه سلك الطريق الذي سلكه في غزوة ذي أمر، مما يؤكد سلوكه وادي قناة حتى منطقة المضيق، وقد وردت روايات هذه الغزوة في العديد من المصادر ومختصرها أنها تسمى غزوة محارب وبني ثعلبة، وهذا يؤكد أنه سلك وادي قناة لأنهم يسكنون شمال وادي قناة، وسببها أنّ قادما قدم بجلب إلى المدينة، فاشتراه منه أهلها، فقال للمسلمين: إنّ بني أنمار بن بغيض، وبني سعد بن ثعلبة قد جمعوا لكم جموعا، وأراكم هادئين عنهم، فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فاستخلف على المدينة قال ابن إسحاق: خرج رسول الله ﷺ من المدينة ليلة السبت لعشر خلون من المحرم، في أربعمائة أو سبعمائة، أو ثمانمائة، وسلك على المضيق، ثم أفضى إلى وادي الشّقرة، فأقام فيها يوما، وبثّ السّرايا، فرجعوا منها مع الليل وخبّروه أنهم لم يروا أحدا، ووطئوا آثارا حديثة، فسار رسول الله ﷺ في أصحابه حتى أتى نخلا[88]، وذكر نخل هنا يؤكد أن مسيرة مر بقناة، وأتى مجالسهم، فلم يجد فيها أحدا إلا نسوة، فأخذهن وفيهن جارية وضيئة، وقد هربت الأعراب في رؤوس الجبال، وهم مطلّون على المسلمين، فلقي رسول الله ﷺ جمعا من غطفان، فتقارب الناس، ولم يكن بينهم قتال، فخاف الفريقان بعضهم من بعض، خاف المسلمون أن يغير المشركون عليهم، وهم غارّون، وخاف المشركون أن لا يبرح رسول الله ﷺ حتى يستأصلهم، ولما حانت الصلاة صلى رسول الله ﷺ بأصحابه صلاة الخوف[89]، وغاب رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة، وروى البزار والطبراني في الأوسط عنه، قال: كانت غزوة ذات الرقاع تسمّى غزوة الأعاجيب،

---

78 أبو حثمة الأنصاري: والد سهل، اسمه عبدالله، ويقال: عامر بن ساعدة بن عامر بن عدي الحارثي، كان أبو بكر وعمر وعثمان يبعثونه على الخرص ،ومات في أول ولاية معاوية، وقد ذكر ابن إسحاق إنه أبو خيثمة. ابن حجر: **الإصابة**، 145/12.

79 حَرَّةُ بَنِي حَارِثَةَ: آخِرُ حَرَّةِ الْمَدِينَةِ الشَّرْقِيَّةِ حِينَ تَذْهَبُ بَيْنَ وَادِي قَنَاةٍ وَالْمَدِينَةِ، نِهَايَتُهَا مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ "الشَّوْطُ"، وَمِنْهَا إِلَى جَبَلِ عَيْنَيْنِ وَإِلَى سَلْعِ "السَّبْخَة، أَيْ أَنَّ حَرَّةَ بَنِي حَارِثَةَ عَلَى يَمِينِ الذَّاهِبِ مِنْ الْمَدِينَةِ إِلَى قبر سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. البلادي: **المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية**، ص95-96.

80 مربع بن قيظي، عد في المنافقين، ويقال: تاب. ابن حجر: **الإصابة**، 101/10.

81 سَعْدُ بْن زَيْد: هو أمير الفرسان يوم غزوة ذي قرد ﷺ. ابن هشام: **السيرة**، 241/3.

82 السابق: 58/3.

83 الْمُنَقَّى: دون الأعوص، وهي على أميال من المدينة يسيرة. ياقوت: **معجم البلدان**، 223/1.

84السابق: 401/4. تنيضب الفايدي: **الأودية والآبار في مدينة المختار**، ص316.

85المضيق: فيما يظهر أنه المنطقة الممتدة في وادي قناة من جبل خزان المياه شرقي جبل أحد حتى جبل وعيرة بالتصغير، إذ يضيق الطريق بسبب وجود الحرة في الجنوب والجبال في الشمال.

86 الشُقْرَة: موضع على يومين من المدينة. الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 185/5. وهو وادٍ يسيل من حرّة النار من جهتها الجنوبية الشرقية يجتمع مع وادي الصويدرة الطرف فيتجهان جنوبا ثم يعدلان غربا فيجتمعان مع وادي الحناكية قبل قاع حضوضى بقليل. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 937/5.

87 الواقدي: **المغازي**، 333/1.

88 نخل: هو وادي الحناكية على مسافة 100 كيلا شرق المدينة على طريق القصيم. البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص318.

89 البخاري: **الصحيح**، باب كتاب صلاة الخوف، الحديث 943، ص114.

منها ما وقع عند إرادة غوث بن الحرث الفتك برسول الله ﷺ[90]، وسميت بهذا الاسم لأن المسلمين ربطوا على أرجلهم الخرق حينما تساقطت أظافر أقدامهم بسبب سيرهم على الأرض الوعرة لقلة الإبل التي تحملهم[91]، وفي غزوة ذي قرد[92] أو ما يسمى بغزوة الغابة[93] جاء الصريخ ونادى النبي ﷺ الفزع الفزع، فجاء الفرسان وتقدموا الجيش وكان قد سبقهم سلمة بن الأكوع ﷺ أجمعين، ثم لحق بهم النبي ﷺ وتلاحق بقية المسلمين عند ذي قرد، ومما تجدر الإشارة إليه أن مكان اللقاح كان في المنطقة التي تقع جنوب غرب جبل أحد في أعلى الغابة العلياء بالقرب من زغّابة في مسافة لا تتجاوز الخمسة كيلومترات تقريبا، والغارة حدثت في آخر الليل إذ جاء المغيرون إلى اللقاح واستاقوها، بل أن هناك رواية عند البيهقي تدل على أن الغارة امتدت إلى وقت الصباح وظهور نوره، إذ روى أن سلمة ﷺ رأى الخيل تجوس[94] في الإبل[95]، ثم نذر بهم سلمة ﷺ، فمجيئهم فيما يظهر من جهة شمال أحد عبر وادي النقمي، لأنه يصعب عليهم القدوم من جهة جنوب أحد عبر وادي قناة لأنهم مكشوفين، وسيمرون ببساتين وحوائط لأهل المدينة مما يعرضهم لكشف أمرهم، فالمنطقة الممتدة من شمال المدينة إلى سفح جبل أحد منطقة بساتين وعيون، والممرات فيها ضيقة، إلا طريقا قريبا من جبل أحد يعبر إلى ما يعرف باسم المُنَقّى، وهو الذي فيما يظهر سلكوه عندما أخذوا اللقاح، أما ما سواه فلا يستطيع أن يمر بها الأفراد والجماعات إلا إذا كان معهم دليل من المنطقة يعرفها تمام المعرفة، وتذكر بعض الروايات أن المغيرين كانوا يمرون بمنطقة رعوية، فربما أنهم أتوا مع وادي النقمي، إذ كانوا يريدون لقاح الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف ﷺ لكنهم اخطئوا مكانها، فواصلوا السير حتى وجدوا لقاح النبي ﷺ في أعلى الغابة العليا وهم في طريقهم باتجاه المدينة فأخذوها وقتلوا راعيها وأسروا امرأة أبي ذر ﷺ[96]، وهذا يعني أن المكان الذي قدم منه المغيرون مكان فسيح وتغطي جنباته الأشجار الكثيفة والتي بدورها غطت لقاح عبدالرحمن بن عوف ﷺ إذ تجاوزها فرسان غطفان دون أن يشاهدوها، وهذا الوصف ينطبق على المنطقة الممتدة من غرب جبل أحد حتى جبال الحُفياء، شاملة مصب وادي النقمي، ووادي حرض[97]، والضيقة[98]، وجزء من الغابة العلياء.

منطقة بئر السائب والأعوص وأودية القزاز ونعمان والسدر:

من خلال دراسة كتب السيرة والمصادر التاريخية نجد أن تلك المعالم تقع في شمال شرق المدينة المنورة وهي عبارة عن موارد ومناطق وأودية وجبال لها تاريخ مرتبط ارتباطا وثيقا بالسيرة النبوية وبعض احداثها، فبئر السائب التي تقع على طريق الحاج العراقي[99] تقع في وادي فرس وتبعد عن الشقرة 24 ميلا، ويشرف عليها جبل شباع، وهي للسائب بن عبدالمطلب بن عبد يزيد بن ركانة المطلبي، وقيل: أنها سميت ببئر السائب لأن عثمان بن عفان ﷺ حفرها لسائبة الناس، ومن بئر السائب إلى المدينة 24 ميلا، ثم تمضي حتى تدفع بالأعوص مرورا بوادي الفرس والعرينة (العوينة) والعذيبة ثم تصير لوادٍ يقال له قناة[100]، وبئر السائب مازالت تحتفظ باسمها القديم والناس يسمونها اليوم بئر السابيبة وأما القول بأن إبراهيم ﷺ قد نزل في أعلا جبل شباع فيبدو أن هذا القول يلحق بالأقوال التي لا سند لها[101]، وهنا أنوه أن الأعوص قد سبق بيانه مفصلا، أمّا الخبيت كما جاء عند البلدانيين أن خُبَيتٌ: تصغير خبت، وهو ماء بالعالية يشترك فيه أشجع وعبس، وفي شعر نابغة بني ذبيان:

---

90 الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 175/5.

91 مسلم: **الصحيح**، باب غزوة ذات الرقاع، الحديث 1816، ص520. وانظر: ابن هشام: **السيرة**، 176/4.

92 انظر: عبدالله سكات: **غزوة ذي قرد دراسة تاريخية ميدانية**، ص57-73.

93 الغابة: الوطأة من الأرض التي دونها شرفة، والغابة: الشجر الملتف، وقال الواقدي: الغابة بريد من المدينة على طريق الشام وصنع منبر رسول الله ﷺ من طرفاء الغابة، ياقوت: **معجم البلدان**، 182/4. وقال الأنصاري: هي غابتان: السفلى وهي التي تقع بقرب جبال البيضاء، والعلياء: وهي الجانب الموالي للمدينة غربي جبل أحد. **آثار المدينة المنورة**: ص180.

94 تَجُوسُ: الجَوْسُ: تردّد، قال تعالى: فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ أي: تردّدوا بينها للغارة. ابن منظور: **لسان العرب**، 43/6.

95 **دلائل النبوة**: 187/4.

96 المقريزي: **إمتاع الأسماع**، 260/1.

97 حُرُض: وادٍ عند أحد، يقال له ذو حرض لكثرة نبات الحرض فيه. السمهودي: **وفاء الوفاء**، 461. وقال العياشي: وادي حرض: سيل صغير في أرض الزبير بن العوام ﷺ يسيل من بعض جبال الضليعات الحمر والدقاقات، حتى يصب في وادي إضم. **المدينة بين الماضي والحاضر**: ص493. والحُرُضُ قيل: هو من الحمض. ابن منظور: **لسان العرب**، 133/7.

98 الضَيّقَةُ: هي أعلى وادي إضم. السمهودي: السابق، 126/4.

99 للمزيد عن طريق الحاج العراقي انظر: عبدالله محمد الشايع: **طريق الأخرجة من فيد إلى المدينة المنورة**.

100 الحربي: **كتاب المناسك وأماكن طرق الحاج ومعالم الجزيرة**، ص524.

101 عبدالله الشايع: السابق، ص202.

إلى ذبيان حتى صبّحتهم ودونهم الربائع والخبيت

وقال أبو عبيدة: هما ماءان لبني عبس وأشجع، قال كثير:

وفي اليأس عن سلمى وفي الكبر الذي أصابك شغل للمحبّ المطالب

فدع عنك سلمى إذ أتى النأي دونهـــا وحلّت بأكناف الخبيـت فغالب[102]

وفي غزوة ذات الرقاع سلك النبي ﷺ كما ورد في الرواية على المضيق ثم أفضى إلى وادي الشقرة فأقام به يوما وبث سراياه فرجعوا إليه مع الليل وخبروه أنهم لم يروا أحدا وقد وطئوا آثارا حديثة[103]، والشقرة ذكرها البكري بأنها قرية لبني ثعلبة وبها بئر يستقي الأعراب منه[104]، والمسافة بين النخيل والشقرة 30 كيلا على السمت، وهي في طريق الحاج العراقي بين المدينة وفيد، في طريق يجمع بين الحرار والجبال والأودية، والشقرة اليوم قرية في أسفل وادي الشقرة بين المدينة والقصيم على مسافة 67كيلا وهي قرية حديثة أما الشقرة التي على طريق الحاج العراقي فقد هجرها سـكانها في وقـت مبكـر، وربمـا تكـون هـي المغـرة المعروفـة اليوم[105]، وورد عند السمهودي أن الشقرة: بالضم ثم السكون، موضع بطريق فيد، بين جبال حمر، على نحو ثمانية عشر ميلا من النخيل، وعلى يوم من بئر السائب ويومين من المدينة، انتهى إليه بعض المنهزمين يوم أحد، كما رواه البيهقي، ومنه قطع كثير من خشب الدوم لعمارة المسجد النبوي بعد الحريق[106]، وعن العرينة وقال البلادي: العرينة تصغير عرن وهو خشب القصارين الذي يتخذ للدبغ أيضا، وعرينة موضع في بلاد فزارة، وقيل: من قرى المدينة، ثم قال: لا يعرف في الحجاز مكان يسمى عرينة اليوم، إلا أن يكون مكانا غير ذي أهمية[107]، والذي يظهر أن وادي العرينة ربما أخذ اسمه من أراضي بني فزارة، وهو فيما يظهر ومن خلال السياق اللفظي الذي ربما حصل له تحريفا أو تصحيفا وادي العوينة والذي ستتم مناقشة التسمية في آخر هذا الموضوع، وقد سلك النبي ﷺ في غزوة ذي قرد المنقى وقناة والأعوص حتى ارتفعوا إلى ذي القصة، ثم استمرت مطاردة الجيش للغزاة المغيرين عبر منطقة الأعوص وجبال مطوقات تاركين جادة الرخامي على يسارهم، ليعترضهم

وادي السدر[108]، ومنه إلى ما يسمى بمران[109]، ثم يشرف المغيرون على منطقة فسيحة ذات مرتفعات ومنخفضات تشكل وادي نعمان أو نعامين[110]، بمختلف تضاريسه، والتي لا يزال بعض مظاهرها موجود إلى يومنا هذا، وكذلك جبال المضبعة[111]، وأم بهرة[112]، ، وبعد تجاوزهم لأم بهرة تأتي منطقة شعيب أم قردان[113]، والذي يقع شمال الطريق، ويظهر أنه ذا قرد المقصود والمكان المعني بالغزوة، لأنه ليس على طريق الغزاة، فإن أرادوا الذهاب إليه لابد لهم أن يميلوا عن طريقهم المتجه شرقا، وهذا ما أثبتته الرواية الصحيحة فقد روى مسلم في الحديث الطويل عن غزوة ذي قرد عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: «حتى يعدلوا[114] قبل غروب الشمس

---

102 البكري: **معجم ما استعجم**، 487/2. ياقوت: **معجم البلدان**، 345/2. وانظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 534/3-535.

103 الواقدي: **المغازي**، 333/1.

104 **معجم ما استعجم**: السابق، 749/3-805.

105 عبدالله الشايع: **طريق الأخرجة من فيد إلى المدينة**، ص175-187.

106 **وفاء الوفاء**: 114/4.

107 **معجم معالم الحجاز**: 1145/6.

108 وادي السِّدْر: وادي يقع شمال شرق المدينة، يمتد لأكثر من 2 كلم، يأخذ مياهه من أعالي المضبعة، والجبال التي جنوب قصب، وجزء من جبال مصطوقات في جهتها الشمالية، ويلتقي مع وادي نعامين ويدفعان جنوب وعيرة.

109 مُرّان: من المرارة لأن ماءه مر المذاق، أنه موضع على ثمانية عشر ميلا من المدينة. **السمهودي: وفاء الوفاء**، 168/4. وهذا يعني أنه على بُعد 29 كيلا، أو أقل قليلا، وهي مسافة قريبة من بئر مران الذي يقع في وادي نعامين من أعلاه، ويقع حاليا تحت طريق حائل الجديد أو بجوار الكُبري الذي ينفذ منه ماء وادي نعامين من الشمال لكن أعمال الحفر قد أخفت معالمه. رواية شفهية **عن صلوح مبارك العرعري، وعبدالله سوى الشويلعي**. إذ وقفت معهما على الموقع في يوم الأربعاء 1437/11/29هـ.

110 وادي نعمان: ذكر العياشي أنه وادي يقع شمال شرق المدينة بنحو 10 كيلومترات، وينحصر بين جبلي وعيرة ووعيّرة وجبال نعامين. **المدينة بين الماضي والحاضر**: ص491. وقد ذكر العياشي مبنية على رأيه بأن جبل تيأب هو جبل ثور، وهذا الوادي يأتي من جبال نعامين شرق وادي السدر ويمر بوعيرة من جهتها الشرقية ويلتقي بوادي قناة جنوب وعيرة.

111 المضبعة: جبل يطل على وادي السدر من الشرق، وعلى وادي نعامين من الشمال، وتدفع أجزاء من مياهه شمالا وأجزاء منها غربا بوادي السدر. رواية شفهية عن **دارج عيد المهيمزي**.

112 أم بهرة: هو جبل يُعد رأس وادي نعامين، وسمي بأم بهرة لبياض فيه والتي يسميها العامة بهرة، يقطعه طريق حائل الجديد الذي يمر بشمال المطار إلى نصفين. رواية شفهية عن صلوح **العرعري**، و**عبدالله سوى الشويلعي**.

113 أم قردان: كنت أبحث عن أي معلومة تتعلق بقرد، وفي مجلس **صلوح مبارك** تحدث عنها **دارج عيد**، ووقفت عليها مع **صلوح مبارك** و**عبدالله سوى** يوم الأربعاء 1437/11/28هـ، وهي شعب يقع شمال وادي الرصيعة، على مسافة ما يقارب 22 كيلا من المدينة إن لم يكن أكثر، وفي أعلاه أثر لأماكن تتجمع فيها المياه، وهو شعب تحيط به الجبال من ثلاث جهات ما عدا الجهة الجنوبية الشرقية، وفيما يظهر أنه شعب ذي قرد.

114 يَعْدِلُوا: يميلوا، بمعنى: عَدَل عنه يَعْدِلُ عُدولاً إذا مال كأنه يميل من الواحد إلى الآخر، وعَدَلَ عَنّي يَعْدِلُ عُدُولاً يميل عن طريقه ميلا. ابن منظور: **لسان العرب**، 430/11. وعَدَلَ عن طريقه: مال عنه.



إلى شِعْبٍ[115] فيه ماء يقال له: ذا قَرَدْ»[116]، فقد تركوا طريقهم واتجهوا شمالا تجاه ذلك الشعب المليء بالماء ليرتووا من عطشهم لكن سلمة ﷺ جلاهم عنه، فالوقت صيف والحر شديد والعطش قاتل، وهنا تتضح حاجتهم للماء ورغبتهم في الوصول إليه، فالغزوة كانت قبل غزوة خيبر بثلاث ليال، وبدأ القتال في غزوة خيبر في أول يوم فيها وكان يوما صائفا شديد الحر، وهو أول يوم قاتل فيه رسول الله ﷺ أهل النطاة[117] من يهود خيبر[118]، ومن ذلك نستنتج أن غزوة ذي قرد كانت في الصيف بل في شدة الحر، مما جعل سلمة ﷺ يلحق بهم ويرميهم في الثنية الشرقية لشعب أم قردان "ذي قرد"، وهي امتداد لجبل أم بهرة، ليبعدهم عن الماء، فهربوا ووقف على الثنية المواجهة للشعب من جهة الجنوب الشرقي ليتجهوا إلى أسفل شعب أم رتق[119]، ثم اتجهوا شرقا عبر وادي أم رتــق ووادي التلعة الســمراء هاربين حتى وصولوا إلى وادي الرصيعة[120] شرقا ثم عـانقوا جادة وطريـق الحـاج العـراقي وتوجهـوا معهـا هـربا إلى ديارهم، وبهذا يكون هذا الطريق قد انتهى.

وادي نعمان:

ذكر الزّبير أن رسول الله ﷺ مرّ بماء يقال له بيسان، في غزوة ذي قرد فسأل عنه فقيل: اسمه يا رسول الله بيسان، وهو ملح، فقال: بل هو نعمان، وهو طيّب، فغيّر رسول الله ﷺ اسمه، وغيّر الله الماء، فاشتراه طلحة بن عبيدالله ﷺ، ثم تصدّق به، فأخبر رسول الله ﷺ بـذلك فقـال: مـا أنـت يا طلحة إلّا فيّاض؛ فسمّى بـذلك

115 الشِّعْبُ: ما انْفَرَجَ بين جَبَلَين، ويقال: الشِّعْبُ: مَسِيلُ الماء في بطنٍ من الأَرضِ له حَرْفانِ مُشْرِفانِ، وعَرْضُه بَطْحةُ رجُلٍ إِذا انْبَطَح، وقد يكون بين سَنَدَيْ جَبَلَين. السابق: 497/1.

116 **الصحيح**: باب غزوة ذي قرد وغيرها، الحديث131، ص517.

117 النَّطَاةُ: قيل: حصن كان بخيبر، وقيل: اسم عين ماء، وهي اليوم من قرى خيبر شمال شرقي الشريف، قرب الطريق منخفض الوادي. مُحَمَّد شراب: **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، ص288. وهي منطقة ذات حصون وعين يحملان نفس الاسم.

118 الواقدي: **المغازي**، 121/2.

119 أُمّ رَتَقْ: شعب يقع شمال أم القردان، ويفيض سيله شرقا حتى يعانق وادي التلعة السمراء ليذهبا شرقا حتى يعانقا وادي الرصيعة. رواية شفيهة عن **عبدالله سوى الشويلعي**، واستطرد قائلا: اَلتَّلْعَةُ السَّمْرَاءُ: تقع شمال أم قردان وأم رتق، سيلها يدفع جنوبا ثم يلتقي مع وادي أم رتق ليدفعان في وادي الرصيعة.

120 الرَّصِيْعَةُ: قرية عامرة أمارتها للمهامزة وشيخها عبدالله الفراوي، وواديها يأخذ مياهه من الخضراء وبئر جمعة، ثم يدفع حتى يلتقي بوادي القزاز القادم من العوينة في العريفي جنوب المجيصة "ذي القصة"، وهي على مسافة 30 كيلا تقريبا من المدينة النبوية.

الفيّاض[121]، قال الزبير: ثم تمضي هذه السيول إذا اجتمعت فتنحدر على عين أبي زياد والصورين في أدنى الغابة، ثم تلتقي هذه السيول في وادي نقمى ووادي نعمان أسفل من عين زياد، ثم تنحدر هذه السيول فتلقاها سيول الشعاب من كنفيها، ثم يلقاها وادي ملك بذي خشب[122]، ونعمان واد بالمدينة يلقى سيول المدينة هو ونقمي أسفل عين أبي زياد بالغابة، وفي دلائل النبوة للبيهقي عن ابن إسحاق أن المشركين في غزوة الخندق نزلوا باب نعمان إلى جانب أحد، وفي الاكتفاء عن ابن إسحاق أن عيينة بن حصن في غطفان نزلوا إلى جانب أحد بباب نعمان، والذي في تهذيب ابن هشام عن ابن إسحاق نزولهم بنقمي[123]، والوادي المعروف بنعمان اليوم والذي فيه بئر مران بعيد عن مجمع الأسيال، فالمسافة بين نعمان ومجمع الأسيال قرابة 36 كيلا، ونعمان وادٍ يدفع سيله في الأعوص ومنه إلى صدر وادي قناة، وهو قريب من موقع غزوة ذي قرد إذ يقع غربها، ولا تفصل بينه وبينها إلا جبل أم بهرة (ذي بهر).

الفصل الثاني

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

وادي النقمي – وممناة

وادي نُقمي:

سلك النبي ﷺ أودية ودروب في غزواته، وهذه الأودية والدروب أثبتتها المصادر الرصينة المتخصصة، وقد جاء ذكر وادي نقمي والذي يعرف عند العامة إلى وقتنا الحاضر باسم (النقمي)، وقد ورد ذكر هذا الوادي في كتب البلدانيين كثيرا، قال الزمخشري: نَقَمى: من أعراض المدينة وكان بها الطالبيون مرة[124]، نَقَمَي:بالتحريك والقصر من النقمة وهي العقوبة، وهو موضع من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب، قال ابن إسحاق: وأقبلت غطفان يوم الخندق ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جنب أحد، ويروى نقم، ونُقْمَى: بالضم ثم السكون والقصر أيضا: وادٍ ذكره والذي قبله معا أبو الحسن الخوارزمي[125]، وهو وادٍ يأتي من أعالي منطقة

121البكري: **معجم ما استعجم**، 292/1. ياقوت: **معجم البلدان**، 527/1. السمهودي: **وفاء الوفاء**، 39/4. وانظر: الحازمي: **الأماكن ما اتفق لفظه وافترق اسمه**، ص868.

122البكري: **معجم ما استعجم**، 212/3.

123 السابق: 185/4.

124 **الجبال والأمكنة والمياه**: ص315.

125 ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 300/5.



الصهوة تحدده السدرة التي في ملتقى الواديين، ويسير جهة الغرب حتى يلتقي بمياه وادي ممناة[126]: وهو وادٍ صغير يأخذ الطريق القديم بين المدينة واللحن[127]، والصلصلة[128] شمال القبيبة[129]، ثم يتحدان تحت اسم نقمي ويتجهان جنوبا إلى القرب من جبل الحمراء حيث يلتقي بمياه وادي وشعاب جبال مليحاء ثم يتجه جنوب غرب ويلتقي بمياه أم سدرة[130]، ويتجه غربا حتى يلتقي بمياه شعاب شمال وعيرة والمفقهق وجباله[131]، ثم يتجه حتى يلتقي بأودية المدينة شمال جبل دقاقات[132]، إلى أن يصب في وادي الحمض (إضم) في شمالي المدينة المنورة وشمال غرب جبل أحد، يبلغ طول الوادي قرابة 25 كيلا، وينتشر فيه شجر السمر وبعض الشجيرات الصحراوية، وتقوم على جانبيه بعض القنوات القديمة وبقايا آثار لقصور ومزارع والتي تدل على قيام حضارة في هذه المنطقة وما جاورها، وتقع آثار وادي النقمي إلى الشمال من المدينة المنورة على بعد 17 كيلا شمال مطار المدينة على امتداد طريق تبوك القديم، وتقع الآثار الباقية إلى الجهة الشرقية من خط الأسفلت لحوالي 3 أكيال؛ وهي عبارة عن قصر قديم رباعي الشكل وإلى الجهة الجنوبية الغربية من القصر بحوالي 17 مترا يوجد مسجد صغير الحجم كما يشاهد بقايا حوض للمياه مستطيل الشكل، ويجاور القصر من الجهة الشرقية جدار ترابي عريض لعله أقيم لحماية القصر من آثار السيول، وهناك بقايا قنوات تمتد لمسافات طويلة إلى الشمال الشرقي من آثار وادي النقمي بحولي 3 كلم، وتسير على مجرى الوادي باتجاه الجنوب الغربي، ويلاحظ براعة المهندسين في التحكم بجريان المياه في النقاط التي تتعرج فيها القناة حسب امتداد الوادي وفروعه وتغير الطبقة الصخرية، ففي هذه الحالات تنتهي القناة بزاوية منكسرة إلى إحدى الجهات يمنة ويسرة، مع اتساع في المجرى وأحيانا يكون هناك ما يشبه الحوض الصغير عند انعطاف القناة، ومجرى القناة في الغالب يكون مفتوحا إلا في الحالات التي يجتاز فيها المجرى مسالك الوديان الصغيرة فتكون الجدران أكثر سماكة والمجرى مسقوف خشية انسداده بتربة الأودية[133]، وهذا الأمر يجعل الباحث يدقق النظر في دراسة مثل هذه الآثار والتي لم تنل حقها من الدراسة والبحث رغم أهميتها واهمية شواهدها الباقية، وهناك بئر أثرية مطوية بحجارة جرانيتيه مهذبة، وتقع البئر على حافة الوادي، وعلى امتداد القناة تظهر آثار مزرعة كبيرة وقصر كبير يتضح كبر حجمه من ركام الأساسات الباقية المكونة من الأحجار الجرانيتية، وفي وسط وادي النقمي من جهته الشمالية توجد آثار قصر قديم بقيت منه بعض الأساسات الحجرية ولا يوجد عنده آثار مزرعة أو قنوات[134]، وهذه الآثار امتداد لآثار كثيرة على جوانب وادي النقمي الذي يزخر بالعديد من القصور والمزارع والقنوات ومنها: آثار وادي مهلهل وهو أحد روافد وادي النقمي الذي يصب فيه من جهته الشمالية وفي هذا الوادي تنتشر آثار غاية في الأهمية عند التقاء وادي مهلهل بوادي النقمي، وهي عبارة عن مزرعة كبيرة وقصر كبير، والقصر عبارة عن شكل مستطيل أساساته جرانيتية، ويلاحظ وجود أبراج تشكل ثلاث أرباع الدرائرة في الركن الجنوبي الشرقي والغربي، وبرج نصف دائرة في منتصف الضلع الجنوبي، والمزرعة إلى الشرق من القصر وهي محاطة بأسوار وتلول رملية منها جدار حجري يمتد من الشمال إلى الجنوب، والمزرعة مقسمة إلى مساحات مختلفة، وإلى الشمال من وآثار وادي مهلهل هناك بعض المعالم الجغرافية والأثرية منها: كهف ت وفي أرضيته الصخرية حفر دائرة صغيرة تشبه لعبة الشطرنج يطلق عليها أبناء البادية (ملعب علياء وأبو زيد)، وفي أعلى الوادي صخرة منفردة تسمى مربط الحصان، وهناك آبار الفقر في وسط الوادي، وبالقرب منه وادي أم قصر أحد

126 وادي ممناة: وادٍ يصب في وادي النقمي من الشمال على بعد 43 كيلا عن المدينة، يأخذ مياهه من جبال الذبحي والشهباء والبيضاء على بعد 59 كيلا شمال المدينة، وهو واقع في ديار بني رشيد. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 1670/8.

127 اللحن: وادي ضخم يأتي من أعالي جبال إثمد والشفية إلى أن يلتقي في وادي التمة على مسافة 75 كيلا شمال المدينة وهو وادي فيه آبار لبني رشيد ماؤها عذب لكنه شحيح، وعليه عدة قرى منها قرية اللحن جنوب الشفية على مسافة 100 كم من المدينة. السابق: 1467/7.

128الصلصلة: وهي قرية للذيبة من بني رشيد تقع على مسافة 118 كيلا شمال المدينة المنورة. السابق: 1003/5.

129 القبيبة: قرية حديثة أرضها زراعية وافرة المياه تقع على طريق تبوك القديم شرقي وادي النقمي، على يمين الذاهب إلى خيبر وقراها، وهي لبني رشيد، على بعد 39 كيلا شمال المدينة المنورة تقريبا. عبدالله سكات: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص263.

130 أم سدرة: هو شعب يقع جنوب شرق جبل الحمراء، ويفيض ماؤه إلى وادي النقمي، تحيط به جبال مطوقات من ثلاث جهات ما عدا الجهة الغربية منفذ الشعب إلى وادي النقمي. عبدالله سكات: **غزوة ذي قرد**، ص65.

131 المفهق: فج شمال المدينة المنورة بين أحد ووعيرة. السابق: 1638/8.

132 عبدالله سكات: **خيبر**، ص243.

133سعد الراشد: **دراسات في الآثار المبكرة في المدينة المنورة**، ص193-196.

134 السابق: ص 196-197.

الفروع التي تصب في وادي مهلهل، توجد في أعلى الوادي بقايا سد كبير مبني بالحجارة وفيه بعض النقوش الكوفية، كما ان هناك آثارا في ما يعرف باسم خيف البصل الذي يقع على حافة وادي النقمي الغربية على مسافة 14 كيلا شمال مطار المدينة المنورة، ومن تلك الآثار بقايا سد قديم تحيط به الجبال ويجمع مياه وادي النقمي القادمة من الشمال ليغذي المزارع التي تنتشر في تلك المنطق حتى حدود شمال جبل أحد، كما انه هناك عدد من قنوات المياه على حواف الوادي والمنطقة الجبلية وتبدو تلك القنوات على أنها مخطط لمدينة لم تنشأ، وفي المناطق السكنية قصر مستقل وقصر آخر أصغر منه ويبدو من شكل بناء القصرين وأسلوب الأعمدة والتيجان أننا أمام مبنى إسلامي مبكر ربما يعود لمنتصف القرن الأول الهجري، وآثار خيف البصل تمثل ضيعة زراعية قديمة على غرار آثار وادي مهلهل ووادي النقمي ووادي السد[135]، وعن تلك القنوات وكيفية تصميمها ورد عند العياشي رحمه الله أن الأمير عبدالعزيز ابن إبراهيم أمير المدينة (1346-1355هـ)[136] أمر عام 1350هـ بتشكيل هيئة للبحث عن قناة عي الزبير ﷺ فخرجوا ومعهم العمال فوجدوا قناة وادي نقمي مما يلي جبل وعيره فحفروها ولما بلغوا في الحفر عشرة أمتار وجدوا طبقا من الحجر فأخرجوه فنزل بهم الحفر إلى عشرة أخرى فوجدوا طبقا آخر من الحجر فنزعوها ففاض الماء على العمال وتداركوا أنفسهم بالخروج وردوا الطبق الحجري الأوسط وردموا ما حفروا مرة أخرى بأمر الأمير ابن إبراهيم[137]، ويتضح من هذا الخبر أن القناة على ضفة وادي النقمي الجنوبية وشمال جبل وعيرة وبذلك تكون امتداد لقنوات وادي النقمي، يقول الأستاذ سعد الراشد: من خلال مشاهدتنا للآثار الباقية في وادي مهلهل ووادي النقمي وخيف البصل نجد أننا أمام شبكة متصلة من القنوات والآبار والقصور والسدود التي بنيت على نمط ونسق واحد، وكأنما هي مشروع واحد متصل، ثم يقول: وعلى الرغم من أهمية هذه المشاريع للاقتصادية إلا أن المؤرخين والجغرافيين الذين كتبوا عن تاريخ المدينة وجغرافيتها لم يذكروا عنها شيئا، ولعل ذلك يعود إلى أن هذه الضياع كانت قد نسيت وضاعت شهرتها ولم تجد من يوثقها من المؤرخين والجغرافيين[138]، ولا يستبعد أن تكون تلك القنوات والقصور والمزارع تعود في ملكيتها للزبير بن العوام ﷺ وما ورد في كتاب العياشي ربما ينطبق على خيف البصل[139]، وخيف البصل يقع على مسافة قريبة غرب مركز شرطة وادي النقمي على طريق تبوك القديم حاليا على مسافة 20 كيلا من المدينة[140]، وسنتتبع الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ في وادي نقمي من خلال ما ورد من روايات تذكر ذلك وتحدده بدقة، ومن أبرز الأحداث التي ورد فيها ذكر وادي نقمي قبل غزوة خيبر نزول غطفان يوم الأحزاب في وادي نقمي، قال ابن إسحاق: وأقبلت غطفان يوم الخندق ومن تبعها من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى إلى جنب أحد[141]، وورد عند الواقدي (وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بالزغابة إلى نقمي)[142]، ومن أبرز المعالم التي تظهر شاخصة بين وادي قناة ونقمي جبل أحد، قال البكري: أحد جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها، قال رسول الله ﷺ وقد طلع له: (أحد جبل يحبّنا ونحبّه)[143]، وفي رواية (هذا جبل يحبنا ونحبه)[144]، ولما خرج المشركون إلى المدينة لقتال رسول الله ﷺ نزلوا بعينين فى جبل ببطن السّبخة من قناة، وسرّحوا الظهر في زروع كانت بالصّمغة من قناة للمسلمين[145]، وجاء عند ياقوت الحموي أُحُدٌ: بضم أوله وثانيه معا: اسم الجبل الذي كانت عنده غزوة أحد، وهو مرتجل لهذا الجبل، وهو جبل أحمر، ليس بذي شناخيب، وبينه وبين المدينة قرابة ميل في شماليّها، وعنده كانت الوقعة الفظيعة التي قتل فيها حمزة عمّ النبي ﷺ وسبعون من المسلمين، وكسرت رباعية النبي ﷺ وشجّ وجهه الشريف، وكلمت شفته، وكان يوم بلاء وتمحيص، وذلك لسنتين وتسعة أشهر وسبعة أيام من مهاجرة النبي ﷺ وهو في سنة ثلاث، وقال عبيد الله بن قيس الرّقيّات:

---

135 السابق: ص193-196.

136 **عبدالعزيز بن إبراهيم آل إبراهيم** أحد رجال الملك عبدالعزيز المخلصين ولد سنة 1297هـ وخدم طوال حياته في مراكز عدة، كلفه الملك عبدالعزيز بمهمات كثيرة، تقلد عددا من المناصب منها: إمارة عسير عام 1341هـ، وإمارة الطائف عام 1343هـ، وإمارة منطقة المدينة المنورة عام 1346 وحتى عام 1355هـ، ثم عينه الملك عبدالعزيز عضوا في مجلس الوكلاء، توفي بالمدينة المنورة عام 1356هـ. سعد الراشد: **دراسات في الآثار المبكرة في المدينة المنورة**، ص210.

137 **المدينة بين الماضي والحاضر**: ص494.

138 العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، ص208.

139 السابق: ص210.

140 عبدالله سكات: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص262.

141 ابن هشام: **السيرة**، 189/3. البكري: **معجم ما استعجم**، 300/5.

142 **المغازي**: 390/1.

143 البخاري: **الصحيح**، الحديث 2889، باب الخدمة في الغزو، ص350.

144 السابق: الحديث 1482، باب خرص التمر، ص180.

145 البكري: السابق، 117/1.

يا سيّد الظاعنين من أحدا حيّيت من منزل ومن سند

ما إن بمثواك غير راكـــــــدة سفع وهـاب كالفرخ ملتبد

وورد محمد بن عبد الملك الفقعسي إلى بغداد فحنّ إلى وطنه

وذكر أحدا وغيره من نواحي المدينة فقال:

نفى النـــــوم عنّي فالــــفؤاد كئيب نوائـــب همّ ما تـــزال تنوب

وأحـراض أمـراض ببغـداد جمّــــــعت علـيّ وأنهار لهـــنّ قسيب

وظلّت دموع العين تمرى غروبها من الماء دارأت لهـــنّ شعــــوب

وما جزع من خشية الموت أخضلت دموعي ولكنّ الغريـــب غريب

ألا ليـت شـعري هـل أبيـتنّ ليلـة بسـلع ولم تغـــلق علـيّ دروب؟

وهـل أحـد باد لنا وكــــــأنّه حصـان أمـام المقـربات جنيـب![146]

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ بعد وادي نقمي:

لا شـك أن الأوديـة المتفرعـة الكثـيرة الـتي تـأتي مـن جهـة الشـمال وتصـب في وادي النقمـي في أغلـب الحـالات تكـون طرقـا (جَوَاد مفردها جادّة) للقوافل والتجار وأهالي المنطقة بما في ذلك الغـزاة وغـيرهم، فكمـا مـر بنـا أن وادي مهلـهل يصـب في النقمي، ووادي مـراخ ومـريّخ يصـبان في وادي النقمـي في منطقـة الفُقُر، وكـذلك أن وادي النقمـي نفسـه يصـبان في أعـلاه وادي الصـهوة وصهوان فإن تلك الأودية من الروافد التي تجعل من وادي النقمي واديا فحلا يسير بمياهه عبر مساحة واسعة من الأرض حتى يصب في وادي إضم شمال جبال أحد، وقد سلك النبي ﷺ وادي النقمي مـن أسفله أو مـن ذنابتـه وسار مصعدا حتى ملتقـى الـوادي بـوادي ممناة، وفي تحديد الطريق ذكر الواقدي رحمه الله تعالى رواية تحدد الطريق الذي سلكه رسول الله ﷺ إذ تـذكر تلك الرواية تحدد وادي نقمي بعد أن ذكر ما يدل على الطريق من خلال أسماء المواضع التي مر بها الجيش قبل أن يسلك وادي النقمي تحديدا صريحا لا يقبل الاجتهـاد أو التشـكيك فقـال: «فخـرج رسـول الـله ﷺ مـن المدينـة فسلك ثَنِيّةَ الْوَدَاعِ[147]، ثم أخذ على الزَّغَابَة، ثم على نَقْمَى، ثم سلك الْمُسْتَنَاخَ[148]، ثم كَبَسَ الْوَطِيحَ[149]، ومعهم دليلان من أشجع يقال لأحـدهما: حُسَـيلُ بـن خارجـة[150]، والآخـر: عبداللـه بـن نعـيم الأشـجعي[151]، ثـم خـرج عـلى عَصْـرٍ[152] وبـه مسـجد، ثـم عـلى الصَّـهْبَاءِ[153]»[154]، مـن التـدابير الـتي اتخـذها النـبي ﷺ لغـزوة خيـبر الطريق الذي سلكه للوصول إليها، إذ أن يهود خيبر قد علموا بنية النبي ﷺ لغزوهم واستعداداته ذلك، فلم تكن فيها تورية، لكنه ﷺ استخدم أسلوبا حربيا لمفاجأة العدو وهو سلوك الطرق الخفية لإنجاز مهمته وأهدافه العسكرية والأمنية[155]، وعلى الرغم من أن اليهـود المـوادعين في المدينـة النبويـة ومـن يناصـرهم مـن المنـافقين يعلمون بتجهز النبي ﷺ لغزو خيبر، ويحرصون كل الحرص على إخبار يهـود خيـبر بكافـة التحركـات إلا أن اللـه سـبحانه وتعـالى أعمـى بصائرهم فلم يعلموا من أين ذهب الجيش ومتى خرج، فقد «خرج رسول الله ﷺ فعمّى الله عليهم مخرجه إلا بالظن حتى نزل رسول

146 **معجم البلدان**: 109/1.

147 ثنية الوداع: تقع شمال المدينة النبوية في بداية شارع أبي بكر الصديق ﷺ "سلطانة سابقا" وعند أول شارع سيد الشهداء، وهي ثنية الوداع لمن أراد السفر إلى الشام عن طريق تبوك. أنظر: البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص332. وانظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 317/1.

148 المستناخ: موضع في وسط وادي النقمي شمال المدينة قبل جبل وماء ذي قرد. انظر: الشهري: **مرويات غزوة خيبر**، ص54. قلت: يقع شمال قرية القبيبة على بعد خمس وثلاثين كلم تقريبا، على طريق تبوك القديم، وفيما يظهر أنه يمتد من ملتقى وادي مليحة مع النقمي حتى منتصف وادي ممناة شمال المدينة المنورة. عبدالله سكات: **خيبر**، ص263.

149 الوطيح: من حصون خيبر، قال السهيلي: سمي بالوطيح بن مازن رجل من ثمود، وكان الوطيح أعظمها، وآخر حصون خيبر فتحا. ياقوت: السابق، 379/5. قلت: ويستبعد أن يكون الوطيح ضمن الطريق الذي سلكه الجيش في تلك المنطقة.

150 حُسَيّل: بالتصغير أيضا، ويقال: بالتكبير بن خارجة وقيل بن نويرة الأشجعي، وحكى بن منده أنه يقال فيه: حسين بالنون أيضا والذي يظهر أنه آخر، وروى الطبراني وغيره بسنده عن حسيل بن خارجة الأشجعي قال: قدمت المدينة في جلب أبيعه فأتى بي رسول الله ﷺ فقال: "يا حسيل هل لك أن أعطيك عشرين صاع تمر على أن تدل أصحابي على طريق خيبر" ففعلت قال: فأعطاني، قال: فذكر القصة قال: فأسلمت. ابن حجر: **الإصابة**، 545-546/2.

151 عبدالله الأشجعي: ذكره أبو القاسم البغوث في الصحابة، وقال: كان دليل النبي ﷺ إلى خيبر. السابق: 401/6.

152 عِصْر: بكسر أوله وسكون ثانيه، وهو كل حصن يتحصن به يقال له عصر، وهو جبل. **معجم البلدان**: 128/4. قال البلادي: عصر: جبل في وادي اللحن جنوب خيبر. **معجم معالم الحجاز**، 1161/6. قلت: فيما يظهر أن عصر يقصد به وادي اللحن وربما سمي جبل في منتصفه باسمه. عبدالله سكات: **خيبر**، ص278.

153 الصهباء: بلفظ اسم الخمر، وسميت بذلك لصهوبة لونها وهو حمرتها أو شقرتها، وهو: اسم موضع بينه وبين خيبر روحة. **معجم البلدان**: 435/3. قلت: وهي منطقة تمتد من سد القصيبة "الصهباء جنوبا الثمد حتى جبل السرير وواديه جنوب شرق خيبر. عبدالله سكات: **الصهباء مكان نزول النبي ﷺ في طريقه لفتح خيبر وعودته منها موقعها حدودها آثارها**، ص13.

154 **المغازي**: 638/2.

155 عبدالسلام آل عيسى: **بحوث محكمة في السيرة النبوية**، ص126.





الله ﷺ بساحاتهم»[156]، وكان خروج النبي ﷺ من المدينة ليلا[157] في ليلة مقمرة[158] أي في منتصف الشهر أو الليالي الخمس التي تلي منتصف الشهر تقريبا حتى لا يعلم يهود المدينة ومنافقيها وعيونهم من أين اتجه الجيش، ولكي لا يعلم مسير الجيش سلك طريق أول وادي النقمي إلى المستناخ لأن بداية الطريق من تلك المنطقة هو الطريق الذي يسلكه من يريد الذهاب إلى فدك، لذا احتاط النبي ﷺ وسلكه ليلا، وفي هذا الشأن ورد في الصحيح من حديث «سلمه بن الأكوع ﷺ قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر فسرنا ليلا .... الحديث»[159]، ولأن اتخاذ النبي ﷺ لدليلين من أشجع فيه دلالة على أن الطريق الذي سيسلكه الجيش طريق غير معروف أو جديد على المسلمين فكانت هذه خطوة أخرى لإخفاء مسير الجيش، وأن الجيش سيسير في ديار أشجع[160]، والحقيقة أن النبي ﷺ خطط لأدق التفاصيل للوصول إلى خيبر في أسرع وقت ودون أن يعلم اليهود أو حلفائهم من غطفان بوقت وصوله، لذلك اتخذ ﷺ دليلين من قبيلة أشجع «التي تسكن المنطقة الواقعة شمال المدينة بينها وبين بلاد الشام، وتلك أراضي وعرة قليلة المياه والمراعي والسكان، وهي أبرز قبيلة تقيم في شمال المدينة، وكانت ديارها تمتد إلى منتصف الطريق إلى تيماء»[161]، «وكانت قبيلة أشجع محاربة لرسول الله ﷺ وتأخر إسلامها إلى السنة الخامسة من الهجرة»[162]، «ومن الملاحظ أنها لا تقع على الطريق التجاري لقوافل قريش لكن لها صِلات بسليم وجهينة ويهود خيبر»[163]، وبإسلام أشجع أصبحت الأراضي التي تمتد من المدينة إلى خيبر كلها إسلامية، فخروج النبي ﷺ من المدينة وسلك ديار أشجع واتخذ الدليلين منهم[164] وهذا دليل على أنه يسير في أراضي آمنة على الجيش وأسرار مسيره، ودليل أن الجيش يسير في وسط أرض أشجع ما أورده بعض الباحثين على أن الجيش نزل وادي الرجيع وهو على مسيرة يوم وليلة من أراضي غطفان[165]، وقد انفرد الواقدي رحمه الله تعالى بذكر الطريق من مبتداه من ثنية الوداع مرورا بزغابة فالنقمي والمستناخ وكبس الوطا، وذكر عصر وهو على مرحلتين من المدينة، ثم الصهباء، وهي أقرب منازل النبي ﷺ إلى خيبر، ويتفق الواقدي وابن إسحاق مع البخاري على أن النبي ﷺ مر بالصهباء[166]، واعتمد على تلك الروايات عدد من الباحثين فقد ذكر أحد الباحثين أن النبي ﷺ سلك طريق الصهباء ثم نزل بوادي يقال له الرجيع[167]، واعتمد الدكتور أكرم العُمري على رواية الواقدي وأشار إلى انفراده بتحديد الطريق تحديدا دقيقا[168]، وهذا يدل على أن النبي ﷺ سلك وادي النقمي من أسفله شمالي جبل أحد صعودا حتى منتصفه عند ملتقاه بوادي ممناة كما أشرت إلى ذلك سابقا، وهو الأمر الذي سيحدد لنا فيما بعد أي الأودية التي سار معها حتى يصل إلى وادي عصر وجبله، وهو طريق يسلكه الناس إلى حد قريب، يقول فلبي في رحلته من المدينة إلى خيبر في 4 ديسمبر 1950م أي حوالي عام 1370هـ: وعند التزام سيرنا التزمنا مجرى وادي نقمي من الحمض حوالي عشرة أميال حتى نقطة تركناها عنده لنصعد باتجاه الشمال الشرقي ثم تابعنا أحد روافده ويسمى وادي ممناة[169]، وكان فلبي كما يقول هو أول أوروبي يسلك هذا الطريق إذ جاء عنده: على أنني لم أسمع عن أي زائر أوروبي سابق تخطى هذا المسار شرق الخط بين منطقتي المدينة وخيبر[170]، ووادي النقمي غني بالمياه إذ توجد آثار تدل على وجود مزارع وأحواض زراعية وقنوات مياه في مناطق مختلفة في الوادي كما توجد بعض الموارد المائية منها بئر الفُقُر والتي يملكها (صلاح بن حريميس الجريشي الرشيدي) والتي فيما يبدو أنها مورد مائي قديم يمتد عمره مئات السنين، كما أن هناك آبار إشْقَرْ ومُهَلْهِلْ والتي تعود ملكيتها لبني رشيد[171]، ويتميز الوادي بكثرة روافده وانتشار أشجار السمر والسيال وبعض الشجرات الصحراوية لكنها قليلة مثل: العوسج والمرخ والحرمل والعشر وغيرها، كما أن الوادي وروافده في أوقات الربيع تنتشر فيه النباتات والأعشاب التي تنمو

---

156 الواقدي: **المغازي**، 637/2.

157 البخاري: **الصحيح**، باب غزوة خيبر، الحديث4196، ص506. وانظر: مسلم: **الصحيح**، باب غزوة خيبر، الحديث1802، ص513.

158 **المغازي**: 635/2. وانظر: الصالحي: **سبل الهدى والرشاد**، 183/5.

159 البخاري: السابق، باب غزوة خيبر، الحديث4196، ص506.

160 عبدالله سكات: **خيبر**، ص265.

161 صالح العلي: **الحجاز في صدر الإسلام**، ص181-182.

162 الشيباني: **علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة**، ص20.

163 السابق: ص21.

164 السابق: ص21.

165 عبدالله سكات: **خيبر**، ص269. المباركفوري: **الرحيق المختوم**، ص335.

166 الشهري: **مرويات غزوة خيبر**، ص55.

167 محمد حشمت: **المسائل العقدية المستنبطة من غزوة خيبر**، ص60.

168 **السيرة النبوية الصحيحة**: 321/1. انظر: عبدالله سكات: **السابق**، ص259.

169 **أرض مدين**: ص37.

170 السابق: ص40.

171 عبدالله سكات: **خيبر**، ص167.





بعد سقوط الأمطار بشكل بديع، وقبل أن نختم الحديث هناك معلم هام في هذا الوادي يتمثل في جبل الجلعب: وهو من الجبال التي تقع شمال وادي النقمي وهو جبل أو عدة جبال متلاصقة يطلق عليها الجلعب، وقد ورد ذكر هذا الجبل خلال استعراض الروايات لنتائج غزوة أحد وانهزام بعض المسلمين ووصولهم إلى الجلعب بل البقاء فيه ثلاثة أيام، وقد حدده البعض تحديدا قريبا من الواقع فقالوا: وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله ﷺ حتى انتهى بعضهم إلى المنقى دون الأعوص، وفر عثمان بن عفان، وعقبة بن عثمان، وسعد بن عثمان رجلان من الأنصار، ثم من بني زريق حتى بلغوا الجلعب جبلاً بناحية المدينة، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ[172]، وقال البيهقي: وَالرَّهْطُ الَّذِينَ تَوَلَّوْا رَجُلَانِ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ: سَعْدُ بْنُ عُثْمَانَ، وَأَخُوهُ: عُقْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ، وَرَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ: تَوَلَّوْا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بِئْرِ حَزْمٍ وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ فُلَيْحٍ إِلَى الْجَلْعَبِ ثُمَّ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ[173]، وقال ابن حبيب: ومضوا جميعا إلى الجلعب ولم يدخل منهم المدينة أحد في وجهه، وقيل: بلغوا الخُبيب، والموضع واحد وبينهما واد مضيق يقال له الخُبيب بالقرب من طريق ذي القصة وطريق الطرف، وهو على اثنين وعشرين ميلا من المدينة[174]، وورد عند ابن حزم وانهزم قوم من المسلمين، فبلغ بعضهم إلى الجلعب دون الأعوص[175]، والجلعب بعد الأعوص وليس دونه لأن الأعوص أقرب للمدينة جهة مطار الأمير محمد بن سعود والجلعب شماله بحوالي 20 كيلا، وباستعراض الروايات نجد أن الجلعب كمعلم طبيعي قد ورد وهو مكان حصين إذ أن من انهزم ولجأ فيه بقي ثلاثة أيام، وهو جبل منيف يقع في شمال وادي النقمي وحوله عدد من الموارد المائية بعضها قديم وبعضها مستحدث ولا شك أن المستحدث جاء على أثر قديم، ومنها: الفقر، واشقر وغيرها، وتظهر في المنطقة آثار قنوات مائية وبقايا مزارع وقصور، وتبعد عن المدينة قرابة 45 كيلا، أما من قال أن الجلعب دون الأعوص فلم يصب لأن الأعوص كما ذكرته سابقا لا يبعد عن المدينة أكثر من 16 كيلا، فالأعوص دون الجلعب بمسافة كبيرة، ومن قال أنهم بلغوا الخبيت وليس الخبيب من طريق ذي القصة فربما أن مسيرهم عبر جادة الرخامي نزولا على وادي الصهوة وصهوان في أعالي وادي النقمي وصولا إلى جبال الجلعب، وجاء عند ياقوت الحموي الجلعب: في الأصل الرجل الجافي الكثير الشرّ. قال: جلفا جلعبا ذا جلب: وهو جبل بناحية المدينة، وقد ثنّاه بعضهم في الشعر كعادتهم في أمثاله فقال:

سقى الله ما حلّت به أم مالك
من الأرض! أو مرّت عليه جمالها
فما فتئت ضبع الجلعبين تعتري
مصارع قتلى! في التراب سبالها[176]،

وقال البغدادي: الجلعب جبل بناحية المدينة[177]، وقال البكري: الجلعب موضع تلقاء الخبيت بينهما وبين المدينة بريدان[178]، وقال البلادي: الجلعب جبلا أسود سيله إلى وادي النقمي من أعلاه تراه شرقك وأنت عند التقاء النقمي بممناة، واقع في ديار بني رشيد شمال المدينة[179]، ومن خلال ما سبق يتضح أن الجلعب جبلا أو عدة جبال تقع شمال المدينة على مسافة تتراوح بين 45-50كيلا، وهو من أشهر جبال ديار بني رشيد في وادي النقمي وما حولها، وفيه آبار ومياه يرتادها أهالي المنطقة إلى اليوم.

وادي ممناة:

امتدادا لمسير الجيش والذي فيما يظهر أنه سلك وادي ممناة مصعدا إلى جهة جبال الضلوع، فوادي ممناة سار معه صفوة الخلق ﷺ مع الجيش متجها إلى خيبر، وربما يكون وادي ممناة جزء من الوطا الذي ورد في رواية الواقدي، والذي ربما يشمل إضافة لممناة وادي النقمي وكذلك جزء من أعالي وادي إضم (الحمض) وجزء من العرض الذي بين جبل أحد والجرف، وقد ورد في ذكر الطريق الذي سلكه النبي ﷺ إلى خيبر أنه مر بكبس الوِطاء[180]، والوِطا ذكرها الواقدي خلال سرده لأحداث غزوة أحد إذ يقول: (فلماء أصبحوا بذي الحليفة خرج فرسان فأنزلهم بالوِطا، وبعث النبي ﷺ عينين له أنسا ومؤنسا ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق

172 ابن إسحاق: **سيرة ابن إسحاق–السير والمغازي**، ص332. الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 522/2. ابن كثير: **البداية والنهاية**، 32/4.
173 **دلائل النبوة**: 218/3. مُحَمَّد العواجي: **مرويات الإمام الزهري في المغازي**، 361/1. وقال المؤلف: بئر حزم: لم أجد لها ذكرا.
174 **المحبّر**: ص284.
175 **جوامع السيرة النبوية**: ص129.
176 **معجم البلدان**: 154/2.
177 **مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع**: 341/1.
178 **معجم ما استعجم**: 389/2-390.
179 **معجم معالم الحجاز**: 368/2.
180 الكَبْسُ: طَمُّك حُفرة بتراب، وهو ما كان نحو الأَرض مما يسد من الهواء مَسَدّاً. ابن منظور: **لسان العرب**، 190/6. والوَطْأَة: الدَّهْماءُ، الأرض الدهماء: هي الخضراء التي تَضْرِب إلى السواد، وكذلك على ليلة 29 من الشهر. السابق: 209/12.

فسارا معهم حتى نزلوا بالوِطاء، فأتيا رسول الله ﷺ فأخبراه؛ وكان المسلمون قد ازدرعوا العِرْض، والعِرْض ما بين الوطاء إلى الجرف، والوِطاء منطقة تقع غرب جبل أحد وتفصل بينه وبين العِرْض)[181]، وفي هذا الشأن قال ابن إسحاق: (ولمّا فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومه، بين الجرف وزغابة)[182]، وهذا يؤكد أن ما ذكره الواقدي هو الوِطاء الوارد في الطريق بناء على هذه الرواية، فالوِطاء منطقة فسيحة ربما تمتد من غرب أحد إلى أعالي وادي النقمي بما في ذلك المستناخ الذي هو كما يظهر وادي ممناة، وإن لم يذكر أيا من المؤرخين أو أصحاب المغازي والسير رواية يصف فيها الطريق الذي سلكه الجيش بشكل مفصّل إلا الواقدي والذي يتضح في روايته رغم تميزها من بين الروايات أن فيها سقط وتجاهل للكثير من المواضع التي مر بها النبي ﷺ، ومع هذا يقول الدكتور أكرم العمري: (وقد انفرد الواقدي بتحديد الطريق التي سلكها الرسول ﷺ إلى خيبر بصورة مفصلة، والواقدي خبير بمسالك الطرق وتحديد الأماكن التي جرت فيها أحداث السيرة فقد كان يتتبعها ويسأل عنها، ويقف عليها بنفسه)[183]، واتجاه الجيش إلى الجهة الشمالية مع وادي ممناة (المستناخ) تاركا أعالي وادي النقمي على يمينه لم يأت من فراغ بل هو نتيجة تخطيط ومعرفة، فعلى الرغم من أن وادي النقمي في أعلاه مورد (مهلهل) وهو بئر قديم، وآبار (إشقر) وهو طريق قديم يوصل إلى بئر (الشدادي) وهو بئر قديم كذلك في أعالي وادي الشدادي الذي يسيل غربا إلى وادي اللحن، إلا أنه قريب من ديار غطفان مما يجعلنا نستبعد أن الجيش سار مع هذا الطريق أو الطريق الذي يمر بالصهوة وصهوان ويفيض إلى وادي الغرس للسبب ذاته، ولأنه يسير مع الحرة بمسافة أطول من الطرق الأخرى فهو الطريق المؤدي إلى فدك، كما أن هذين الطريقين يسيران في أراضي غطفان، وما يدل على قربها منهما ما ورد في الصحيح حينما قال سلمة بن الأكوع ﵁ لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله خلني فأنتخب من القوم مائة رجل فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته، قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه في ضوء النار فقال: (يا سلمة أتراك كنت فاعلا»؟، قلت: نعم والذي أكرمك، فقال: «إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان»، قال: فجاء

181 **المغازي**: 206/1-207.

182 ابن هشام: **السيرة**، 189/3.

183 **السيرة النبوية الصحيحة**: 321/1.

رجل من غطفان فقال: نحر لهم جزورا فلما كشفوا جلدها رأوا غبارا فقالوا: أتاكم القوم فخرجوا هاربين)[184]، ففي قوله ﷺ «إنهم الآن ليقرون في أرض غطفان» دليل على قرب أرض غطفان من ذلك المكان والذي يمر به الطريقان، وهم موالون لليهود ويبذلون جهودا حثيثة للتحقق من مسير الجيش (فقد بثت غطفان واليهود العيون والجواسيس لمعرفة الطريق الذي يسلكه الجيش، وكانوا حريصين على معرفة مخرج النبي ﷺ ليعرفوا الطريق التي يسلكها والجهة التي يدخل منها، وقد عثر المسلمون على أحد جواسيسهم قرب الصهباء)[185]، والوارد في الروايات أن الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في غزوة خيبر يبعد عن ديار غطفان في أغلب مسالكه مسيرة يوم وليلة، لأنه بلغه ﷺ أن غطفان تريد إمداد يهود خيبر وهي تتهيأ لذلك[186]، كما أن هناك طريق ثالث مع مراخ وهو وادي يسير بمحاذاة وادي ممناة وتحول بينهما الجبال، ويلتقيان في منطقة تسمى السطيح قبل الفرشة بثلاثة أكيال تقريبا، لكن هذا الطريق وعر ومن الصعوبة تحرك جيش كبير معه لضيق مسالكه ووعورة طرقه، مما يجعل مسير الجيش معه أمر مستبعد، كما أنه حسب المعالم التي وردت في رواية الواقدي والسياق لها فإن تلك المناطق التي سنذكرها تتناسب مع الخطة العسكرية التي اتخذها النبي ﷺ في السير بطريق آمنة ومحصنة طبيعيا إذ يسير الجيش في أودية تحفها الجبال من الجانبين، ويسير الجيش في أرض موالية للنبي ﷺ فهي ديار أشجع، وقد سار النبي ﷺ مع وادي ممناة لأن الطريق سهل المسير به مما جعل الجيش يصل إلى خيبر في أسرع وقت، لذا نجد أن النبي ﷺ استعمل الدليلان من قبيلة أشجع ليبلغ هدفه بسرعة ويباغت اليهود في خيبر دون علمهم بالطريق الذي سلكه، حتى لا يراقبوا تحركاته، ولكي لا يعلموا وقت وصول الجيش، ومن حسن تخطيط النبي ﷺ لم يسلك أعالي وادي النقمي مما يلي بلاد غطفان وقيل على مسافة يوم[187]، فسلوك ذلك الطريق ربما يكشف أمره لغطفان فتبلغ حلفائها يهود خيبر، وفيما يظهر أنه سار شمالا مع ما يعرف بوادي ممناة وهو المستناخ كما يظهر خاصة أن ذلك الطريق الذي توجد به آبار قديمة وموارد مياه متعددة، كما أنه يتميز بسهولة أرضه الرملية التي تحفها الجبال، وهي أسهل منطقة

184 مسلم: **الصحيح**، باب غزوة ذي قرد وغيرها، الحديث1806، ص517.

185 فاضل رضوان: **موقف يهود خيبر وشمال الحجاز من الدولة الإسلامية**، ص142-143.

186 محمد حشمت: **المسائل العقدية المستنبطة من غزوة خيبر**، ص61.

187 ابن حجر: **فتح الباري**، 7/ 460-463.



مقارنة بالطرق الأخرى، ومروره بين الجبال، ومسيره بديار أشجع، وقد سار الجيش وادي ممناة[188]، وهو وادٍ يمتد لمسافة تزيد على اثني عشر كيلا من الشمال إلى الجنوب، ويمر بالعديد من المعالم التضاريسية من جبال وأودية سأذكرها بأسمائها التي وردت في كتب البلدان، أو التي ذكرها أهالي المنطقة وأصبحت مشتهرة بها، ومن معالم وادي ممناة جبل أبي خشب[189]، وهو غير ذي خشب الذي ذِكْره كثيرا في الحديث والمغازي، فذو خشب وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة أي على بعد مرحلة أو أكثر، بمعنى أنه يبعد سبعين كيلا تقريبا شمال غرب المدينة في وادي إضم "الحمض"، وتردد ذكره كثيرا في رحلات الحجاج على طريق الشام الذي يأخذ من وادي الحمض مسلكا له، وهو المُوصِل إلى العلا وتبوك[190]، وفيه وادي الدومة الذي ذكره الواقدي[191]، ويقابل جبل أبو خشب من الجهة الشمالية الكحيل وهو من روافد وادي ممناة يأتي من الشمال إلى الجنوب، وبه مورد قديم فيه آثار بئر ماء، كما تشاهد (أثر طرق) وتسمى بالعامية (جواد) "جمع جادّة" للإبل التي ترد هذا المورد من زمن بعيد وهو على بعد ثمانية وأربعين كيلا تقريبا شمال المدينة، وتأتي بعد الكحيل منطقة منبسطة تحدها الجبال التي تتخللها الأودية، وتسمى هذه المنطقة منطقة الضلوع، وسميت بذلك لأن جبالها تشبه الأضلاع في انحنائها وتقوسها، وتبعد عن المدينة بمسافة تسعة وأربعين كيلا تقريبا، ويقع في منتصفها أي على بعد أربعة وخمسين كيلا طريق يتجه غربا مع وادي البيار[192] الذي يصب في وادي ألتمة، ويستبعد أن يسلكه الجيش لأنه سيتجه غربا مسافة عشرين كيلا تقريبا في نقطة موازية للنقطة التي انطلق منها في منتصف وادي الضلوع بلا فائدة، فالجيش سلك وادي الضلوع شمالا وصولا إلى الرديدة[193] وجبال شهبه[194]، ويتحدث فلبي عن جبال الضلوع التي تعد رأس وادي ممناة فيقول: قضيت أنا وعياض ويقصد بعياض دليله (عياضة بن عواض)[195] بعض الوقت على قمة جبل الضلوع وكان جبل البيضاء وذو خشب يحتلان المشهد من خلفنا ولكننا لم نستطع أن نرى شيئا من خط سكة الحديد بالمليليح[196]، ومن رؤوس وادي ممناة جبال الشاروق وشعيبها الذي يقع شمال شرق جبال الضلوع بينها وبين الرديدة ويفيض سيلها جنوبا كرافد من روافد وادي ممناة، وتتميز هذه المنطقة بكثرة الشعاب التي ترفد أوديتها والمنحدرة من سفوح الجبال المجاورة سواء جبال شهبة أو الضلوع أو الشاروق أو غيرها، لكنها منطقة قليلة المياه فلم تنتشر فيها المزارع إلا في وقتنا الحاضر بدأ رجالها بزراعتها وتحمل أعباء متاعبها وخاصة في جنوبي شهبة وغربي الرديدة، وهي منطقة رعوية ذات أشجار كثيفة يكثر فيها شجر السمر والسيال وبعض الشجيرات البرية المعمرة.

الفصل الثالث

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

وادي الرديدة -والفرشة - والعين - اللحن (عصر)

وادي الرديدة:

من الأودية التي يعتقد أنه سار معها نبينا وحبيبنا محمد ﷺ في سبيل نشر الدعوة والقضاء على معوقات وصولها إلى البشرية كافة وادي الرديدة[197] وهو وادٍ يفيض من منطقة فسيحة تقع

188 وادي ممناة: وادٍ صغير يأخذه الطريق القديم بين المدينة واللحن والصلصلة، يصب في وادي النقمي من الشمال على بعد 43كلم من المدينة، يأخذ مياهه من جبال الذبحي، والشهباء، والبيضاء على بعد 59كلم شمال المدينة، وهو واقع في ديار بني رشيد. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 1670/8. وفيما يظهر أنه المستناخ. عبدالله سكات: **خيبر**، ص262.

189 أبو خشب: جبل أسود بطرف وادي ممناة من الغرب، على بعد أربعة وأربعين كيلا شمال المدينة. انظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 549/3. وهو جبل يفصل وادي ممناة عن وادي الضلوع، على طريق تبوك القديم. عبدالله سكات: **خيبر**، ص271.

190 انظر: البلادي: السابق، 549/3.

191 **المغازي**: 999/2.

192 البيار: جمع بئر، وادٍ يصب من جبال ممناة "الضلوع" في وادي التمة من الجنوب. البلادي: السابق، 240/1.

193 الرديدة: من الارتداد، وهي منطقة فسيحة بين الجبال، تفيض من جبل شهبة جنوبا وجنوب شرق، وهي في ديار بني رشيد. عبدالله سكات: السابق، 274.

194 شهبة: أو الشهباء، والأصح الأول، وهو جبل على بعد 59 كيلا شمال المدينة يمر طريق تبوك القديم عن يمينه، ومياهه يقتسمها واديا ممناة جنوبا، والفرشة شمالا، ويقع في ديار بني رشيد. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 959/5. عبدالله سكات: السابق، ص 274.

195 هو **عياضة بن عواض بن مبارك العازمي الرشيدي** من مواليد عام 1352هـ، ولد ونشأ في قرية العين ورعى ابله وتنقل بين العين والغمسان، تزوج وله من الأود 5 أولاد و 6 بنات، أمي لا يقرأ ولا يكتب، توفي في 1/6/ 1430هـ رحمه الله. نقلا عن ابنه: **ناصر بن عياضة بن عواض العازمي الرشيدي**.

196 **أرض مدين**: ص40-41.

197الرديدة: من الارتداد، وادي ومنطقة فسيحة تفيض مياهها جهة الشمال ثم الشمال الغربي لمسافة قبل أن تتحول إلى الغرب حتى تصل إلى قناة الفرشة من



جنوب وجنوب شرق جبل شهبة على مسافة 59 كيلا شمال المدينة المنورة وجبالها ذات تلال جرانيتيه وبازلتية، وأرض الرديدة أرض سهلية فسيحة تكثر فيها المناطق التي تستغل لإقامة المخيمات في مختلف الفصول، وتكثر على حواف الوادي أشجار السمر والسيال وبعض الشجيرات البرية المعمرة والتي يستفاد منها في رعي الإبل والماشية بمختلف أنواعها، ومن روافد وادي الرديدة شعيب البثنة والذي يقع جنوب وادي الرديدة وفي أعلاه مورد مائي قديم، والتي تقع على مسافة 61 كيلا شمال المدينة المنورة، وتقع شرقي الرديدة، ويفيض سيلها شمالا ثم شمال غرب مع وادي أم عرقين مرورا باللحيان، وتسمى المنطقة الواقعة بين جبال شهبة والرديدة منطقة الساهبة، والتي تدفع بسيلها جنوبا إلى وادي الضلوع ثم ممناة[198].

وادي الفرشة:

مأخوذ من الفرش وهو الموضع الذي يكثر فيه النبات، والفرش الزرع إذا فرّش وانبسط على وجه الأرض[199]، والمتأمل في منطقة الفرشة يجدها أرض منبسطة بين الجبال تخترقها بعض الأودية القادمة من الرديدة والدارة وأم عرقين واللحيان والبثنة وكذلك قرين الريح ثم تتحد وتفيض مع وادي الفرشة إلى جهة الغرب حتى تلتقي بوادي العين ثم تدفع جميعها في وادي اللحن[200]، وقال البلادي عن وادي الفرشة: من الفرش وادٍ يصب في وادي ألتمة[201] من الجنوب الشرقي[202]، والصحيح أنه وادٍ يسيل غربا ويلتقي بوادي العين بالقرب من طعس الثميمية، ويدفع سيلهما غربا إلى الجنوب الغربي في وادي اللحن بالقرب من جبل إنخسة[203]، ويضع ما يعرف باسم "كنب سموره" حاليا على يساره وهو مركز لقوات أمن الطرق الذي كانت تتخذ من هذا المكان مقرا لها قبل أن تنتقل إلى موقعها الجديد على ملتقى طريق تبوك القديم والجديد على مسافة 86 كيلا شمال المدينة المنورة[204]، وقد حاولت معرفة أدق التفاصيل عن المكان الذي ربما سار معه الجيش بقيادة سيدنا وحبيبنا رسول الله ﷺ لكي يمكنني الكتابة عن الأودية التي سار معها نبينا ﷺ فوجدت أن طريق الجيش يستمر مع وادي الفرشة والذي يقع على مسافة خمسة وستين كيلا تقريبا، ويضم في شرقه "جبال الدارة" وهي جبال ذات حجارة سوداء وتشكل في سلسلتها نصف دائرة وتضم قبر الغريب[205]، وتفصل بينها وبين "وادي وجبال الشعبية" جادة قديمة لأهالي المنطقة، وهي الجادة المعروفة لمن يريد الذهاب من شمال الفرشة أو المناطق التي بعدها إلى المدينة، وقد عاينت الطريق ووجدت أن الجيش لو سلكه لما مرّ بجبل عصر الذي يتوقع أن ينتهي عنده الجيش في مرحلته الثانية، بل إنه سيذهب شمالا حتى ملتقى وادي "اللحن" بوادي "أذيخر"[206] مما جعل سلوك الجيش له مستبعدا إذا كان عصر هو الجبل المحدد بمنطقة حمراء فتيخ فقط، أما إذا كان عصر يطلق على وادي اللحن[207] فإن هذا الطريق ربما يكون مسار الجيش رغم وعورة التضاريس وقرب المسافة بينه وبين طريق الفرشة، فإذا كان الجيش سيتجه إلى عصر الجبل فإنه سيسلك أول الفرشة المعروف باسم "الملسّب" وهو أول وادي الفرشة متجها شمال غرب، ثم شمال غرب عبر الوادي الذي يفصل بينها وبين جبال ووادي الشعبية جبل يسمى "قرين الريح"، ويستمر الطريق الذي يمر بجبال "الحقتين" مفردها حمة وهما جبلين متقابلين في منتصف الفرشة، ثم جبل "أم غريميل" وهو جبل في وسط الوادي، ثم "طعس الثميمية" وهو الذي يلتقي بقربه وادي "العين" بوادي الفرشة الذي يعد من أكبر روافد وادي الفرشة إذ يتخذ الوادي من هذا الملتقى اسم وادي العين، وهناك وادي عسيّب ويقال له: عسيّبات وهما واديان الأول وهو الأيمن رأسه في (رويع الخيل) تصغير ريع، ويفيض على شهبة من الشمال صدر وادي الفرشة، والأيمن في شهبة ويصبان في وادي اللحن بالقرب

أعالي الملسّب ثم تدفع مياهها بمياه وادي الفرشة. فلبي: **أرض مدين**، ص41.
عبدالله سكات: **خيبر**، ص274.

198 السابق: ص275.

199 ابن منظور: **لسان العرب**، 328/6.

200 عبدالله سكات: السابق، ص175.

201 ألتمة: وادٍ يصب في وادي الحمض في المندسة من الشرق بين شوفان وحرّة مدرجة وهو إلى شوفان أقرب، وفي العدوة المقابلة له المليليح، وسكانه ولد محمد من حرب، وأعلاه وادي اللحن للعراعرة من بني رشيد، ووادي اللحن يأخذ مياهه من الشفية ومن جبال إشمذ. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 128/1.

202 السابق: 1313/7.

203 جبل إنْخَسَة: هو جبل يقع في غربي وادي اللحن قبل ملتقاه بوادي العين والفرشة على مسافة 78 كيلا شمال المدينة المنورة، وكان فيه عدة موارد مائية تعرف بالرسوس، على يمين الذاهب إلى المدينة ويسار الذاهب إلى اللحن.

204 عبدالله سكات: خيبر، ص276.

205 قبر الغريب: قبر في جبال الدارة، أوردته لتحديد المكان، يقال أنه لتاجر يهودي، مات أو قُتل ودفن هناك.

206 أذيخر: رأس الوادي الدحلة، بينها وبينه جبل صغير، ومن روافده التلعة الحمراء وأم كتاد والخويش، وفي وسطه مورد بئر جمعان ويصب في وادي اللحن، ويكثر فيه شجر السمر والكتاد. رواية شفهية عن الأستاذ/ **فهد بن علي العرعري**.

207 حمد الجاسر: **في شمال غرب الجزيرة**، ص538.



من ألتمة، ثم يتجه الجيش شمال غرب عبر "جبال الشبرق" وهي جبال متوسطة الارتفاع شمال وادي العين[208]، ويقول قائلهم (شعر شعبي):

ياوجودي وجد من ورد (الأطوالي) قربته من واهج القيض مطويّة
وارد (الشبرق) ومنه العرب خـالي ضاع فكره يوم وايق على الطيّة

وهذا يدل على أن تلك المناطق موارد مائية قديمة يتزود منها السكان والمسافرون بالمياه، بالرغم من أن فلبي يصف المنطقة من الفرشة حتى أعالي العين بأنها كتلة متشابكة من الجبال التي تمر من خلالها قناة الفرشة المكونة من التقاء شعيب الرديدة وشعاب الدارة[209]، وفي المسار الذي سار معه نبينا محمد ﷺ نجد أن الجيش يسير تاركا وادي الفرشة والعين خلفه عبر منطقة تسمى "الخاروط" وسميت بذلك لأنها على شكل مخروط، وتتميز بحمرة أرضها وفسح جنباتها، ثم يتجه الجيش شمالا مع وادي اللحن وتسمى تلك الجزئية من الوادي "المطّرد" وهي أرض فسيحة فيها بعض الأشجار وفيها بئر ماء قديمة لا يعرف تاريخها، ثم يصل الجيش إلى جبل عِصْر[210]، كل هذا مسير الجيش بقيادة رسول الله ﷺ مع وادي الفرشة والذي أرى أنه أقرب الطرق التي سار معها نبينا محمد ﷺ متوجها لفتح خيبر وإن لم أجد من الروايات والأخبار ما يدعمها لكن أرض الواقع تدعم ما ذهب إليه، ومن الملاحظ أن وادي الفرشة تكتنفه الجبال ويضيق ويتسع حسب قربها وبعدها عنه وفيه أشجار تختلف كثافتها من منطقة لأخرى مثل شجر السيال والسمر والمرخ وبعض الشجيرات المعمرة مثل العوسج والسرح.

وادي العين:

وادٍ يأخذ مياهه من أعالي الجبال التي تقع شرق أم هشيم[211] وجبال الدارة وكذلك وادي أم هشيم والشدادي، وإذا كان الجيش الفاتح لخيبر سار مع أعالي جبال الدارة ومر في أعالي أم هشيم فيعد الوادي من الأودية التي سار معها وسلكها رسول الله ﷺ وإذا سار الجيش مع وادي الفرشة نزولا حتى ملتقى وادي العين به فقد سار مع وادي العين أيضا، فلا خلاف مع سيره مع واديي الفرشة والعين، والذي يجعلني استبعد سير الجيش مع أعالي جبال الدارة إلى أعالي جبال العين، أو الذهاب عبر المضايق الجبلية التي تمر بآبار الأطبق[212] وصولا إلى أبي زباير ثم الذهاب مع المتعرجات الجبلية هو وعورة التضاريس وصعوبة سير الجيش الذي يتجاوز عدده 1400 مقاتل هو ما ذكره وأكده فلبي الذي كان يسير على سيارة وعانى أشد المعناة من تلك التضاريس إذ يقول: ثم تحولنا إلى حوض شعيب الدارة القاسي المكون من الصخور ثم تحولنا إلى تلال الزريق الجرانيتية الحمراء التي يدخلها الطريق عبر ممر ضيق، وبالقرب دخلنا في مكان معزول لزيارة مجموعة الآبار التي تسمى الأطبق، والتي تم طيها وتدعيم فتحتها بكتل صلبة من البازلت حتى مستوى الماء، والفتحة دائرية وقطرها حوالي ياردة، وحول البئر ازعج وصولنا قطيع من غزلان الريم ستة أو سبعة، وكذلك أسرابا من طائر الطيهوج وهو من فصيلة الدجاج (الحجل) الذي لم يتمكن من الوصول إلى الماء، وكانت علامات قديمة للمياه تزين الصخور المجاورة لنا، ولكن لم يظهر بالمكان ما يوحي بأنه كان منتجعا مشهورا، ثم يستطرد قائلا: عدنا إلى طريق السيارة الذي سلكناه على طول وجه جبل زريق حتى نهايته الغربية، وبعدها كنّا ننتقي طريقنا وسط متاهة من الوديان الضيقة شديدة الانحدار وسلاسل الجبال إلى أن أتينا قناة وادي اللحن الكبرى[213]، ومن خلال الوصف السابق نستنتج أن رحلة السيارة التي استقلها فلبي استغرقت من المدينة

---

208 العين: وادي يصب في وادي ألتمة من الجنوب الشرقي، وهو على بعد تسعة وسبعين كيلا، واقع في ديار بني رشيد، له روافد منها وادي الشدادي نسبة إلى بئر الشدادي. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 1226/6. قلت: لا يصب وادي العين في ألتمة بل يدفع سيله حتى يلتقي في وادي الفرشة ثم يدفعان حتى يلتقيان في وادي اللحن جنوب جبل إخسة. انظر: عبدالله سكات: **السابق**، ص277.

209**أرض مدين**: ص41.

210 عِصْر: كل حصن يُتَحصن به يقال له عصر. ياقوت: **معجم البلدان**، 128/4. وهو جبل ضخم امتداده من الشرق إلى الغرب على ضفة وادي اللحن الشرقية، على يمين المسافر من المدينة إلى خيبر، على بعد ثلاثة وثمانين كيلا تقريبا، وفي سفحه الجنوبي مركز انطلاق دوريات أمن الطرق في اللحن، أما إذا كان عَصَر يطلق على وادي اللحن فهنا يختلف المقصود، فهو وادي يمتد من سفوح جبال إثمد الجنوبية ومن دمعان جنوب غرب إثمد وله روافد من أودية تأتي من الشفيه وشرق إثمد، ومن هنا يمكن أن نقول أن الجبل ربما أخذ المسمى من الوادي، ولكنه إذا أطلق بدون تحديد فيقصد به الوادي، فإن قُصد به الوادي أصبح المقصود مسافة طويلة تصل إلى أكثر من عشرين كيلا تقريبا، وفيما يظهر أن المقصود هنا الوادي. عبدالله سكات: **خيبر**، ص278.

211 أم هشيم: أخذ اسمها من الهشيم وهو ما جف ويبس من الشجر والعشب ورَقّ وتكسّر وتحطّم، ويقال الأصل في الهشيم النبت إذا ولّى وجف فأخذته الرياح وذرته. ابن منظور: **لسان العرب**، 203/4، 612/12-613. وهي قرية لفخذ الجريشات من بني رشيد على مسافة 90 كيلا شمال المدينة المنورة، على يمين الذاهب إلى خيبر.

212آبار الأطبق: تقع في وادي الأطبق وهو وادٍ صخري موحش شديد الضيق في أجزاء منه وشديد الوعورة، وفيه بئر رئيسية من ستة آبار، يوجد بها ماء على عمق 5 قامات والقامة 6 أقدام، ومالكيه هم بنو رشيد. فلبي: السابق، ص42.

213 فلبي: **أرض مدين**، ص42-43.

إلى جبال الضلوع يوما كاملا، ومن الضلوع إلى وادي اللحن يوما آخرا[214] وهذا يؤكد صعوبة الطريق ووعورة التضاريس في تلك المسالك مما جعلني استبعد سلوك الجيش الفاتح لخيبر لتلك الأماكن، ويتميز الأطبق والشعاب المحيطة به بوجود أشجار السمر بكثرة، كما ان وادي العين يتميز بأشجار السمر والسيال والمرخ بشكل ملفت، إضافة إلى عدد من الشجيرات البرية التي تتحمل قسوة المناخ الصحراوي وشدته.

وادي اللحن (عِصر):

في الروايات التي ذكرت الطريق الذي سلكه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ روايات أوردت عصر كجزء من الطريق الذي سلكه، فقد ورد عند ابن إسحاق رواية مفادها: وكان رسول الله ﷺ حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجدا، ثم على الصهباء، ثم أقبل رسول الله ﷺ بجيشه حتى نزل بواد يقال له الرجيع[215] فنزل بينهم وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ[216]، وقد نقل عنه ابن حزم روايته في ذكر الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في غزوة خيبر[217]، كما نقلها ابن عبدالبر[218]، وكذلك أوردها ابن كثير[219]، ونقلها المباركفوري[220]، وقد اختلف المحدثون وأصحاب السير والمؤرخون في ذكر الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في غزوة خيبر، فلم يذكر الطريق ابن سعد[221]، ولا خليفة[222]،ولم يذكره الإمام مسلم[223]، ولا البلاذري[224]، ولا اليعقوبي[225]، ولا المسعودي[226]، بينما ذكر بعض أجزاء الطريق كل من الإمام البخاري، ففي الصحيح من حديث سويد بن النعمان ﷺ «أنه خرج مع رسول الله ﷺ عام خيبر حتى إذا كانوا بالصهباء - وهي أدنى خيبر- فصلى العصر ثم دعا بالأزواد فلم يؤت إلا بالسويق، فأمر به فثري فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ»[227]، أما الحربي والذي نقل عنه البكري وأضاف بعض الزيادات على روايته فقد ذكر الطريق الذي يصل المدينة بخيبر دون أن يحدد أنه الطريق الذي سلكه النبي ﷺ في غزوة خيبر، فقال: «تخرج من المدينة على الغابة العليا[228] ثم تسلك الغابة السفلى[229]، ثم تسلك واديا يقال له رجب[230]، ثم ترق في نقب يردوج[231]، وفيه مسجد لرسول الله ﷺ، ثم تسلك واديا يقال له الدومة[232] وبه آبار، ثم الأشمذ جبل، ثم الشقة[233] وهي حرة، ثم نمار[234] وهي من خيبر على ستة أميال، وأول حد خيبر الدومة[235] ثم

214السابق: ص38-43.

215 وادي الرجيع: من أودية خيبر، عسكر فيه النبي ﷺ في غزوة خيبر، ليحول بين اليهود وبين غطفان أن يمدوا أهل خيبر ، وكان يروح لقتال خيبر منه، وخلف الثقل بالرجيع والنساء والجرحى. ياقوت: **معجم البلدان**، 93/3. الرجيع: وادي شمال خيبر بين الحرضة وجبل ذي الرقيبة سيله يدفع غربا محاذيا لأبي وشيع من الشمال، نزله النبي ﷺ قبل غزوة خيبر، ثم انطلق منه فاتحا للحصون. عبدالله سكات: **خيبر**، ص37.

216 ابن هشام: **السيرة**، 280/3-281.

217 **جوامع السير**: ص212.

218 **الدرر في اختصار المغازي والسير**: ص210.

219 **البداية والنهاية**: 183/4.

220 **الرحيق المختوم**: ص335.

221 **الطبقات الكبرى**: 100/2.

222 **تاريخ خليفة**: ص82.

223 **الصحيح**: باب غزوة خيبر، ص513-514.

224 **فتوح البلدان**: ص33.

225 **تاريخ اليعقوبي**: 374/1.

226 **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: 227/2.

227 **الصحيح**: باب غزوة خيبر، الحديث4195، ص506.

228 الغابة العليا: هي جانب الغابة الموالي للمدينة غربي جبل أحد. الأنصاري: **آثار المدينة المنورة**، ص180.

229 الغابة السفلى: هو الجانب الموالي للشمال من الغابة. االسابق، ص180. وتقع جنوب جبال البيضاء. عبدالله سكات: **خيبر**، ص247.

230 وادي رجب: ذكره الحربي فقط ولم يذكره البكري. انظر: **المناسك**: ص539. وفيما يظهر أن وادي رجب هو ذلك الوادي الذي يأتي من سد معاوية ﷺ وجبال البيضاء "الخزن الاستراتيجي" ويدفع سيله في وادي الحمض، على مسافة خمسين كيلا شمال غرب المدينة. عبدالله سكات: السابق، ص247.

231 يردوج: هكذا أورده الحربي، وأورده البكري بالحاء، وقال محقق الكتاب: كذا في الأصول، ولم أجد هذا الاسم في كتب البلدان، ولا معاجم اللغة. هامش **معجم ما ستعجم**: 521/2.

232 وادي الدومة: ربما هو تصحيف لوادي التمة، وهو وادي عند ملتقى وادي اللحن بوادي الحمض، على مسافة خمسة وستين كيلا شمال المدينة تقريبا. عبدالله سكات: السابق، ص248.

233 حرة الشقة: هي الجزء الغربي من حرة النار، تقع غرب وادي الغرس، وتسمى حرة الكورة. السابق: ص97.

234 نمار: تصحيف ثبار: وفيها قَتَل عبدالله بن أنيس ﷺ أسير بن رزام اليهودي، وإليها تنسب قرقرة ثبار. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 298/1.

235 الدومة: يقصد به وادي الدوم، وسمي بذلك لكثرة أشجار الدوم فيه، ويقع شمال قرية الثمد بينها وبين خيبر، ويدفع سيله في وادي الغرس. عبدالله سكات: السابق، ص248.



تصير إلى خيبر وحصونها، وسوق خيبر اليوم المرطة[236]، والمتأمل لما ذكره الحربي ونقله البكري أن الطريق الذي أورداه يتمثل في الطريق الذي يسير في وادي إضم "الحمض" متجها إلى خيبر، فهذا الطريق هو المشهور والذي يعرفه من يريد الاتجاه من المدينة إلى خيبر، وهو طريق الحاج والتجارة فلو سلكه النبي ﷺ لما احتاج إلى دليلين في طريقه، ولو أراد أن يتخذ من يدله على الطريق لاتخذ من قبيلة جهينة فهي التي تسكن تلك المنطقة وتعرف مسالكها، أو اتخذ من خزاعة كما حدث في غزوة تبوك حينما اتخذ النبي ﷺ علقمة بن الفغواء الخزاعي[237] دليلا له[238]، كما أن الطريق يتجه من بعد إشمذ قاطعا قرية الصلصلة[239] ومتجها في الجزء الغربي من حرة خيبر أو الشقة وهي ما يعرف باسم حرّة الكورة[240]، ثم يتجه غرب الثمد[241] مرورا بزبران[242] والذي يضم كل من قريتي الخريبة والعاند، حتى يأتي منطقة ثبار والتي عبّر عنها بنمار، وذلك يعني أن هذا الطريق لن يمر بالصهباء ووادي السرير وجبله ووادي خاص أو حياض، وهذه من المعالم التي أوردتها الروايات التي ذكرت معالم الطريق أو جزء منه، كما أن قوله وادي الدومة فيما يظهر يقصد به وادي ألتمة كما ذكرت سابقا، أما وادي الدوم أو الدومة فهو أول حدود خيبر فقد ذكره البعض بالدومة، فهذا الطريق يستبعد أن يسلكه الجيش لأنه معروف وتُبث فيه العيون والجواسيس، وهو بعيد عن ديار أشجع الذي اتخذ النبي ﷺ دليلاه منهم، كما أنه لا يمر بالصهباء وجبل ووادي السرير إذ يبعد عنها أكثر من 20 كيلا، كما أنه وعر التضاريس والتي تجعل من مسير الجيش فيها من الصعوبة بمكان، وبعد هذا الاستعراض سأتحدث عن عصر وما جاء به من آثار وروايات فعصر الوادي ذكره ياقوت الحموي حينما أورد ذكر روضة الأجداد والتي سيأتي الحديث عنها خلال الحديث في تسلسل الأمكنة، وذكر ياقوت أن عصر واديا صراحة بدون أي شك، والعجيب أنه في تعريف عصر الوارد عنده في نفس الكتاب لم يذكر أنه وادي بل قال: عِصْرٌ: (بكسر أوله، وسكون ثانيه، ورواه بعضهم بالتحريك، والأول أشهر وأكثر، وكل حصن يتحصن به يقال له عصر: وهو جبل بين المدينة ووادي الفرع، قال ابن إسحاق في غزاة خيبر: كان رسول الله، ﷺ، حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر وله فيها مسجد ثم على الصّهباء، ورواه نصر ووافقه فيه الحازمي بالفتح، وما أظنهما أتقناه، والصواب بالكسر)[243]، فهنا يذكر أن عصر جبل بين المدينة ووادي الفرع وإن وجد جبل بهذا الاسم فهو حتما غير عصر الوارد في غزوة خيبر لأن خيبر شمال المدينة النبوية ووادي الفرع جنوبها، وفيما يظهر أنه يقصد بروضة الأجداد حاليا منطقة من الخبراء والسليم إلى الصلصلة[244] وهي في بلاد أشجع من غطفان وتقع ضمن أراضيها، حتى وادي القصيبة وعصر فهما من أودية بلاد أشجع، وتقع جنوب الصلصلة التي تقع على بعد مائة وعشرة كيلا شمال المدينة، أما قوله: أنها قريبة من وادي القصيبة فهي ليست بذلك القرب الذي يُفهم منه الملاصقة، بل هي عن سد القصيبة وواديها على مسافة تسعة وثلاثين كيلا تقريبا، لكنها قريبة من وادي الغرس إذ تقع جنوبه، ويقع عليه سد القصيبة وربما ذكر

236 **المناسك وطرق الحج ومعالم الجزيرة**: ص539. وأنظر: **معجم ما استعجم**: 521/2.

237 علقمة بن الفغواء الخزاعي رضي الله عنه: دليل النبي ﷺ في غزوة تبوك، كان يسكن باب شرحبيل وهو بين ذي خشب والمدينة، وكان يأتي المدينة كثيرا. ابن عبدالبر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**،1088/3.

238 الواقدي: **المغازي**،999/2.

239 الصلصلة: أرض زراعية لبني رشيد، وهي قرية أصبحت محطة على الطريق ما بين المدينة وخيبر، تبعد عن المدينة مائة وعشرين كيلا، واديها الرئيس صُريع الذي يذهب شرقا فيدفع في وادي الغرس. البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 1003/5. قلت: الصلصلة قرية عامرة أميرها ابن هون وهي للذيبة من بني رشيد. عبدالله سكات: **خيبر**، ص97.

240 حرة الكورة: حرّة لبني رشيد، وهي القسم الجنوبي الغربي لحرة خيبر، يحدها من الشمال والشرق وادي الغرس، ومن الجنوب وادي صُريع، ومن الغرب جبال وادي الطبق وجبلي إشمذ. البلادي: السابق، 445/2.

241 الثمد: بلفظ الماء القليل في الأرض، هجرة لأمير قبيلة بني رشيد ابن سمرة، وهو وادي من اجزع وادي الغرس، يطل عليه من الشمال جبل السرير. السابق: 312/2.

242 زبران: قرية من قرى خيبر تضم الخريبة والعاند، وهي لبني رشيد، تقع في أسفل وادي الغرس، ويشرف عليها من الشمال الشرقي جبل عطوة. السابق:745/4. وهي قرية لفخذ العراعرة من بني رشيد. عبدالله سكات: السابق، ص249.

243 البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 128/4.

244 الخبراء والسليم: أرض فسيحة تتجمع فيها مياه الأمطار تُرى من الشفيه على بعد عشرة كلم تقريبا من الصلصلة، تقع غرب العقيلة، وتدفع مياهها في وادي الغرس، وفيما يظهر لي أنها روضة الأجداد المذكورة في كتب البلدان، أما ما قاله الجاسر في كتابه في **شمال غرب الجزيرة**، ص538، كما قال في هامش **كتاب الأماكن للحازمي**: أن روضة الأجداد هي الروضة التي يسكنها الشوالعة من بني رشيد بالقرب من جبل أثقب أو ما يسمى بروض ابن هادي الذي يسكنه القلادان من بني رشيد. 51/1. هذا اجتهاد خالف الصواب فالروضة وروض ابن هادي يقعان شرق خيبر وليس في قبليها، كما أن تشابه الأسماء لا يعني أن تكون تلك الأماكن هي التي ذكرتها المصادر بالضرورة. عبدالله سكات: **خيبر**، ص282-2283.





الراوي مجازا أن وادي الغرس هو وادي القصيبة، أو ربما كان وادي الغرس يسمى بوادي القصيبة لذلك قال أنها تقع بقربه، وكذلك هي قرية من وادي اللحن وروافده إذ لا تتجاوز المسافة بينهم السبعة كيلومترات، وتقع شرق وادي اللحن والذي قال عنه البعض أنه عصر، ومن هنا فإذا كان عصر يطلق على وادي اللحن والذي يمتد من جبال إشمذ شمالا حتى وادي التمة جنوبا فإنه يمكن القول أن الجيش إما قد سار تاركا وادي الفرشة يساره متجها ما بين جبال الدارة والشعبية حتى أتي على أعالي وادي العين وبئر الشدادي ثم يتجه شمالا باتجاه وادي أذيخر مرورا بجبل طواله وقرية أم هشيم، حتى يعانق وادي اللحن في مصب وادي أذيخر أسفل العين الشهباء ثم يسير مع وادي اللحن، وفي هذه الحالة إذ تجاوزنا المنطقة العسرة التي فيما بين جبال الدارة والشعيبة إلى أعالي وادي العين فإن الطريق مسافته مقاربة للطريق الذي يصل بالجيش إلى ذات النقطة من جبل عصر، وفيما يظهر أن هذا الطريق صعب السلوك لوجود عقبات جبلية من بدايته من بين جبال الدارة وجبال الشعبية حتى الوصول إلى وادي العين، كما أن يتجه غربا في مسافة مقاربة للمسافة التي يقطعها الجيش من أول الفرشة إلى ملتقى وادي اللحن المطّرد، ومن خلال ما سبق يظهر أن الطريق الذي سلكه الجيش هو طريق الفرشة وصولا إلى بطن وادي عصر على مسافة 83 كيلا شمال المدينة النبوية، مع عدم وجود تعارض في المسميات فربما أطلق على الجبل المعترض من الشرق إلى الغرب الكبير في تلك المنطقة اسم عصر اشتقاقا من الوادي لوقوعه على ضفته الشرقية[245]، فوادي عصر سلكه النبي ﷺ مارا بما يعرف باسم السحبلة والسحيبلة وهما على بعد ثمانية وثمانين كيلا وهما من الشعاب التي تعد من روافد عصر الوادي ويأتي سيلهما من الجبال التي تقع جنوب شرق وشرقي وادي اللحن، وفي السحيبلة أربعة آبار تعد من الماورد القديمة في المنطقة، ومن روافد وادي اللحن الحُمْرَة أو حمراء فتيخ، وهي منطقة فسيحة على مصب وادي الحمرة وفيها مورد مائي قديم يسمى فتيخ، وفيما يظهر أنه سمي بذلك لأن فم البئر كأنها خاتم والخاتم يسمى فتخة وصغّرت إلى فتيخ، ثم أودية صغيرة مثل: المليحا فيها بئر على بعد تسعة وثمانين كيلا، ثم يسير الطريق عبر وادي اللحن بشكل متعرّج بين الجبال، ويلاحظ أنه لا يوجد طريق آخر يمكن أن يسلكه الجيش سوى وادي اللحن، ومن روافد وادي اللحن، ومن روافد وادي اللحن

245 السابق: ص282-283.

الغمسان مفردها غميس وهي التي فيما يظهر ذكرها البكري في معجمه فقال: (الغميس بفتح أوّله، وكسر ثانيه، بعده ياء وسين مهملة: موضع بديار بنى قيس بن ثعلبة، بقرب من الريف، قال الأعشى:

حلّ أهلي بطن الغميس فبادو لي وحلّت علويّة بالسّخال

ترتعى السّفح فالكثيب فذا قار فروض القطا فذات الرّئال

بادولي: ببطن فليج، بين البصرة والكوفة. وروى أبو عبيدة: فبادقلي والسّخال: بالعالية، «وروض القطا» وذات الرئال: موضعان هناك أيضا)[246]، ويقول عن هذه الأبيات عاتق البلادي: (علوية من أهل العالية في أطراف الحجاز مما يلي نجد، ويظهر أن شعر الأعشى ليس بالغميس الذي في وادي ملل بل في غميس آخر لأنه ليس قريبا من ديار قومه)[247]، وربما قصد الأعشى بالغميس تلك الوديان التي تقع في شرق وادي اللحن والتي يجتمع سيلها ويدفع في وادي اللحن، ثم يأتي شعيب أم هشيم وهو وادي يأتي من الشرق ويصب في وادي اللحن بالقرب من مصب وادي أذيخر، وهناك من الروافد الشهيرة شعيب العفيراء وهو على بعد واحد وتسعين كيلا، وهو شعيب يدفع سيله من الغرب في وادي اللحن، ويشرف على جبال فيها لون بين الأحمر والأبيض والذي يطلق عليه عند أهل المنطقة الأعفر ولذلك سميت بذلك لأن جبالها كأنها معفرة بالرمل، وفيها بقايا منازل هجرها أهلها وهي بنايات حديثة بأدوات بناء حديثة، وعلى مسافة ثمان وتسعين كيلا شمال المدينة نجد العين الشهباء والملاح وهو وادٍ يأتي من الغرب ويصب في وادي اللحن، ثم قُرى اللحن وأولها الملّاح وهي على مسافة مائة كيلا من المدينة، ثم المشاش وهي بئر قديمة ماؤها مالح لكنها تعتبر من موارد المياه القديمة في المنطقة على مسافة مائة كيلومتر تقريبا، وبعدها تأتي عدة شعاب من جبال الرايات، وكذلك شعيب عُظَيم (تصغير عظم) وهو شعيب فيه آثار لمزارع وآبار قديمة يأتي سيله من الغرب ويدفع في وادي اللحن، ومن روافد وادي اللحن (مذبح السنين) وهو وادي يأتي من الغرب ويمتد إلى أعالي جبال الفقرة والبيداء ويصب في وادي اللحن أسفل جبال صغيرة وشعاب متفرقة قبل الوصول لقرية اللحن والتي يقسمها طريق الشام إلى قسمين، ومن روافد وادي اللحن التليعة (تصغير تلعة) وفيها شعيبان الأول يأتي سيله من الجنوب ويدفع في صدر وادي اللحن

246 معجم ما استعجم: 1005/3.

247 معجم معالم الحجاز: 1270/6.





والأخر عبارة عن شعيبين فيهما قرية وسكان يأتيان من الجنوب والجنوب الغربي ويدفعان في صدر وادي اللحن، ثم يأتي وادي أبو عباة وسمي بذلك نسمة إلى بئر (مورد) مائي قديم يعرف بهذا الاسم وتأتي مياهه من الغرب من جبال وشعاب متفرقة حتى يدفع سيله في وادي اللحن بالقرب من قرية قديمة، ومن روافد وادي اللحن شعاب الفقرة وكذلك عين ضعينة ورأس وادي اللحن في هذا الشق هو دمعان أعلى وادي اللحن جنوب إشمذ، أما روافد وادي اللحن من جنوب شرق وشرقي إشمذ فهي سيوح إشمذ الجنوبية، وكذلك شعاب الفقرة الشرقية، والدعوبة (جمع دعب) وفيما يظهر أن البادية سموا تلك الشعاب بالدعوبة نظرا لأن رؤوسها ومنشأها من الفقرة وهي حرّة سوداء بل شديدة السواد وتنحدر منها هذه الشعاب بسرعة وقوة خلال نزول المطر، فقد ورد عند ابن منظور أن الليلة الدعوب شديدة الظلمة وسميت بذلك لسوادها[248]، ومن روافده أبو سييلة (تصغير سيالة نوع من الشجر هناك يعرف باسم السيال) الذي يدفع سيله في وادي المهباطة القادم من الشمال والذي يدفع به دعب السرحات (جمع سرحة) وهي شجرة، ودعب العقيلة نسبة لقرية العقيلة وكذلك شعاب تأتي من شرق وادي المهباطة حتى التقاءه مع وادي اللحن شمال جبل الفانوس[249]، فالجيش سار شمالا تاركا وادي اللحن على يساره عند ملتقى وادي اللحن بوادي المهباطة[250] مرورا بالجهة الشرقية من جبل إشمذ[251]، وعن وادي اللحن يقول فلبي: ثم أتينا على قناة وادي اللحن الكبرى حيث صعدنا باتجاه الشمال الشرقي، وهذا الوادي الذي يبدأ في منطقة حرّة خيبر (الحقيقة ليس لوادي اللحن علاقة بحرّة خيبر إطلاقا) ويستطرد التي تتكون من الحمم البركانية، ويتصل به في مسار وادي شداد وبعض قنوات الصرف الصغرى، يصل في النهاية إلى الفرشة في طريقه إلى المليليح في وادي الحمض، إن وادي اللحن الذي مشينا فيه طوال ما تبقى من اليوم حوالي اثني عشر ميلا (قرابة 20 كيلا) هو من أكثر الأودية التي رأيتها في الجزيرة العربية وعورة، حيث تبلغ سعته حوالي ألف ياردة عند نقطة دخولنا فيه، ويضيق إلى نصف هذا الاتساع في مناطق

248**لسان العرب**: 367/1.

249انظر: عبدالله سكات: **خيبر**، 287-288.

250 المهباطة: سمي نتيجة لسلوك الهبط وهم الذاهبون إلى المدينة من تلك القرى ذلك الطريق، وردت عند الدكتور تنيضب الفايدي باسم المهايطة وهذا خطأ مطبعي، السابق: ص287.

251 السابق: ص287.

متفرقة منه، ثم يتسع بعد ذلك لما يزيد عن الميل، ويحده على الجانبين سلاسل من جبال البازلت على قواعد الريولايت مع أغطية متقطعة من الحمم البركانية، يتراوح سمكها بين عشرة إلى عشرين قدما، إنه ليس خاليا تماما من الشجيرات أو النباتات الأخرى، بيد أن كل شيء بدا يمتا أو إلى زوال، وكان من الواضح أن المنطقة لم تتعرض لأي أمطار أو سيول من فترة طويلة، وكان السير صعبا على كتل العشب الميتة، وأشد صعوبة في الرمال الخشنة الثقيلة بقناة الوادي، إن قمم جبل شيمذ (إشمذ) الحمراء العظيمة التي لاحظتها لأول مرّة منذ مسافة بعيدة في وادي الفرشة كانت ولا تزال بعيدة جدا عندما كنا ننظر إليها أمامنا، وكنا لا نزال نستطيع رؤية جبل البيضاء خلفنا، وقد استدار الوادي فجأة نحو الشمال على طول جبال الراعيات (الرايات) المنخفض والمسطح على الرغم أنه لا تبدو له نهاية، ثم خيمنا على ضفة وادي اللحن والذي كما يبدو أنه كان في وقت ما من الماضي مشهدا لتطور زراعي مهم، فكانت ضفتي الوادي وحوضه مبطنة بعناية بجدران حجرية في النقطة التي يلتقي فيها برافد نشط يسمى شعيب نمران من الجبال المجاورة في ما يشبه الدلتا الواسعة، ولكنها مبنية بناء حسنا، وكان من الواضح من تناثر المنطقة الزراعية الرئيسة على الضفة اليسرى بقايا منازل قديمة، وفي الأرض المنبسطة حفرة فيما يبدو انها خزان مياه، ولا يزيد قطره عن اثني عشر قدما تقريبا، ولم نسير حوالي ميل حتى لا حظت صقرا جاثما على قمة جبل صخري على حافة وادي اللحن عند مصب رافد صغير يدعى شعيب أبو إباه (أبو عباة) وهو شعيب يأتي من الجهة الجنوبية الغربية تحفه فقرة البيداء من الشرق وفيه مورد مائي قديم أخذ الشعيب اسمه منه، ثم وصلنا رأس وادي اللحن (دمعان) والذي يبلغ طوله بالكامل قبل التقائه بوادي الشدادي حوالي عشرين ميلا، ثم سرنا لنصل إلى حافة حرّة خيبر والتي كنت منها استطيع رؤية سلسلة الجبال العالية وقمة الجبل الأبيض (الرأس الأبيض)[252]، وادي اللحن يمتد بما يقارب 30 كيلا، وسكانه العراعرة من قبيلة بني رشيد[253]، وقال البلادي: اللحن وادي ضخم أعلى ألتمة يأخذ طريق المدينة إلى الشام[254]، وخلاصة القول أن وادي اللحن الذي يمتد من دمعان وجبال إشمذ والشفية شمالا إلى وادي ألتمة وصولا إلى وادي الحمض والذي يمتد إلى ما يزيد عن 35

252**أرض مدين**: ص43-46.

253تنيضب الفايدي: **خيبر الغزوة المحافظة السياحة**، ص226.

254**معجم معالم الحجاز**: 1465/7.



كـيلا ويأخـذ مسـاره المتعـرج بـين الجبـال وتختلـف قياسـات عرضـه بحسب قرب وبعد الجبال من أطرافه هو أطول طريق سار معه الجيش المتجه إلى خيـبر، ووادي اللحن يتميز باختـلاف النباتـات فيـه فتجـد السـمر والسـيال والأراك والـدوم والسـلم والسرـح كأشـجار كبيرة معمرة، وكذلك الكتاد والوهط والعوسج والعشر والمرخ ولكن بشكل أقل، وفيه عدة موارد مائية قديمة لوقوعه على أحد فروع طريق البخور والتجارة التي تمر بخيبر والعلا وتيماء وصولا إلى بلاد الشام والعراق، ومن الروايات التي أشارت إلى عصر وما يليها وفقا لما تقتضيه المشاهدات على أرض الواقع فقد جاء عند الواقدي: (خَرَجَ عَلَى عَصْرٍ وَبِهِ مَسْجِدٌ، ثُمّ عَلَى الصّهْبَاءِ)[255].

الفصل الرابع

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

روضة الأجداد – وادي الغرس - الصهباء

روضة الأجداد:

حينما ينتهي رأس وادي اللحن (عصر) في الشفية[256] تصبح تلك المنطقة حدا فاصلا بين الأودية التي يفيض سيلها الجنوبي جنوبا إلى عصر والجزء الشمالي يفيض شمالا مع وادي الغرس، وبذلك تنحـدر الأرض مـن هـذه الأجـزاء نحـو الشـمال، وبدايتها مـا يعـرف بروضة الأجداد على مسافة 108 كيلا، وفيها فقيرة ضبوعة "تصغير فِقْرة"، وهي عـلى مسـافة 109 كـيلا، وصـولا إلى الصلصـلة وهـي للذيبة من بني رشيد، وهي على مسافة 115كيلا شمال المدينة، وفيها بئر قديمة وهي مورد مائي عذب، وربما منها جاء تسمية المنطقة الممتدة من السليم والخبراء إلى الصلصلة اسم روضة الأجداد، كما أن فيها ما يعرف عند العامة بحسيّة الرسول ﷺ (جمع حسو) وهو مأخوذ مـن: (حسا: حَسَا الطـائرُ المـاءَ يَحْسُـو حَسْـواً: وَهُـوَ كالشُّرْب للإنسان، والحُسْوَةُ كُلُّهُ: الشَّيْءُ القَلِيلُ مِنْهُ، والحُسْوةُ: مِلْءُ الفَمِ. وَيُقَالُ: اتَّخِذُوا لَنَا حَسِيَّةً)[257]، ومنه اتخذت كلمة الحسيّة عند العامة لأنها تعني تجمّع الماء القليل، وتقع شمال غرب ضليع منشر وهو جبل على يمين الذاهب إلى خيبر بجوار مجمع مدارس البنات في الصلصلة متفردا ناشزا وحيدا، ومن أودية الصلصلة الشهيرة وأحد أكبر روافد وادي الغرس وادي صريع الذي يقع في وسط الصلصلة وهو واديها الرئيس وهو من الصرع يأتي من الغرب بين حرّة الكورة شماله وإشمذان جنوبه[258]، وتخطى الجيش هذه المنطقة بأوديتها وشعابها تاركا وادي الغرس على يمينه عابرا معبر بين جبلين يعرف عند العامة باسم "مقسّم البل" أي الإبل وهو على مسافة مائة وثمانيـة عشرـ كـيلا شـمال المدينـة، وفي قريـة الدحيلـة يعـبر وادي الدحيلة الذي تقع في وسطه قرية الدحيلة للذيبة من بني رشيد، والتي يمر شرقها وادي الغرس وهي قرية زراعية، طبعا كل تلك المنطقة لم ترد فيها رواية توضح أماكن سير الجيش لكنها ممرات حتمية لمن يسلك تلك المناطق، ويلاحظ أن تلك المناطق عبارة عن صـحراء شـبه خاليـة مـن النباتـات والأشـجار ماعـدا وادي صـريع والصلصـلة ووادي الدحيلـة ففيهمـا أنواعـا مختلفـة مـن الأشـجار وخاصة السيال والسمر، ذكره ياقوت الحموي عند حديثه عن روضة الأجداد إذ قال: (رَوْضَةُ الأَجْداد: ببلاد غطفان، وهي جمع جدّ، وهي البئر الجيدة الموضع من الكلإ، قال ابن الأعرابي: الأجداد حدائق تكون فيها المياه أو آبار ممّا حوت عاد، قال مرداس ابن حشيش التغلبي:

إن الدّيار بروضة الأجداد ... عفّت سوار رسمها وغواد

من كلّ سارية وغاد مدجن ... حنق البوارق مونق الرّوّاد

وقال لي الصاحب الوزير الأكرم: أنا رأيتها وهي قريبة من وادي القصيبة قبلي عرض خيبر وشرقي وادي عصر، قال الهيثم بن عدي: خرج عروة الصعاليك العبسي وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها فعشّروا وهو أنّهم يرون أنّهم إذا خافوا وباء مدينة وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشّروا كما تعشّر الحمير، والتعشير: نهاق الحمير فيرون أنه يصرف عنهم وباءها، قال: فعشروا خوفا من وباء خيبر وأبى عروة أن يعشر، فقال:

وقالوا أحب وانهق لا تضرّك خيبر وذلك من دين اليهود ولوع

لعمري لئن عشّرت من خشية الرّدى

نهاق الحمير إنّني لجزوع

فلا وألت تلك النّفوس ولا أتت

على روضة الأجداد وهي جميع

---

255 **المغازي**: 116/2.

256 الشفيّة: ثنية تطلعك على وادي اللحن إلى الصلصلة، من محافظة خيبر، ما سال منها شمالا إلى وادي الغرس، وما سال منها جنوبا إلى وادي اللحن ثم يذهب إلى وادي الحمض. تنيضب الفادي: **خيبر**، ص216.

257 ابن منظور: **لسان العرب**، 176/14.

258 عاتق البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 985/5.

فكيف وقد ذكّيت واشتدّ جانبي
سليمى وعندي سامع ومطيع

لسان وسيف صارم وحفيظة
ورأي لآراء الرّجال صروع

تخوّفني ريب المنون وقد مضى
لنا سلف قيس معا وربيع

قال: فدخلوا وامتازوا ورجعوا، فلمّا بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلّا عروة[259]، فهنا يحدد ياقوت أن روضة الأجداد عرض قبلي خيبر أي جنوبه، وشرقي وادي عصر أي وادي اللحن، ويقول ان الروضة قريبة من وادي القصيبة ووادي القصيبة فروضة الأجداد هي الخبراء والسليم والصلصلة، لأن الأجداد هي البئر الجيدة الموضع من الكلأ[260] وهذا ينطبق على الصلصلة وما يقع حولها من مناطق خصبة، فيما يظهر أنه وادي الغرس إذ يسير في الحرة بعد تجاوزه لمنطقة بير ابن معتز في مجرى ضيق يشبه القصبة حتى يصل إلى الثمد متجاوزا سد الصهباء، أو ما كان يسمى بسد القصيبة أو (سد البنت) عند العامة، وروضة الأجداد هي المنطقة الممتدة في الخبراء والسليم التي يسكنها الذيبة من بني رشيد والتي تقع شرقي جبل شمذ والشفية وغربي العقيلة وجنوب وادي الغرس والصلصلة، وورد في خلاصة الوفاء أن (روضة الأجداد قرية ببلاد غطفان من أودية القصيبة قبلي خيبر وشرقي عصيرة)[261]، وهنا نجده يذكر عصر بعصيرة وهذا فيما يظهر تصحيف من النساخ، أما ما ذكره الجاسر[262] وتابعه تنيضب الفايدي من أنها الروضة التي يسكنها الشوالعة من بني رشيد أو أنها روض ابن هادي الذي يسكنه القلادان من بني رشيد فهذا خطأ فما ذكره يقع شرق خيبر وعلى مسافة بعيدة فلو حدد موقعها لحددت حسب قربها أو بعدها عن فدك لأنها أقرب إليه، وتشابه الأسماء وارد لكن روضة الأجداد التي وردت في الروايات هنا تقع جنوب خيبر[263].

وادي الغرس:

جاء ذكر وادي الغرس في المصادر القديمة فقيل: هو وادٍ ووادي بين معدن النقرة وفدك[264]، وكان الجيش المسلم المتجه إلى خيبر بقيادة رسول الله ﷺ قد سار مع وادي الغرس من قرية الصلصلة تقريبا بمعنى أنه سار معه حتى وصل إلى خيبر قرابة الخمسين كيلا حتى وصل الصهباء، ووادي الغرس الذي تحفه الحرة من اليمين واليسار، ويسير بشكل متعرّج وفق تضاريس الحرة بالقرب من الدحيلة وجبل عبال[265]، وفي منتصفه يقع سد القصيبة، والتي يسميه أهل المنطقة "سد البنت"، ولا يعلم أحدا مما التقيت بهم سبب التسمية أو متى أطلقت على السد، وهو فيما يظهر أنه سد الصهباء المذكور في الصحيح، وهو سد كبير يعاني من الإهمال وتحطم في جزئيته الشرقية لكن بقية المبنى صامدا يدل على حضارة وريادة في الهندسة، وهناك احتمالين لمسير الجيش في تلك المنطقة: لأن السد جاهلي وهذا الذي يظهر لأن بنايته ومنطقة نحت الصخور وطريقة البناء تدل على قدمه، وذكره في الصحيح دليل قوي على وجوده إذ ورد: «حتى بلغنا سد الصهباء»[266]، فهو يمثل حضارة فيما يظهر أنها امتدت من شمال المدينة إلى تلك المنطقة، وقد بنيت هذا الرأي على قناة المياه التي وجدتها في أعالي وادي النقمي والتي تشبه في بنائها إلى حد كبير جدا بناء سد القصيبة، فربما كان عبور الجيش عبر القصيبة التي تأتي من الحرة من جهة الغرب تاركة السد على اليمين، ثم يسلك الجيش بعدها منطقة وعرة نوعا ماء لا تزيد مسافتها عن الثلاثمائة متر جهة الشمال ثم يعودون شرقا عبر شعب صغير جهة وادي الغرس بعد السد، وإن كان الهدم الذي في جهة السد الشرقية قديما فعبورهم يكون عبر الوادي دون معاناة حتى وصولهم إلى ملتقى وادي الغرس بوادي السليم القادم من جهة الشرق عند ما يعرف باسم قرية البحرة أو الثمد مرورا بما يعرف بالرحبة[267] ووصولا إلى وادي السرير وجبله وهي المنطقة التي تمثل الجزء الشمالي مما يعرف بالصهباء على مسافة مائة وستة وخمسون كيلا تقريبا، ومن هنا يمكن أن نقول أن النبي ﷺ قد سلك وادي الغرس مرتين، الأولى في طريق ذهابه لفتح خيبر، والثانية في طريقه لفتح وادي القرى بعد فراغه من خيبر، ووادي الغرس من أودية الجزيرة العربية المعروفة إذ يمتد مسافة طويلة تمتد عبر تضاريس مختلفة ويأخذ مياهه من أعالي الحرّة من شرق العقيلة في قرية المطاوي والخيال ثم يتجه غربا مرورا بالعقيلة ثم

259 معجم البلدان: 3/84-85. السمهودي: وفاء الوفاء، 4/94.
260 الفيروزبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، ص162.
261 السمهودي: السابق، 2/625.
262 في شمال غرب الجزيرة: ص538. خيبر: ص249.
263 عبدالله سكات: خيبر، ص282.
264 الحازمي: الأماكن ما اتفق لفظه وافترق مسماه، ص718. ياقوت: السابق، 4/193.

265 عبال: جبل أسود راكن على حافة وادي الغرس اليمنى وعنده غدير يعرف باسمه يقع على مسافة 140 كيلا شمال المدينة ويبعد عن الصلصلة قرابة 20 كيلا، وعن الدحيلة قرابة 5 كلم. انظر: صيفي الشلالي: **هذه خيبر**، ص51.
266 البخاري: الصحيح، باب من غزى بصبي للخدمة، الحديث2893، ص350.
267 الرحبة: قرية تقع بين الثمد والسرير يسكنها الفرادسة والذيبة من بني رشيد.





الصلصلة ثم الدحيلة ثم بئر بن معنز ثم يخترق الحرّة وصولا إلى قرية الثمد ثم يتجه شمالا ثم غربا جنوب جبل عطوة وشمال زبران حتى يصل إلى الطبق ويجتمع مع أودية خيبر ثم يتجه إلى وادي إضم ليكون رافدا من أكبر روافده، كما يأخذ مياهه الغربية من شمال جبل إشمذ ووادي صريع ووادي الدحيلة[268]، ووادي حلب ووادي قعيجة (متيعر) والقصيبة (متعر)[269]، وكل هذه الأودية التي تصب في وادي الغرس تجعل مياهه غزيرة وتفيض مدة طويلة، ووادي الغرس يبلغ طوله قرابة 60 كيلا قبل أن يلتقي بأودية خيبر في الطبق ثم تعانق تلك السيول مجتمعة وادي إضم، يقول فلبي عن وادي الغرس: أن الوادي ينحدر إلى منطقة الثمد من سلاسل جبال بعيدة في الجنوب الغربي (يقصد إشمذ) والجنوب الشرقي (يقصد جبال الخيال والطاوي وغيرها) ويواصل سيره نحو الشمال الغربي حتى غابة من أشجار السنط والدوم، والتي ينحني عندها الوادي إلى اليسار تجاه خط السكة الحديدية ووادي الحمض[270]، وقد وصف فلبي حواف الوادي الشرقية والشمالية بأنها وعرة التضاريس تغطيها اللافا مع وجود بعض الألسنة الطينية التي تساعد على المرور بين تلك الأكوام الصخرية[271]، ومن روافد وادي الغرس من الجهة الشرقية وادي السليم الذي يأتي من أعالي جبال الشواحط وأودية صغيرة تنحدر من الحرّة حتى يلتقي بوادي الغرس شمال سد الصهباء وشرق قصبة صفية رضي الله عنها، ومن روافد وادي الغرس وادي هدنة وهو وادي يقع بين خيبر والثمد جنوب خيبر وشمال غرب الثمد ويبعد عن خيبر قرابة 14 كيلا، وسيله يفضي إلى وادي خيبر (وربما قصد بوادي خيبر وادي الغرس لأن مياه هدنة تفيض في وادي الغرس)، ووادي هدنة يسمى وادي الدوم[272]، ومن روافد وادي الغرس وادي الحصيد والذي يدفع سيله في وسط الصهباء ثم يتجه غربا إلى وادي الغرس ومن الشواهد على مرور الجيش الإسلامي الذي يقوده النبي ﷺ لفتح خيبر هو نزول الجيش شمال وادي الحصيد في منطقة السرير جبلها وواديها، وهذا الوادي يقع شرق الثمد وفيه سد الحصيد الأثري[273]، ومن روافد وادي الغرس قرب الحصيد وادي الخرزة الذي يلتقي مع وادي الغرس قرب كبرى الثمد[274]، وسد الحصيد يحجز سيول الشعاب التي تعد أهم روافد وادي الحصيد القادمة من المستويات العليا من سلاسل جبال الحرّة[275]، ومن أبرز الأشجار التي تشاهد في وادي الغرس السمر والسيال والسلم والدوم وكثير من الشجيرات البرية الصغيرة مثل الإذخر والرمث والعشر.

الصهباء:

وفي الحديث ذِكْرُ الصَّهْباءِ وهو موضع على رَوْحةٍ من خَيْبَر»[276]، فالصهباء مصطلح يطلق على الأرض الحمراء الواقعة في حرة سوداء أو جبال سود، وتحيط بها الأودية والآكام التي تتميز باللون الأبيض الذي تخالطه الحمرة والسواد، والصهباء التي ذكرت كموضع لنزول النبي ﷺ في طريقه لفتح خيبر هي منطقة تتوفر بها تلك الصفات، فهي تقع في حرة خيبر التي تتميز بشدة سواد حجارتها، ويبرز فيها جبل السرير الذي يتميز باللون الأحمر، وتحيط به الأودية الممتدة من سد الصهباء "القصيبة" في جنوب بلدة الثمد إلى وادي السرير وخاص حول جبل السرير والتي تتميز ببياض أرضها ومخالطتها للونين الأحمر والأسود، فالمعنى والاشتقاق ينطبق عليها بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ومن المعالم التي تشترك فيها منطقة الصهباء مع وادي الغرس سد الصهباء مر بنا في روضة الأجداد أنها تقع قبلي خيبر وقبلي وادي القصيبة، والحقيقة أن معظم من كتب عن المواضع التاريخية في منطقة خيبر لم يحققوا في المواضع، بل نقلوا المعلومات دون تمحيص أو تدقيق، فلم أجد إشارة واضحة أو معلومة ثرية رغم أن القصيبة هي جزء من وادي الغرس الذي قال عنه ياقوت: (وادي الغرس: بين معدن النّقرة وفدك)[277].

الفصل الخامس

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية
وادي السرير – وخاص - ومرحب

وادي السُرير:

من الأودية التي ذكرت صراحة في طريق مسير الجيش الفاتح لخيبر بقيادة نبينا وحبينا محمد رسول الله ﷺ وادي السرير، فقد ورد

268 البلادي: معجم معالم الحجاز، 238/6. تنيضب الفايدي: خيبر، ص219.
269صيفي الشلالي: هذه خيبر، ص51.
270 أرض مدين: ص57.
271 السابق: 59.
272 تنيضب: **خيبر**، ص233.
273 السابق: ص239.
274 خيبر: ص214.
275 فلبي: أرض مدين، ص61.
276 مُحَّد بن مكرم: لسان العرب، 531/1.
277 معجم البلدان: 193/4.



عند ابن شبه خلال حديثه عن خيبر «أن النبي ﷺ نزل في وادي السرير الوادي الأدنى وبه الشق والنطاة»[278]، وقال البكري: «السرير من أودية خيبر، وهو من الجار على سبعة أميال»[279]، وفي قوله أنه من الجار على سبعة أميال خطأ من البكري إذ أن الجار «مدينة على ساحل بحر القلزم بينها وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيله نحو من عشر مراحل، وإلى ساحل الجحفة نحو ثلاث مراحل»[280]، وقد نقل ياقوت هذا الخبر عن البكري فقال: «والسرير أيضا موضع بقرب الجار، وهي فرضة أهل السفن الواردة من مصر والحبشة على المدينة والجار بينه وبين المدينة يوم وليلة»[281]، والحقيقة أن المعني هنا هو وادي الجر وربما حدث عند البكري تحريف من النسّاخ، وقد ورد اسم الجر فقيل: والجر: موضع بالحجاز في ديار أشجع، كانت فيه بينهم وبين بني سليم بن منصور وقعة قال الراعي:

ولم يسكنوها الجرّ حتى أظلّها سحاب من العوّا تثوب غيومها[282]

وبهذا يتضح أن المقصود الجر الوادي وليس الجار الفرضة أو الميناء كما ذكر سابقا، ومن خلال كتابة البكري عن خيبر أورد قولا بأن السرير وخلص هما من أودية خيبر واللذين قسمت عليها خيبر[283]، وخلص يقصد به خاص، ويؤكد ذلك قول ياقوت: «والسرير واد بخيبر، وبخيبر واديان أحدهما السرير والآخر خاص»[284]، وقال البلادي: «السرير موضع لازال معروفا بوادي الغرس، أما خاص فهو إما وادي الصوير أو أبي وشيع، وهما الواديان الرئيسان اليوم في خيبر»[285]، ومن خلال ما سبق يتضح أن وادي السُّرير من أودية خيبر الرئيسة والذي يمثل مع بقية الأودية مصدرا ثريا للمياه في خيبر سواء من ناحية كثرة عيونها أو أبارها، وعن وادي السرير قيل: وادٍ يقع شرق وادي الغرس بقرب سد الحصيد ويطلق على أعلاه شعيب السمينان، ويتجه من شرق حرّة النار تاركا الجبل المعروف الآن باسم السرير جنوبه، وهذا الجبل يطل على قاع واسع من الأرض يدعى قديما القرقرة ويعرف الآن باسم القعقران مطل عليه

278 ابن شبه: **أخبار المدينة النبوية**، 119/1.

279 **معجم ما استعجم**: 737/3.

280 ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 92/2.

281 السابق: 219/3.

282 السابق: 124/2. وانظر: الحازمي: **الأماكن**، ص209. القطيعي: **مراصد الاطلاع**، 325/1.

283 **معجم ما استعجم**: السابق، 524/2.

284 ياقوت الحموي: السابق، 219/3.

285 **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**: ص157.

من الناحية الجنوبية[286]، وقال محقق كتاب المغانم المطابة في معالم طابة: ولا يزال السرير معروفا من أشهر أودية خيبر[287]، ومن روافد وادي السرير الكبيرة وادي الجول الذي يقع في أعالي الديسة وينحدر من الرأس الأبيض حتى يصب في السرير[288]، ويقول السمهودي: أن السرير الوادي الأدنى بخيبر، وبه الشق والنطاة، نزل به النبي ﷺ أولا فشدّ أهله لقتاله فهزمهم الله[289]، والحقيقة أن ما أورده السمهودي بعيدا جدا عن الواقع، فالشق والنطاة شمالي خيبر ويقعان على وادي الحلحال، أما أقرب المناطق لوادي السرير وخاص هي المناطق الجنوبية والشرقية إذ تقع منطقة السرير وواديها شرقي خيبر على مسافة تتراوح بين 20-25 كيلا، ويمر وادي خاص جنوبي خيبر وهو المعروف اليوم بوادي السلمة، وفي وادي السرير وبالقرب من جبل السرير وهو جزء من منطقة الصهباء نزل النبي ﷺ عصرا، (قال سويد بن النعمان: أن رسول الله ﷺ لمّا وصل إلى الصّهباء وهي أدنى خيبر صلّى العصر، ثمّ دعا بالأزواد، فلم يؤت إلّا بالسويق، فأمر به فثرّي فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ثم صلى ولم يتوضأ)[290]، وجاء عند الواقدي إضافة لما ورد في الصحيح: (ثم صلى بالناس العشاء، ثم دعا بالأدلاء فجاء حسيل بن خارجة وعبد الله بن نعيم الأشجعي فقال رسول الله ﷺ لحسيل: يا حسيل: امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية حتى تأتي خيبر من بينها وبين الشام، فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان، فقال حسيل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله إن لها طرقا تؤتى منها كلها، فقال رسول الله ﷺ: «سمّها لي» وكان رسول الله ﷺ يحبّ الفأل الحسن والاسم الحسن، ويكره الطّيرة، والاسم القبيح، فقال: لها طريق يقال لها حزن، قال: (لا تسلكها)، وطريق يقال لها: شاش، قال: (لا تسلكها)، وطريق يقال لها حاطب، قال: (لا تسلكها)، قال عمر ابن الخطاب: ما رأيت كالليلة أسماء أقبح اسم لرسول الله، قال لها طريق واحدة لم يبق غيرها، فقال عمر: سمها، قال: اسمها مرحب، قال: رسول الله ﷺ: (نعم أسلكها)، قال عمر: ألا سميت

286 **حمد الجاسر**: في شمال غرب الجزيرة، ص**542**. انظر: **تنيضب الفايدي**: **خيبر**: ص223-224.

287 الفيروزبادي: **المغانم المطابة**، الهامش، ص177.

288 تنيضب: السابق، ص216.

289 **وفاء الوفاء**: 103/2.

290 البخاري: **الصحيح**، باب غزوة خيبر، الحديث 4195، ص506.

هذا الطريق أول مرّة[291]، وهذا دليل على استقرار رسول الله ﷺ في منطقة السرير وواديه في الصهباء، ثم سلوكه وادي مرحب وهو فيما يظهر وادي يقع في صدر واديي السرير وخاص ويمر شرق ثبار أو القرقرة (قعقران) حتى ينزل على منطقة الحرضة (الخرصة)، وفي حقيقة الأمر أن معظم من كتب عن خيبر قد اعتمد على كتاب "أرض مدين" لفلبي، أو كتاب "في شمال غرب الجزيرة" للجاسر، أو كتابات البلادي في "معجم معالم الحجاز"، أو كتاب "المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية"، وهي كتب ذات قيمة علمية، لكنها لا تخل من الأخطاء أو الاعتماد على الروايات الشعبية التي تسطر في غالبها من خيال القاص، فقد قال البلادي: «السرير موضعا لا يزال معروفا بوادي الغرس، ولعل السرير وخاص هما الصوير وأبو وشيع»[292]، والحقيقة أن وادي السرير يصب في وادي الغرس لكنه لا يقع عليه، فهو يقع في وسط الحرة يفصل بينه وبين وادي الغرس قرية الرحبة وجبل السرير، كما أنه يقع شمال غرب وادي وسد الحصيد وعلى مسافة تتجاوز الستة أكيال شمال وادي الغرس، أما قوله: أن وادي السرير هو وادي الصوير، ووادي خاص هو وادي أبي وشيع، فهو خطأ وخلط منه فالسرير يصب في وادي الغرس وليس له علاقة بخيبر، ثم نجده في كتاب آخر يقول: وادي السرير يصب في وادي الغرس، أما خاص فلا يُعْلم[293]، وهي أمور يجب تداركها وتصحيحها، ومعنى هذا أنه يمر عبر الحَرّة شرقي خيبر، وليس جنوب خيبر، ومن أبرز أشجار وادي السرير الدوم والسلم وقليل من الرمث كما توجد فيها آثار آبار أم قرن والريهجان والتي تعود ملكية الأراضي هنا لقبيلة بني رشيد.

وادي خاص - (خلص) - (حياض):

من أودية خيبر التي جاء في الروايات أن النبي ﷺ سار معه أو مر به خلال فتح خيبر وادي خاصٌ: قال ابن إسحاق: وكان واديا خيبر وادي السّرير ووادي خاص، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر، ووادي الكتيبة الذي خرج في خمس الله ورسوله وذوي القربى وغيرهم[294]، وذكره الواقدي باسم حِيَاض[295]، وذكره البكري باسم خلص بفتح أوّله وإسكان ثانيه، وبالصاد المهملة: واد من أودية خيبر، قال النّصيب:

وكانت إذ تحلّ أراك خلص إلى أجزاع بينة والرّغام[296]

وربما مع مرور الزمن وتقادم العهد تغير مسماه لكنه موجود جنوب شرق خيبر، وذكر ياقوت أن ابن إسحاق قال: (وادي الكتيبة الذي خرج في خمس الله ورسوله ﷺ وذوي القربى وغيرهم)[297]، وقيل أن خاص وادٍ في خيبر[298]، ورد عند السمهودي أن خاص من أودية خيبر من الأموال القصوى الوحيدة، وسلالم والكتيبة والوطيح[299]، وقال البلادي: أما خاص فلا يعلم[300]، ثم يأتي في موضع آخر ويقول: والكتيبة هي وادي خاص، وهو ما يعرف اليوم باسم "أبو وشيع" واد من واديين هما عمود أودية خيبر[301]، وهذا يدل على أن تحديد بعض المواقع ليس دقيقا فقد يتم تحديده بالتقريب، وفيما يظهر أن وادي خاص هو وادي السلمة الذي يمر شمال جبل عطوة وجنوب الكتيبة وقرية مكيدة، (أحد أودية خيبر الرئيسة الجنوبية يمر ببلدة الشُّرَيف وجبل عطوة يجتمع مع الصوير بمحل يسمى المُقيطع غرب الشُّرَيف، فيه قرية تسمى "سلالم" وهي حصن السلالم الشهير بخيبر، وجل الأودية ونخيلها اليوم لقبيلة عَنَزَة)[302]، وفيما يظهر أن الوادي سمي على اسم الحصن السلالم، و من قراه الفقرة والمشرقة ومكيدة[303]، فربما سمي نسبة إلى الحصن أو شجر السلم ومفردها السلمة[304]، وجاء عند السهيلي وذكر وادي خاص من أرض خيبرَ، وقال إنما هو وادي خَلْص باللّام والأول تصحيف[305]، وفيما يظهر أن خاص هو اسم الوادي أما خلص فهو وادٍ آخر جهة وادي الصفراء مر به النبي ﷺ في طريقه لغزوة بدر، وقد جاء عند السمهودي: (خَلْص: بالفتح وسكون اللام وصاد مهملة وادٍ فيه قرى، وعن حكيم بن حزام قال: لقد رأيت يوم بدر وقد وقع

291 **المغازي**: 2/117-118.

292 **المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية**: ص157.

293 **معجم معالم الحجاز**: 3/528.

294 ابن هشام: **السيرة**، 4/296. وانظر: ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 2/338.

295 **المغازي**: 2/119.

296 **معجم ما استعجم**: 2/507.

297 معجم البلدان: السابق، 2/338.

298 القطيعي: **مراصد الاطلاع**، ص446.

299 **وفاء الوفاء**: 2/74.

300 عاتق البلادي: السابق، 3/528.

301 عاتق البلادي: **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص157.

302 البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 4/831.

303 تنيضب الفايدي: **خيبر**، ص218.

304 عبدالله سكات: **خيبر**، ص105-106.

305 **الروض الأنف**: 7/108.

بوادي خلص بجاد من السماء قد سدّ الأفق، فإذا الوادي يسيل نملا، فوقع في نفسي أن هذا شيء من السماء أيد به محمد ﷺ فما كانت إلا الهزيمة وهي الملائكة، ويسمى وادي آرة حقيل، وبه قرية يقال لها: وبعان)[306].

وادي مرحب:

هو طريق أكثر من كونه واديا مشهورا، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال لحسيل: يا حسيل: امض أمامنا حتى تأخذ بنا صدور الأودية حتى تأتي خيبر من بينها وبين الشام، فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان، فقال حسيل: أنا أسلك بك، فانتهى به إلى موضع له طرق، فقال: يا رسول الله إن لها طرقا تؤتى منها كلها، فقال رسول الله ﷺ: «سمّها لي» وكان رسول الله ﷺ يحبّ الفأل الحسن والاسم الحسن، ويكره الطّيرة، والاسم القبيح، فقال: لها طريق يقال لها حزن، قال: (لا تسلكها)، وطريق يقال لها: شاش، قال: (لا تسلكها)، وطريق يقال لها حاطب، قال: (لا تسلكها)، قال عمر ابن الخطاب ﷺ: ما رأيت كالليلة أسماء أقبح اسم لرسول الله، قال لها طريق واحدة لم يبق غيرها، فقال عمر: سمها، قال: اسمها **مرحب**، قال: رسول الله ﷺ: (نعم أسلكها)، قال عمر: ألا سميت هذا الطريق أول مرّة[307]، وهذا دليل على استقرار رسول الله ﷺ في منطقة السرير وواديه في الصهباء، ثم سلوكه **وادي مرحب** وهو فيما يظهر أن وادي يقع في صدر وادي السرير وخاص ويمر شرق ثبار أو القرقرة (قعقران) حتى ينزل على منطقة الحرضة (الخرصة) ومعنى هذا أنه يمر عبر الحرّة شرقي خيبر، وأخذ صدور الأودية دليل على ارتفاع من أعاليها إذ أن الأودية مكونة من رؤوس وصدور وبطون وذنابة، وسلوك حسيل ﷺ بالجيش صدور الأودية كما امره رسول الله ﷺ دليل على أن قدوم الجيش كان من الجهة الشرقية لخيبر، وقد تناولت ذلك مفصلا في ثنايا الحديث عن الصهباء في هذا البحث، ولا يمنع أن أورد بعضا مما ذكرته سابقا إذ أن السير عبر صدور الأودية وهما واديا خاص والسرير، ثم اتجه شمالا، والمتأمل في المصطلحات والعبارات التي يستخدمها أصحاب السير والمغازي يجدها دقيقة في دلالتها، ومن خلالها يمكن أن يستنتج الباحث للمكان الذي وقعت به الأحداث ونقلتها الروايات، فهنا ينقل الواقدي أن النبي ﷺ قال للدليل: «امض أمامنا حتى تأخذنا صدور الأودية..»[308]؛ و«الصَّدْر: أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله، حتى إنهم ليقولون صَدْر النهار والليل، وصَدْر الشتاء والصيف، وما أَشبه»[309]، وهذا يعني أن النبي ﷺ أخذ أودية خيبر من أعلاها، فأعلى الوادي صدره، وأوسطه بطنه، وهذا ما ذكرته أغلب الروايات إذ أورد ابن كثير «أن رسول الله ﷺ رمى جمره العقبة من بطن الوادي يوم النحر عن ناقة له صهبا»[310]؛ وذكر الواقدي أن رسول الله ﷺ في غزوة قرقرة الكدر أرسل في أعلى الوادي نفرا من الصحابة ﷺ واستقبلهم ﷺ في بطن الوادي[311]، فتلك الدقة في الدلالة تتواصل في وصف تفاصيل السيرة، فقد جاء أن النبي ﷺ بعث عبدالله بن أبى حدرد ﷺ[312] إلى بطن إضم، وذلك قبل فتح مكة[313]؛ كما يسمى آخر الوادي ذُنابة الوادي، ففي وصف ابن إسحاق لمكان نزول غطفان يوم الخندق يقول: «وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي[314] إلى جانب أحد»[315]؛ وحينما جاء حيي بن أخطب إلى كعب زعيم بني قريظة قال له: «جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى الى جانب أحد»[316]، فكل هذه المصطلحات الجغرافية الدقيقة تدل على أن النبي ﷺ أخذ الطريق من أعالي أودية السرير وخاص، التي تقع شرق خيبر، وخيبر تقع في بطون هذه الأودية، وليس في صدور تلك الأودية، مما يعني أن النبي ﷺ نزل الصهباء حول جبل السرير على مسافة أكثر من اثنين وعشرين كيلا شرقي خيبر، وليس في سفح جبل عطوة الذي يقع جنوب خيبر على بعد أميال قليلة، لأن أعالي تلك الأودية تقع في

---

306 **وفاء الوفاء**: 78/2.

307 السمهودي: وفاء الوفاء، 117/2-118.

308 **المغازي**: 639/2.

309 ابن منظور: **لسان العرب**، 445/4.

310 **السيرة النبوية**: 374/4.

311 **المغازي**: السابق، 182/1.

312 عبدالله بن أبي حدرد هو: عبدالله بن سلامة بن عمير الأسلمي، كان من وجوه أصحاب النبي ﷺ، وكان ممن يؤمر على السرايا، وأنكر أبو أحمد الحاكم أن يكون له صحبة وسماع عن النبي ﷺ، وقال: الصحبة والرواية لأبيه، فغلط ووهم، والله أعلم، وقال المدايني: عبدالله بن أبي حدرد يكنى أبا مُحَمَّد وتوفى سنة إحدى وسبعين وهو ابن إحدى وثمانين. ابن عبدالبر: **الاستيعاب**، 923/3.

313 **المغازي**: السابق، 796/2. وانظر: **السيرة النبوية**: 435/4.

314 ذَنَبُ الوَادِي: الموضع الذي ينتهي إليه سيله، وأَذْنَابُ التِّلاَعِ: مَآخِيرُهَا، وكان ذلك على ذَنَبِ الدَّهْرِ أي: في آخِرِه. الزبيدي: **تاج العروس وجواهر القاموس**، 440/2.

315 ابن هشام: **السيرة**، 189/3. وابن كثير: **السيرة النبوية**، 197/3.

316 ابن هشام: **السيرة**، 190/3. وابن كثير: **البداية والنهاية**، 198/3.



شرق خيبر مما يلي الحرة، وهو فيما يظهر لي المكان الذي أقام به النبي ﷺ وصلى العصر والمغرب والعشاء، وانطلق منه ﷺ إلى وادي الرجيع عبر صدور الأودية، مرورا بالخرصة "الحرضة"، وخلال تتبعي للطرق التي تصل طرف الصهباء الشمالي من جهة وادي السرير وخاص إلى الخرصة (الحرضة) وجدت طرقا وشعابا تسمح بمرور أعداد الجيش التي تبلغ 1400 مقاتل، وتنخفض الأرض باتجاه الغرب بانحدار يسمح بمرور الجيش منه حتى يأتي وادي ومنطقة الحرضة التي تقع شمال شرق خيبر، وهو الذي عبّر عنه الواقدي بقوله: (فاتبع صدور الأودية حتى هبط به الخرصة)[317]، وقد ذكر مارسدن جونس محقق كتاب المغازي نقلا عن السيرة الحلبية أن الخرصة حصن من حصون خيبر[318]، والحقيقة أن الخرصة منطقة زراعية وخط دفاع أول عن خيبر من جهتها الشمالية لكن لم تذكر فيها حصون، وخلال زيارتي لها وبحثي لم أجد أثرا لأي حصن قديم في المنطقة، والمتتبع لطريق مرحب والشعاب التي يفضي إليها يجده يسير في قيعان وحجارة من أحجار الحرّة تندر فيها النباتات إلا القلة القليلة التي لا تكاد تذكر.

الفصل السادس

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

الخرصة – وادي الرجيع

الخرصة - (الحراضة) - (الحرضة):

ورد عند الواقدي أن رسول الله ﷺ حينما سار الدليل بالجيش أخذ صدور الأودية (حياض والسرير) حتى هبط به الخرصة[319]، فالجيش اتجه شمالا تاركا خيبر على يساره ولم يتجه غربا إلى جبل عطوة، وهي من الخطط التي استخدمها رسول الله ﷺ والتي باغت فيها اليهود، وأعجز فيها غطفان التي تتبع مسيرة الجيش وتحاول أن تقدم خدماتها لليهود، فقد سار النبي ﷺ مع طريق سلك أعالي وادي السرير وخاص قادما من الجهة الشرقية لخيبر، والخرصة (الحرضة) تعد من المناطق الزراعية المهمة في خيبر، ومن خلال سياق الرواية نجد أن الجيش الإسلامي قد جاء من منطقة مرتفعة عبر صدور الأودية ونزل على الخرصة، أي أن الخرصة تقع في مفيض تلك الأودية، ولم أجد ذكرا للخرصة عند البلدانيين وكتّاب السير عدى الواقدي الذي يعد

317 الواقدي: **المغازي**، 119/2.

318 السابق: الهامش، 641/2.

319 الواقدي: المغازي، 119/2.

عمدة في المغازي[320]، وذكر البكري طريقا لفدك ويذهب إلى خيبر فقال: (وهناك طريق مصدّق بنى ذبيان وبنى محارب، من المدينة إلى القصّة؛ وهناك تصدّق بنو عوال من بنى ثعلبة بن سعد، ثم ينزل نخلا، فتصدّق الخضر خضر محارب، ثم ينزل المغيثة، فتصدّق سائر بنى محارب، ثم الثّامليّة لأشجع، ثم الرّقمتين لبنى الصادر، ثم مرتفقا لبنى قتّال بن يربوع؛ هكذا قال السّكونّى، وإنّما هو رياح بن يربوع، وأمّه أمّ قتّال بنت عبدالله بن عمرو لؤىّ بن التّيم، ثم فدك، ثم **الحراضة**، ثم خيبر، ثم الصّهباء لأشجع، ثم دارة)[321]، ومن أبرز من وصف موقع الخرصة (الحرضة) في العصر الحديث داوتي ففي أثناء انتقاله من حائل إلى خيبر عبر ديار بني رشيد قال: في ذلك الوقت هبطنا إلى أرض قاع كبير في حقل من الحمم البركانية وهي الحُرْضَة وكانت مليئة بالذرة الخضراء وفيها آبار مياه يطير الحمام ويرفرف فوقها وكنت أظنها حقول خيبر[322]، وهبوطه لتلك المنطقة موافق لما ذكره الواقدي عن وصول الجيش الإسلامي لها، إذ أن القدوم لها من الشرق يأتي من مناطق مرتفعة حتى يصل إلى ذلك المنخفض ليهبط من يرغب المرور بها إلى خيبر، وفي إحدى زياراتي لخيبر في ضيافة قبيلة الخماعلة من عنزة[323] زرت مزرعة الأستاذ ذيب بن فرج الخمعلي والذي كانت تتزين بحقول الذرة إضافة للنخيل وبعض المزروعات الأخرى، وفي تأمل لرسم كلمتي (الخرصة) و(الحرضة) نجد أن المتغير في النقطة فقط ففي كتاب الواقدي وردت على الخاء وفي واقع المنطقة وردت على الضاد، وهو إما تصحيف من النسّاخ أو تحريف من سكان المنطقة، لكن الأمر الذي لا يشك فيه أن الخرصة هي الحرضة، ويقول عنها البلادي أنها قرية بخيبر بين وادي المضاويح وأبي وشيع على يمين المشمل على كيل من الطريق[324]، ووصف البلادي لموقعها حسب الطريق القديم المتجه إلى من خيبر إلى تيماء والعلاء، أما وصفها اليوم حسب الطريق المتجه للعشاش فهي على يسار الذاهب شمالا ويمر الطريق بها مباشرة وتكاد تكون جزءا من أحياء خيبر لامتداد العمران ووصوله إليها، ويقول أحد سكان المنطقة متحدثا عن الطريق الذي يربط الحرضة بالسرير ويتجه جنوبا

320 عبدالعزيز بن سليمان السلومي: **الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره**، ص66.

321 **معجم ما استعجم**: 1016/3.

322 **رحلات دواتي في الجزيرة العربية**: ص265.

323 قمت بتلك الزيارة في 1439/6/9هـ بدعوة وتنسيق من الشيخ والباحث **عبدالله بن خلف الخمعلي العنزي**.

324 **معجم معالم الحجاز**: 434/3.

عبر الحرة: وطريق السرير من الحرضة يقع يسار القبلة وهي جادة قديمة تمر برؤوس الأودية[325]، وهذا يعني أن الطريق المنطلق من السرير باتجاه الشمال إذ هبط جهة الغرب يهبط على الحرضة، والحرضة تقع في رأس وادي الرجيع الذي نزله النبي ﷺ واتخذه معسكرا له يقاتل ثم يعود إليه[326]، ويقول أحد ملاك المزارع ومن أحيا والده موات الحرضة عام 1379هـ أن والده أحيا مواتها من الأمير عبدالعزيز ابن مساعد أمير منطقة حائل (وهنا يتضح أن خيبر كانت تابعة إداريا لمنطقة حائل)، ولا فيها إلا أبار قديمة العمارة ولا يوجد فيها حي إلا راعي بير واحد برأس الحرضة خيبري، على سواني على بقر يسنى ويسقي مزرعته، وباقي المنطقة خراب وفيها أكثر من ثلاثين بئر قديم العمارة، وفي سنة 1398هـ نزلنا في الحرضة وأحيينا ما كتب الله لنا أن نحي، وبدأت الناس تحيي هذه المنطقة منذ عام 1398هـ، وفي أثناء المنازعات بين والدي وبين الخيابرة والتي استمرت ثلاث سنوات (1380-1381-1382) وطلع عليها مشايخ (قضاة) وطلع عليها القاضي في ذلك الحين يدعى **عبدالمعين أبو ذراع** رحمه الله وقرر بالمعاملة وأثبت ذلك بالصكوك يقول: حسب رؤيتي للأرض أنها من 200 عام لم تبعث (لم يتم إحياءها)، لأن أخصامنا من الخيابرة قالوا أننا أحييناها ليأتي حكم القاضي عام 1382هـ بأنها لم تبعث ولم يتم أحياؤها من قبل، ولم تقطع حياض ولم تسق من المياه، واحيينا بعض الأماكن ثم تسابقت الناس تحيي وتزرع كما تشاهدها في وقتنا الحالي، وتبعد عن الحفاير (الصفق الأحمر) حوالي كيلا ونصف جهة الشرق أو الشمال الشرقي، وهي رأس الرجيع[327]، وفي شأن الحرضة يقول فلبي: بعد سيرنا من خيبر وصلنا بعد عشرين دقيقة من الركوب اليسير إلى منحدر من الضفة اليمنى للشعيب (يقصد الحلحال) إلى جبل كنا نطل منه على حوض نقرة الحرضة الكبير، الذي يحاط بالكامل بجرف الحرّة الذي يرتفع إلى خمسين قدما، وتنتشر فيه آبار كثيرة تخدم منطقة زراعية واسعة تربتها من رمل خصم ممزوج بذرات الحمم البركانية المتحللة، وحولها صخور معزولة من البازلت تغطيها بعض النقوش، ويحتمل أن أصحاب هذه النقوش الثمودية الموغلة في القدم هم أول من امتلك وزرع حوض الحرضة، وشعيب الحرضة يخرج من الحوض ويتدفق إلى وادي الحلحال ثم يتجهان غربا للالتقاء بوادي الغرس غربا، وتتميز حواف الوادي بزراعة النخيل والذرة وبعض نباتات القصب والبردي[328]، وهي من قرى خيبر وتقع شرقي وادي أبي وشيع[329].

وادي الرجيع:

يخلط البعض بين وادي الرجيع الذي شمال مكة قرب عسفان وبين وادي الرجيع الذي في خيبر، وهذا الخلط جعل البعض يخلط في الأحداث أو ربما ينفي حدث بحجة أن هذا الوادي في مكان والحدث في مكان آخر، فالرجيع الذي وقعت في غزوة الرجيع[330] وهو مَوْضِعٍ مِنْ بِلَادِ هُذَيْلٍ كانَتِ الْوَقْعَةُ بِقُرْبٍ مِنْهُ فَسُمِّيَتْ بِهِ[331]، وقيل: الرجيع ماء لهذيل قريب من الهدأة[332]، وقيل: الرجيع بين مكة والطائف[333]، والأصح أنه بين مكة وعسفان[334]، يقول محمد شراب: (الرجيع: ماء يعرف اليوم باسم «الوطية»، يقع شمال مكة على مسافة سبعين كيلا، ويقع في شرق عسفان يسار الخارج من عسفان إلى مكة)[335]، وهناك وادي الرجيع في خيبر الشمالية إذ أن النبي ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلًا أي قرب مِنْهَا وَذكر بن إِسْحَاقَ أَنَّهُ نَزَلَ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ الرَّجِيعُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَطَفَانَ لِئَلَّا يَمُدُّوهُمْ[336] وَكَانُوا حُلَفَاءَهُمْ قَالَ فَبَلَغَنِي أَنَّ غَطَفَانَ تَجَهَّزُوا وَقَصَدُوا خَيْبَرَ فَسَمِعُوا حِسًّا خَلْفَهُمْ فَظَنُّوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ خَلَفُوهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ فَرَجَعُوا فَأَقَامُوا وَخَذَلُوا أَهْلَ خَيْبَرَ[337]، وجاء عند ابن عبدالبر (خرج رَسُول اللَّهِ ﷺ إِلَى خَيْبَرَ دفع رايته وَكَانَت بَيْضَاء إِلَى عَليّ بْن أبي طَالب ﷺ وأخذ طَرِيق الصَّهْبَاء إِلَى وَادي الرجيع، فَنزل بَين خَيْبَرَ وغَطَفَان لِئَلَّا يمدوهم، لأنه بلغه أَن غطفان تُرِيدُ إمداد يهود خَيْبَر، وَلما خَرجُوا

325 رواية شفهية للشيخ **مُحَّد بن يتيّم بن فالح الخمعلي العنزي** رحمه الله وقد واجهته في تلك الزيارة وهو يبلغ من العمر وقتها 75 عاما، وكان طيب القلب مبتسما كريما سخيا عارفا حاذقا راقيا في تعامله رحمه الله رحمة واسعة.

326 عبدالله سكات: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص317.

327 رواية شفهية عن الشيخ: **مسلّم بن رعيصان بن علي الخمعلي العنزي**، من أول من سكن الحرضة وأحياها والده ملك صكوكا شرعية على أملاكه في قرية الحرضة، رجلا كريم السجية راقي الأخلاق عالما عارفا بالمنطقة فله الشكر والتقدير، التقيته أثناء زيارتي لقبيلة الخماعلة من عنزه في 1439/6/9هـ.

328 **أرض مدين**: ص86-87.

329 حمد الجاسر: **في شمال غرب جزيرة العرب**، ص512.

330 البخاري: **الصحيح**، الحديث 4086، ص492.

331 ابن حجر: **فتح الباري**، 379/7.

332 الواقدي: **المغازي**، 301/1. البكري: **معجم ما استعجم**، 641/2.

333 السمهودي: **وفاء الوفاء**، 89/4.

334 الحميري: **الروض المعطار**، ص267.

335 **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**: ص125. ينظر: البلادي: **معجم معالم الحجاز**، 679/4.

336 ابن هشام: **السيرة**، 281/4.

337 ابن حجر: الاصابة،468/7.





لإمدادهم اخْتلفت كلمتهم، وأسمعهم اللّه عز وَجل حسا من ورائهم وهدا راعهم وأفزعهم فانصرفوا إِلَى دِيَارهمْ، فأقاموا بهَا)[338]؛ فقد وصل النبي ﷺ إلى وادي الرجيع ليلا بمعنى أنه غادر الصهباء بعد أداء صلاتي المغرب والعشاء ثم نزل على الحرضة (الحرضة) وهي كما ورد سابقا رأس وادي الرجيع فأقام في الوادي بقية ليلته حتى استمع هل يؤذن لصلاة الفجر فلم يسمع أذانا فأمر بقتالهم، وفي الصحيح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلمّا رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: (خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[339]، ونزول الجيش قبل دخول منطقتي الشق والنطاة يكون في وادي الرجيع الذي قال عنه ابن إسحاق أن النبي ﷺ نزل فيه ليحول بين اليهود وبين غطفان أن يمدوهم خاصة وان غطفان تسكن منطقة سلاح (العشاش) والجناب (الجهراء) وهي مناطق تقع شمال خيبر، وما ذكره الواقدي أن محمد بن مسلمة ﷺ هو من اختار وادي الرجيع ليعسكر به الجيش لا يناقض الواقع، فالجيش مر بوادي الرجيع وعسكر فيه وخلف الثقل والنساء والجرحى فيه[340]، ثم انتقل المقاتلون إلى داخل الحصون ليواصلوا قتالهم ومعسكرهم فلم يكن المكان مناسبا فعاد محمد بن مسلمة ﷺ وأخبر النبي ﷺ بأن المكان المناسب هو وادي الرجيع[341]، فاختيار وادي الرجيع ابتداء ليحول بين اليهود وغطفان[342] وهي خطة محكمة من النبي ﷺ وأعطت ثمارها، وقد انطلق النبي ﷺ من وادي الرجيع لتواجهه منطقة النطاة في شمال شرق خيبر، واتخذ من وادي الرجيع مقرا لمعسكره كما ذكر ابن إسحاق وابن سعد[343] فراويتهما لا تتعارض مع رواية الواقدي لأنه الواقدي صاحب تخصص وفصّل عن الغزوة أكثر من غيره، أما اتخاذه مسجد المنزلة فكان للجيش المحارب داخل خيبر وليس مقرا دائما للجيش، ومما يؤكد أنه نزل بالرجيع وعسكر أن حصون خيبر برمتها كانت على يسار الجيش[344]، ثم بدأ بفتح الحصون حصنا حصنا مبتدئا بالنطاة، إذ يقاتل اليهود وإذا أمسى رسول الله ﷺ تحول إلى الرجيع وكان مقامه به سبعة أيام وإذا غدى للفتح استخلف عليه عثمان بن عفان ﷺ[345]، ووادي الرجيع يمتد على مسافة 2كم تقريبا رأسه قرية الحرضة ثم يأخذ مياهه الغربية من جبل ذي الرقيبة ثم يتحد مع وادي الحلحال ويتجه غربا، وهو وادٍ فسيح معروف في شمال خيبر كما ورد في رواية مسلّم بن رعيصان العنزي، أما البلادي فيقول: أن وادي الرجيع لم يعد يعرف[346]، وهذه من الصعوبات التي تواجه البلدانيين، فربما أن البلادي لم يوافق أو يجد شخصا يعرف وادي الرجيع، أما تنيضب الفايدي فلم يزد على ما ورد في المصادر الأصلية من روايات عن وادي الرجيع[347]، والحقيقة أن واد الرجيع وادٍ يقع شمال خيبر على بعد ثلاثة أكيال عن وسط خيبر القديمة، أرضه فسيحة وفيه الكثير من الأشجار التي تسمح للجيش بالاسترخاء واتخاذ الظل والمكان المناسب للمبيت خاصة أن وقت الغزوة صيفا، ومن أبرز معالم وادي الرجيع ذو الرقيبة جبل يشرف على وادي الرجيع من جهة الغرب ويقع شمال خيبر، سماه فلبي جبل أم رقبة في أكثر من موضع خلال حديثه عن خيبر[348]، وفي موضع آخر يقول: تل أم الرقبة ذي الأصبعين الذي يطل على ملتقى الأودية[349]، ويعرف الآن باسم أبو رقيبة[350]، ذو الرّقيبة تصغير رقبة وهو: جبل مطلّ على خيبر، له ذكر في قصة لعيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري ¢، وأنشد راوي التصغير:

وكأنّما انتقلت بأسفل معتب

من ذي الرقيبة أو قعاس وعول[351]

أخرج البيهقي: كانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم، فراسلهم رسول الله ﷺ ألا يعينوهم، وسألهم أن يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا، فأبوا عليه، فلما فتح الله

---

338 **الدرر في اختصار المغازي والسير**: ص197. ينظر: الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، 9/3. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 29/3. ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، 453/2. الفيروزبادي: **المغانم المطابة في معالم طابة**، ص153.

339 البخاري: الحديث 4197، ص506.

340 السمهودي: **وفاء الوفاء**، 89/4.

341 **المغازي**: 120/2.

342 ابن هشام: **السيرة**، 281/4.

343 **الطبقات**: 103/2. ابن حزم: **جوامع السير**، ابن سيد الناس: **عيون الأثر**، 174/2. ص168. الكلاعي: **الاكتفاء**، 477/1.

344 عبدالله سكات: **خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي**، ص318-319.

345 الواقدي: السابق، 121/2.

346 **معجم معالم الحجاز**: 180/4.

347 **خيبر الغزوة المحافظة السياحة**: ص231.

348 أرض مدين: ص110.

349 السابق: ص106.

350 حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص537.

351 ياقوت الحموي: معجم البلدان، 60/3. يُنظر: الزمخشري: الجبال والأمكنة والمياه، ص141. الحازمي: الأماكن، ص474. الفيروزبادي: المغانم الطابة في معالم طابة، ص159.





عليه خيبر أتاه من كان من بني فزارة، فقالوا: حظنا والذي وعدتنا؛ فقال رسول الله ﷺ: (حظكم) أو قال: (لكم ذو الرُّقَيبة)، جبل من جبال خيبر، فقالوا: إذاً نقاتلك، فقال: (موعدكم جَنَفَا)[352]، و(جنفاء: قرية الشملي اليوم تقع في الطرف الشمالي الشرقي لحرّة ليلى شرق سلاح –العشاش- ويسكنها الشملان من عنزة)[353]، وأخرج البيهقي: كانت بنو فزارة ممن قدم على أهل خيبر ليعينوهم، فراسلهم رسول الله ﷺ ألا يعينوهم، وسألهم أن يخرجوا عنهم ولكم من خيبر كذا وكذا، فأبوا عليه، فلما فتح الله عليه خيبر أتاه من كان من بني فزارة، فقالوا: حظنا والذي وعدتنا؛ فقال رسول الله ﷺ: (حظكم) أو قال: (لكم ذو الرُّقَيبة)، جبل من جبال خيبر، فقالوا: إذاً نقاتلك، فقال: (موعدكم جَنَفَا)[354]، وورد عند الواقدي أن عيينة بن حصن ﷺ قبل إسلامه لمّا نظر إلى حصن الصعب بن معاذ والمسلمون ينقلون منه الطعام والعلف والبز قال: ما أحد يعلف لنا دوابنا ويطعمنا من هذا الطعام الضائع فقد كان أهله عليه كراما فشتمه المسلمون وقالوا: لك الذي جعل لك رسول الله ﷺ ذو الرقيبة فأسكت[355]، وفي رواية عن أبو شييم المزني بعد إسلامه يحدث يقول لمّا نفرنا أهلنا بجنفاء (وهو موضع في بلاد بني فزارة بين خيبر وفيد)[356]، مع عيينة قدمنا عليهم وهم قارون هادئون لم يهجهم هائج، ورجع عيينة فلمّا كان دون خيبر بمكان يقال له الحُطَامُ وفيما يظهر أنه الخِطام المعروف الآن (وهو جبل أحمر مستطيل شمال شرق العشاش وهو وادي سلاح من محافظة خيبر)[357]، قال: في الحطام (واظن انه تصحيف للخطام) عرّسنا من الليل ففزعنا، فقال عيينة: أبشروا إني أرى الليلة في النوم أني أعطيت ذا الرقيبة جبلا بخيبر، فلما قدمنا خيبر قدم عيينة فوجد رسول الله ﷺ قد فتح خيبر وغنمه الله فيها، فقال عيينة: أعطني يا محمد مما غنمت من حلفائي فإني انصرفت عنك وعن قتالك وخذلت حلفائي ولم أكثر عليك، ورجعت عنك بأربعة آلاف مقاتل، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت ولكن الصياح الذي سمعت انفرك إلى أهلك)، قال: أجزني يا محمدا! قال: (لك ذو الرقيبة)، قال عيينة: وما ذو الرقيبة؟ قال: (الجبل الذي رأيت في النوم أنك أخذته)، فانصرف عيينة وأخذ

352 دلائل النبوة: 4/248-249.
353 البلادي: معجم معالم الحجاز، 5/944.
354 دلائل النبوة: 4/248-249.
355 المغازي: 2/136.
356 ياقوت: معجم البلدان، 2/172. الفيروزبادي: المغانم المطابة، ص96.
357 البلادي: معجم معالم الحجاز، 4/556.

يتدسس إلى اليهود[358]، وهذا يؤكد أن غطفان كانوا يسكنون شرق وشمال خيبر مما جعل النبي ﷺ ينزل وادي الرجيع ليحول بينهم وبين اليهود أن يساعدوهم، ولم يذكر ابن هشام هذا بل ذكر أن غطفان سمعوا بمنزل رسول الله ﷺ من خيبر فجمعوا لمناصرة يهود، حتى صاروا على منقلة من خيبر سمعوا في أموالهم وأهليهم حسا فعادوا وخلوا بين رسول الله ﷺ وبين خيبر[359]، وذكر الواقدي أن غطفان قد دخلوا مع يهود في حصن ناعم وسمعوا صائحا في أهليهم فخرجوا، وكان أمرا صنعه الله لنبيه ﷺ[360]، وبذلك يتضح أن جبل ذو الرقيبة يقع شمال خيبر ويطل على وادي الرجيع من الغرب، وهو معلم من معالم وجبال خيبر.

الفصل السابع

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

أودية خيبر: النطاة – الشق – الحلحلان - الكتيبة

وادي النطاة:

يظل المعنى لأي اسم ذو أهمية ودلالة بارزة منها يستنتج الباحث معاني كثيرة ودلالات متعددة، وحينما نبحث عن معنى كلمة النطاة ومدلولها نجد أن النطو: كما عرّفه بعض أهل العلم والمعرفة أنه البعد، ومكان نطي بعيد، والنطوة السفر البعيد، والنطاء البعد، وبلد نطي بعيد، والنطو المد نطوت الحبل إذا مددته[361]، وفيما يظهر أنها سميت بذلك لأنها أبعد مناطق خيبر وحصونها إلى جهة الشمال، فالكتيبة جنوب ووسط خيبر والشق شمال غرب خيبر والنطاة شمال شرق خيبر إلى جهة ديار غطفان، (والنَّطْو: البُعد يُقَال: بَيْننَا وَبينهمْ نَطْوٌ بعيدٌ، وأحسب أَن نَطَاة من هَذَا اشتقاقها)[362]؛ وفي هذه الاختلافات دلالة واضحة أن هذه المنطقة لم تأخذ حقها من البحث والتقصي والدراسة المتعمقة مما يجعل الشك والظن هو السائد، ومن هنا يمكن أن أعتبر بحثنا هذا بادرة خير في بحثها وتقصي دلالاتها، فقد قيل: أن نطاة اسم عين أو

358 المغازي: 2/142-143.
359 السيرة: 4/281.
360 الواقدي: السابق، 2/125.
361 ابن دريد: جمهرة اللغة، 2/928. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، 3/443. ابن منظور: لسان العرب، 15/332. الزبيدي: تاج العروس، 40/104.
362 ابن دريد: السابق، 2/928.



حصن في خيبر[363]، وقيل: اسم لحمّى خيبر[364]، وقيل أن نطاة اسم علم لخيبر[365]، وقيل: عين تسقي نخلا[366]، وقيل: هي حصن [367]، وقيل: أنها وادٍ في خيبر[368]، وقيل هي عمود خيبر، ومنهم من جمع كل ذلك[369]، ومنهم من اختصر، وقال العيني: النطاة: موضعان من أرض خيبر[370]، وقيل: كنيفُ الْبَيْت مثل الحُجْرَةِ يُجمَعُ من الشّجر، وَهِي الحَظِيرةُ أَيْضا[371]، (وَقَالَ اللَّيْث: النَّطاةُ حُمَّى تَأْخُذ أَهْلَ خَيْبَر، قلتُ: هَذَا غَلَط، ونَطاةُ عَيْنُ مَاء بخَيْبَر تَسقِي نَخِيل بعض قُراها وَهِي فِيمَا زَعَمُوا وَبِيئَةٌ، وَقد ذكَرَها الشَّاعِر فَقَال يذكر محموماً:

كأنَّ نَطاةَ خَيبرَ زَوَّدتْهُ بَكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ

فظنّ اللَّيْث، أنّها اسْم للحمَّى، وَإِنَّمَا نَطاةُ اسمُ عَيْن بِخَيْبَر)[372]، وقيل: أن النطاة عمود خيبر[373]، وقيل: هي اسم أرض خيبر[374]، وذكرها العيني كما مر سابقا أنها موضعان من أرض خيبر[375]، وقال السمهودي: النطاة (كقطاة، حصن من حصون خيبر، وقيل: كل أرض خيبر، وقيل: عين ماء وبيئة هناك، والذي يقتضيه كلام الواقدي أنه ناحية من خيبر، وأن النبي ﷺ لما افتتح حصن ناعم وغيره من حصونه تحوّل أهلها إلى قلعة الزبير، وهو حصن منيع في رأس قلّة، قال: فجاء رجل من يهود للنبي ﷺ فقال: تؤمنني على أن أدلك على ما تستريح من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق؟ فامنه، فقال: إنك لو أقمت شهرا ما بالوا، إن لهم دبولا تحت الأرض يشربون منها، فقطع دبولهم، قال: وكان هذا آخر حصون النّطاة فتحا، ثم تحوّل إلى أهل الشق)[376]، ومنطقة النطاة تتكون من ثلاثة حصون هي: حصن ناعم، حصن الصعب بن معاذ، حصن قلعة الزبير[377]، وقال محمد شراب عن النطاة: (وهي اليوم من قرى خيبر شمال شرقي الشريف، قرب الطريق منخفض الوادي)[378]، وفي الحقيقة أن الذي يشاهد خيبر وحصونها ومناطقها يجد أن النطاة هي عبارة عن منطقة فسيحة تقع في شمال شرق خيبر وعن ذلك يقول الواقدي: (وكان قاتل أول يوم من أسفل النطاة ثم عاد فقاتلهم من أعلاها حتى فتح الله عليه)[379]، وهي من معالم خيبر المشهورة ففيها سوق النطاة القائم على الطريق التجاري القديم الذي يربط جنوب ووسط شبه الجزيرة العربية بشمالها، وعن هذا يقول الباحث ظاهر الشمري: وقد احتلت التجارة مكانة واسعة في حياة عرب الحجاز، وانتشرت عن طريق اليهود الذين وجدوا في مدن التجارة رواجا للرباء، الذي قلل من ظاهرة وحدة المجتمع والذي يعتمد عليها المجتمع القبلي خاصة[380]، ونظرا لوجود رؤوس الأموال الضخمة أصبحت خيبر المصرف المالي لشبه الجزيرة العربية[381]، ومنطقة النطاة تحتوي على عدة حصون وقد تمكن المسلمون من فتح تلك الحصون إبان غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة في عصر النبي ﷺ[382]، ففيها حصن النطاة وحصن ناعم[383] وحصن الصعب وغيرها[384]، وفيها دار بني قمة وهي أول دار فتحت في خيبر[385]، وقال عنها حمد الجاسر أنها إحدى محلات خيبر ويقدر عدد نخيلها بما يقرب من خمسمائة الف نخلة، ويقدر انتاجها قرابة 560 طنا، وعدد عيونها خمسين عينا[386]، وهي من أهم محلات خيبر كما قال، لكن الأرقام فيها نوع من المبالغة خاصة عدد العيون ففيها عين أو عينين

363 ياقوت الحموي: معجم البلدان، 291/5.
364 الفراهيدي: العين، 454/7.
365 الزمخشري: السابق، 443/3. ابن الأثير: النهاية في غريب الأثر، 77/5.
366 الفراهيدي: السابق، 454/7. الأزهري: تهذيب اللغة، 335/1 – 23/14.
367 ابن دريد: السابق، 928/2. الزمخشري: السابق، 443/3. ابن الأثير: السابق، 77/5. ياقوت الحموي: السابق، 291/5. البكري: معجم ما استعجم، 522/2.
368 البكري: السابق، 1312/4.
369 ابن منظور: السابق، 332/15. الزبيدي: السابق، 105/40.
370 نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: 12/ 346.
371 الأزهري: السابق، 335.
372 الأزهري: تهذيب اللغة، 203/14.
373 ابن الجوزي: غريب الأثر، 416/2.
374 نشوان الحميري: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، 6642/10. ياقوت الحموي: معجم البلدان، 291/5. عبدالمؤمن القطيعي: مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، 3/ 1376.
375 نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار: 346/12.
376 وفاء الوفاء: 185/4.
377 محمد أبو شهبة: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، 416/2. أحمد غلوش: السيرة النبوية والدعوة في العهد النبوي، ص529.
378 المعالم الأثيرة في السنة والسيرة: ص288.
379 المغازي: 121/2.
380 لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام: ص328-329. عبدالله سكات الرشيدي: خيبر من النشأة حتى نهاية العصر الأموي، ص150.
381 نجوى إكرام: النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية، ص233. عبدالله سكات: خيبر، ص150-151.
382 الواقدي: المغازي، 113/2. ابن هشام: السيرة، 279/4.
383 ابن هشام: السيرة 121/2-122.
384 السابق: 131/2.
385 البكري: معجم ما استعجم، ص527.
386 في شمال غرب الجزيرة: ص285-291.

لا أكثر، فربما حديثه عن العيون والنخيل عن خيبر وليس النطاة، وقيل: أن النطاة أرض حمّى ووباء، ويُمثّل بحمى النطاة وحمّى القطيف بالبحرين[387]، وقد ورد أن النطاة فيها نخيل ونز مما كان له أثر في تفشي وباء الحمى فيها، وذُكر أن فيها ثمرة خضراء وبيئة وخيمة أكلها المسلمون عند دخولهم خيبر فأهمدتهم إلى الحمى[388]، ومن باب ذكر حمّى خيبر فقد أورد القزويني حديثا عن النبي ﷺ أن قال: ذكر فيه أن النبي ﷺ دعا بنقل حمى المدينة إلى خيبر والجحفة[389]، والحقيقة أن ما ورد في الصحيح لم يرد فيه ذكر لخيبر إذ قال النبي ﷺ: (اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ)[390]، وربما التبس على القزويني أن الجحفة كان سكانها كما ذكر الألباني من اليهود[391]، وسكان خيبر من اليهود فظن أن الدعوة شملت خيبر والجحفة، وقد بحثت فيما بين يدي من كتب الحديث فلم أجد ذكرا لخيبر بل وجدت ذكرا لخم ومهيعة والجحفة فقط، وقد تحدث القزويني عن خيبر فقال: (حصون على ثمانية برد من المدينة لمن أراد الشام، ذات مزارع ونخيل كثيرة، وهي موصوفة بكثرة الحمى ولا تفارق الحمى أهلها، وكان أهلها يهوداً يزعمون ان من أراد دخول خيبر على بابها يقف على أربعه، وينهق نهيق الحمار عشر مرات لا تضره حمى خيبر ويسمى ذلك تعشيراً، والمعنى فيه أن الحمى ولوع بالناس وأني حمار، وحكى الهيثم بن عدي ان عروة الصعاليك وأصحابه قصدوا خيبر يمتارون بها، فلما وصلوا إلى بابها عشروا خوفاً من وباء خيبر وأبى عروة الصعاليك أن يعشر وقال:

وقالوا: أجب وانهق لا يضرّك خيبرٌ وذلك من دين اليهود ولوع

لعمري إن عشّرت من خشية الرّدى نهاق الحمير إنّني لجزوع

فكيف وقد ذكيّتُ واشتدّ جانبي سُلَيْمَى وعندي سامعٌ ومطيع

لسانٌ وسيفٌ صارمٌ وحفيظةٌ وراءٌ كآراء الرّجال صروع

يخوّفني ريب المنون وقد مضى لنا سلفٌ قيسٌ لنا وربيع

وحكي أن اعرابياً قدم خيبر بعيال كثير فقال:

قلت لحمّى خيبرٍ استعدّي هناك عيالي فاجهدي وجدّي

وباكري بصالبٍ وورد أعانك الله على ذا الجند فحم ومات وبقي عياله)[392]، والذي يظهر أن النطاة كما تشاهد على أرض الواقع منطقة فسيحة ووادي فسيح يدفع سيله غربا في وادي الحلحال، وقد حوت كل التعريفات السابقة فهي منطقة وعمود وعلم لخيبر، وفيها عدة حصون وعيون، ووادي فسيح يدفع في الحلحال الذي يمر بجانب النطاة الشمالي الغربي والذي يعد وادي النطاة من روافده، وكذلك هي منطقة زراعية وبيئة تنتشر فيها الحمى والبعوض، ووادي النطاة ينطلق من الحرّة باتجاه الشمال جهة وادي الحلحال[393]، وبه سوق النطاة والذ أرى أن أعطيه شيء من التفصيل في هذا البحث لأنه معلم من معالم أسواق جزيرة العرب في الجاهلية وخيبر والنطاة بالتحديد، إذ كانت أسواق العرب في الجاهلية عامرة تشجع المستثمر والتاجر خاصة إذا كانت تقع في نفوذ قبائل قوية تستطيع حماية القوافل والتجار وتحقق لهم الأمان الذي يضمن لهم التنقل والبيع والشراء بحرية تامة، ولأن خيبر تقع على طريق القوافل مع الشام اشتهرت بكثرة أوديتها وغزارة مياهها، وخصب تربتها البركانية ووفرة مزارعها ونخيلها[394]، وتحيط بها قبيلة غطفان من الشرق والشمال والجنوب والتي توفر لها الحماية اللازمة، ويقام السوق تحت حمايتها[395] مما شكل عاملا مهما في نجاح سوق النطاة وشهرته التي تضاهي أكبر الأسواق في عصره، وكانت تلك الأسواق وتجارتها لا بد لها من حامٍ منيع الجانب عزيز القبيلة ليجيزها على عامة الناس، وكانت هذه الأسواق من ضمن الأسواق التي أنشأها العرب ولم تخضع لنفوذ أجنبي فلم يشرف عليها ويبيع فيها إلا سراة أهلها[396]، وكانت تلك الأسواق الموسمية عند العرب بمثابة مهرجانات واحتفالات عامة، عامرة بالفرح والنشاط، وانفردت بعض الأسواق الموسمية بميّزة أمنية خاصة بانعقادها في الأشهر الحرم ما يجعل ارتيادها سهلا آمنا ومنها سوق النطاة[397] الذي يقام في شهر الله المحرم من 10-

387 الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص124.

388 الواقدي: السابق، 2/120- 121.

389 آثار البلاد وأخبار العباد: ص108.

390 البخاري: الصحيح، باب من دعا برفع الوباء والحمّى، الحديث 5677، 7/122. وحديث 6372، 8/80. ومسلم: الصحيح، باب الترغيب والترهيب في سكنى المدينة، الحديث 1376، 2/1003.

391 موسوعة الألباني في العقيدة: 9/603.

392 آثار البلاد وأخبار العباد: ص92.

393 سلام شافعي: **حصون خيبر في الجاهلية وفي عصر رسول الله ﷺ**، ص22.

394 ياقوت الحموي: معجم البلدان، 2/409-410. البكري: معجم ما استعجم، 2/521-524. طقوش: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص53-54. عبدالله سكات: خيبر، ص93-153.

395 حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص236. عبدالله سكات: السابق، ص150.

396 سعيد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية، ص196-213.

397 الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص97.

20[398]، وكان العرب يحرمون الأشهر الحُرم ولا يقاتلون فيها بل يضعون أسلحتهم، وكن الرجل إذا خرج من بيته حاجا داجا (والداج التاجر في الأشهر الحُرم) أهدى وأحرم وقلّد وأشعر فيكون ذلك أمانا في المُحلين[399]، وكان العرب في تعاملهم خلال الأشهر الحرم ينقسمون إلى عدة أقسام منهم من يحرّم الأشهر الحرم والحج زمانا ومكانا، ومنهم من استحل المظالم فسرق وهتك وتجاوز الحدود دون مراعاة لتلك الحرمة، ومنهم أصحاب هوى حملوا أسلحتهم وتذرعوا بحجة حماية المحرم من المحل[400]، ومن المشهور أن سوق نطاة خيبر كان تحت حماية قبيلة غطفان بكافة بطونها فزارة وعبس وأشجع ومرّة وثعلبة وغيرهم[401]، وقد وهم الدكتور حسين مؤنس أثناء حديثه عن القبائل التي تحيط بخيبر وتسكن في المناطق المجاورة لها، إذ قال: (ومن حول خيبر قبائل عتاة أعراب قيس عيلان هوازن ثم أسد ثم طي)[402]، وقد تناولت في كتابي (خيبر) القبائل التي تحيط في خيبر بشكل مفصّل[403]، ولكن لبيان الخلط والوهم الذي وقع عند المؤرخ الفذ والأستاذ العلم الدكتور حسين مؤنس وكذلك ما وقع فيه بعض الباحثين من أخطاء وخلط من أن قبيلة سليم كانت تسيطر على خيبر[404]، وهنا سيكون الحديث في السياق وليس خروجا عن مجال البحث سأورد الدليل على أن هوازن وأسد وطي ليست من القبائل التي تسكن حول خيبر، ففي الشمال تسكن قبيلة غطفان ممثلة ببطن فزارة ودليل ذلك أن النبي ﷺ حينما غزى خيبر جاءهم من الجهة الشمالية الشرقية وعسكر في وادي الرجيع شمال خيبر ليحول بين اليهود وبين غطفان أن يمدوهم، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله ﷺ[405]، كما أن الجهة الشرقية لخيبر تسكن حولها قبيلة غطفان ممثلة بعبس ومرّة وفزارة في يديع وجنفا وحرّة النار[406]، وقد ورد ان قبائل غطفان تحيط بخيبر من الشمال والشرق والجنوب، وفي الغرب عذرة وجهينة

وادي الشق:

الشِّق: بكسر أوّله، وتشديد ثانيه: واد بخيبر، وكان في سهم النّبيّ ﷺ الذي قسم الشّق والنّطاة[407]، وقال الزمخشري: الشَق: مال من أموال خيبر حازه رسول الله ﷺ لما فتحها[408]، وجاء عند السمهودي: شق: بالفتح عن الزمخشري، وقيل: بالكسر، من حصون خيبر، وقرية من قرى فدك يعمل فيها اللجم[409]، وروى الواقدي أن النبي ﷺ تحوّل إلى أهل الشق، وبه حصون ذوات عدد، يعني بعد فراغه من النطاة، فذكر فتح أول حصونه، وأن أهله هربوا إلى حصن البزار بالشق أيضا، وأنهم كانوا أشد أهل الشق رميا للمسلمين بالنبل والحجارة، وأن النبي ﷺ أخذ كفّا من حصباء فحصب به حصنهم، فرجف بهم ثم ساخ في الأرض، فأخذه المسلمون أهله[410]، لما تحوّل رسول الله ﷺ إلى الشّق وبه حصون ذوات عدد، فكان أوّل حصن بدأ به حصن أبيّ، فقام رسول الله- صلى الله عليه وسلّم- على قلعة يقال لها سموان فقاتل عليها أهل الحصن، قتالا شديدا، وخرج رجل من يهود يقال له غزول، فدعا إلى البراز، فبرز له الحباب بن المنذر، فاقتتلا فاختلفا ضربات، ثم حمل عليه الحباب، فقطع يده اليمنى من نصف الذراع، فوقع السيف من يد غزول، فبادر راجعا منهزما إلى الحصن، فتبعه الحباب، فقطع عرقوبه، فوقع فذفّف عليه، فخرج آخر، فصاح: من يبارز؟ فبرز له رجل من المسلمين من آل جحش، فقتل الجحشيّ، وقام مكانه يدعو إلى البراز، فبرز له أبو دجانة، وقد عصب رأسه بعصابته الحمراء، فوق المغفر، يختال في مشيته، فبدره أبو دجانة- رضي الله عنه- فضربه فقطع رجله ثم ذفّف عليه، وأخذ سلبه، درعه وسيفه، فجاء به إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلّم- فنفله رسول الله- صلى الله عليه وسلم- ذلك، وأحجم اليهود عن البراز، فكبّر المسلمون، ثم تحاملوا على الحصن فدخلوه، يقدمهم أبو دجانة، فوجدوا فيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما، وهرب من كان فيه من المقاتلة، وتقحّموا الجدر كأنهم

398 جواد علي: المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 65/14. سعيد الأفغاني: السابق، ص217. تنيضب الفايدي: خيبر الغزوة المحافظة السياحة، ص170.

399 الأفغاني: أسواق العرب في العصر الجاهلي، ص81-82.

400 السابق: ص80-81.

401 عبدالله سكات: خيبر، ص55.

402 تاريخ قريش: ص508.

403 عبدالله سكات: السابق، ص55 وما بعدها.

404 نوره إبراهيم الظويهر: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في خيبر خلال العهد النبوي والراشدي واثر اليهود، ص332.

405 ابن هشام: السيرة، 281/4.

406 مُحَمَّد صالح العسكر: علاقة القبائل العربية المقيمة حول المدينة بالدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ، ص68- 82.

407 البكري: **معجم ما استعجم**، 805/3.

408 **الجبال والأمكنة والمياه**: ص199.

409 **وفاء الوفاء**: 114/4.

410 انظر: **المغازي**: 131/2.

الظباء حتى صاروا إلى حصن النّزال بالشّق، وجعل يأتي من بقي من فلّ النّطاة إلى حصن النّزال، فغلّقوه، وامتنعوا فيه أشدّ الامتناع، وزحف رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إليهم في أصحابه، فقاتلهم، فكانوا أشد أهل الشّق رميا للمسلمين بالنّبل والحجارة، ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- معهم حتى أصابت النّبل ثياب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعلقت به، فأخذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- النّبل فجمعها، ثم أخذ لهم كفا من حصى فحصب به حصنهم، فرجف الحصن بهم، ثم ساخ في الأرض، حتى جاء المسلمون فأخذوا أهله أخذا[411]، **جبل مسمران (سمران) (سموان) (شمران) واختط رسول الله ﷺمسجدا له هناك:** وسمران: جبل بخيبر، والعامة تقول له مسمران، وضبطه بعضهم بالشين المعجمة، روى ابن زبالة أن رسول الله ﷺ «صلّى على رأس جبل بخيبر يقال له سمران»[412]، وجاء عند البكري أن النبي ﷺ له مسجد بشمران ومنها: مسجد بشمران- روى ابن زبالة عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: صلّى رسول الله ﷺ على رأس جبل بخيبر يقال له شمران، فثم مسجده من ناحية سهم بني النزار، قال المطري: ويعرف هذا الجبل اليوم بشمران، وقيل: أن رسول الله ﷺ نزل بين أهل الشق وأهل النطاة وصلّى على عوسجة هناك وجعل حولها الحجارة[413]، وقد ورد أنه حصن[414]، وقد مرّ النبي ﷺ بالسبخة وهي أرض بين النطاة والشق في خيبر[415]، وكان للنبي ﷺ فيء من طبران وخاض إلى الوادي المتصل بالوطيح والذي يسمى الكتيبة، وفيه المخاضة التي تتصل بمسجد النبي ﷺ الذي صلى به النبي ﷺ أربعين يوما مقامه كله وهو مسجد المنزلة وهو في أول النطاة، وفيه تصلى الأعياد اليوم، وفيه الصخرة التي صلى إليها النبي ﷺ[416]، وهنك صحن النزار من معالم وادي الشق والنزار التاج بالعبرية، ومن هذا الحصن سُبيت صفية بنت حيي رضي الله عنها[417]، وفي الشق عين تسمى الحقّة[418]، ووادي الشق هو ما يعرف اليوم باسم **وادي أبو وشيع:** **وهو** وادٍ يقرب من وادي الصوير في كثرة نخيله ومياهه، وأبي وشيع من قرى وادي الجلاس (نسبة إلى قبيلة الجلاس من عنزة) أعلاه الجلحاء وأسفله الشق ومن قراه كذلك النطاة وقرية نحا، وهو ما كان يسمى بالشق قديما[419].

وادي الحلحل:

من أودية خيبر الذي تفضي إلى منطقتي النطاة والشق ويمر شمالهما، وهو وادٍ من روافده وادي الخرصة التي دخل النبي ﷺ حصون خيبر عن طريقه[420]، وهو من روافد وادي الحلحال الذي يأتيه من الشرق، ويلتقي بوادي الرجيع جنوب جبل أبو رقبة ويسيران مشكلان رأس وادي الحلحال، ويصف فلبي وادي الحلحال بأنه شمال أو يسار وادي الزايدية وهو وادي تقع في أعلاه الحرضة أو ما أطلق عليه اسم (حوض نقرة الحرضة الكبير)، وفي وادي الحلحال عين القصبة وينبوعها، وتنتشر فيها أشجار القصب الطويل ذات الأزهار المجنّحة، وكذلك تنتشر فيه حقول الذرة والبردي، وفي الأعلى ينظم شعيب السديرة إلى شعيب الزايدية وصولا إلى منطقتي أبو كتيبات والعماير، ومن روافد الحلحال وادي المشقوق الذي يقع عليه سد يحمل الاسم ذاته، لكنه يختلف عن سد الحصيد وسد البنت (الصهباء) لأنه شيد بصورة بدائية من الحجارة وجذوع النخيل والأشجار[421]، ووادي المشقوق من روافد وادي الحلحال الذي يخترق بساتين النخيل بقرب مكيدة، ويقع عليه سد المشقوق وهو من سدود خيبر شرق الشُّريف ويبلغ سمكه خمسة عشر قدما، وارتفاعه ستة أقدام، بني بحجارة غير مشذبة، وقد تهدم من جهته اليمنى ثلاثين ياردة[422]، وفي قول أن وادي الحلحال يخترق بساتين في قرية مكيدة نظر، إلا إذ كانت البساتين التي شمال قرية بشر تضاف لمكيدة وإن كنت استبعد هذا، وفي هذا الشأن يقول البلادي: مكيدة قرية من خيبر بوادي السلمة جنوب غربي الشريف وشمال غربي عطوة عن قرب، وهي البلدة الثانية في خيبر من حيث الكبر، وموقعها جميل ومطل على الوادي وهي لولد علي من عنزه[423].

وادي الكتيبة:

المتأمل في تقسيم خيبر يجده يقسّم على ثلاثة مناطق: النطاة والشق والكتيبة، وهي أودية تضم قرى وحصون ووهاد واسعة، تضم عدة حصون منها: القموص، ثم حصن وجدة، وبه نخل

---

411 البيهقي: **دلائل النبوة**، 4/224-225.

412 السمهودي: وفاء الوفاء، 4/106.

413 معجم ما استعجم: 3/178.

414الصالحي: سبل الهدى والرشاد، 5/123.

415 تنيضب الفايدي: **خيبر**، ص268.

416الحربي: **المناسك**، ص540.

417 سلام شافعي: حصون خيبر، ص35-36.

418الصالحي: سبل الهدى والرشاد، 5/152.

419 البلادي: معجم معالم الحجاز، 9/1808. وانظر: تنيضب الفايدي: خيبر، ص216-221.

420 الديار بكري: تاريخ الخميس، 2/43.

421فلبي: أرض مدين، ص79-85.

422 حمد الجاسر: **في شمال غرب الجزيرة العربية**، ص283.

423 معجم معالم الحجاز: 8/1657.





وأشجار، وهو لرسول الله ﷺ؛ ثم سلالم، ومعظمها لرسول الله ﷺ، ثم الأهيل: جبل فيه آطام ليهود ومزارع وأموال تعرف بالوطيح فيه طعم أزواج رسول الله ﷺ وبنى المطّلب، ثم الوادى المتّصل بالوطيح إلى خلص، كلّه لرسول الله ﷺ يسمّى الكتيبة، والكتيبة من حصون خيبر[424]، وجاء عند ياقوت: كتيبة: بلفظ كتيبة الجيش، وقال أبو عبيد: بالثاء المثلثة، حصن بخيبر، كان خمس الله وسهم رسوله ﷺ وذوي القربى واليتامى والمساكين وطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مشوا بين رسول الله ﷺ وبين أهل فدك في الصلح، وقال الواقدي بعد ذكر فتح الشق والنطاة: ثم إن النبي ﷺ تحول إلى الكتيبة بالوطيخ والسلالم، حصن ابن أبي الحقيق الذي كانوا فيه فتحصنوا أشد التحصن، وجاءهم كل فلّ انهزم من النطاة والشق فتحصنوا معهم في القبوص وهو في الكتيبة، وكان حصنا منيعا في الوطيخ والسلالم، وذكر محاصرة النبي ﷺ لهم أربعة عشر يوما، وهمه بنصب المنجنيق، وسؤالهم الصلح على حقن دماء من في حصونهم وترك الذرية لهم، ويخلون مالهم من مال وأرض والصفراء والبيضاء والكراع والحلقة والبز إلا ثوبا على ظهر إنسان[425]، ويقول ابن إسحاق ثم قسم رسول الله ﷺ الكتيبة هي وادي خاص بين قرابته وبين نسائه وبين نساء ورجال من المسلمين أعطاهم منها[426]، وهنا نجد أن الكتيبة وادٍ وهي امتداد لوادي خاص، وفيما أورده الواقدي من تقسيم الأموال في الكتيبة نجد انه ذكر مالا عظيما فيها[427]، وكان نخل الكتيبة ينتج ثمانية آلاف وسق من التمر[428]، وهذا يدل على أن خيبر كانت ذات أهمية اقتصادية شكل من خلالها اليهود خطرا على الإسلام والمسلمين، ذكر السمهودي نقلا عن الواقدي أن اليهود تحولوا بعد هزيمتهم في الشق والنطاة إلى الكتيبة، في حصونها الوطيح والسلالم وحصن ابن أبي الحقيق القموص، وحاصرهم النبي ﷺ أربعة عشر يوما[429]، أي أنه خلال الحصار كان رسول الله ﷺ يتنقل في جنبات الكتيبة وبين حصونها.

424 البكري: معجم ما استعجم، 521/2. وانظر: الواقدي: المغازي، 155/2.
425 معجم البلدان: 136/4.
426 ابن هشام: السيرة، 298/4.
427 الواقدي: السابق، 155/2.
428 سلام شافعي: **الزراعة في خيبر**، ص24.
429 **وفاء الوفاء**: 159/4. الفيروزبادي: **المغانم المطابة في معالم طابة**، ص356.

الفصل الثامن

الأودية التي سلكها رسول الله ﷺ في شمال المدينة النبوية

في طريق عودته من خيبر - وفتح وادي القرى قرقرة ثبار - وادي الدوم - بقية وادي الغرس

قرقرة ثبار:

من المواضع الجغرافية التي شهدت أحداثا تاريخية قرقرة ثبار، والبعض يسميها القرقرة، وثِبَارُ: بالكسر، وآخره راء: موضع على ستة أميال من خيبر، هناك قَتَل عبدالله بن أنيس ﷺ أسير بن رزام اليهودي، فأما الثّبار بالكسر، فهو جمع ثبرة، وهي الأرض السهلة، يقال: بلغت النخلة من آل ثبرة والثّبرة أيضا: حفرة من الأرض[430]، وأيا كان مسماها فمن يتأمل النصوص التي ورد فيها ذكر هذا الموضع يجد أن أول ذكر لها في السيرة النبوية في غزوة عبدالله ابن رواحة ﷺ لقتل اليسير بن رزام والذي كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله ﷺ فبعث اليه رسول الله ﷺ عبدالله بن رواحة في نفر من أصحابه منهم عبدالله ابن أنيس ﷺ فلما قدموا عليه قربوا له القول ووعدوه ان يستعمله رسول الله ﷺ فخرج معهم فلما كانوا بالقرقرة ندم ففطن له عبدالله بن انيس وهو يريد السيف فاقتحم به وكان رديفه ثم ضربه بالسيف فقطع رجليه وضربه اليسير في رأسه فأمه ثم مالوا على أصحابه من اليهود فقتلوهم إلا رجلا فر على رجليه فلما قدموا على رسول الله ﷺ تفل على شجة عبدالله ابن أنيس فلم تقح[431]، وهذه الرواية توضح أن قرقرة ثبار تقع جنوب خيبر في الطريق الذي يصل بين خيبر والمدينة، وهو الطريق المشهور الذي يسير مع ما يعرف حاليا بحرّة الكورة: وهي الجزء الجنوبي الغربي لحرّة النار أو حرة بني رشيد، وفيها قرى الخريبة والعائد وزبران[432]، وقد ذكرها السمهودي باسم قرقرة تياز[433] ، وووردت ذكر آخر لقرقرة ثبار في أثناء مسير النبي ﷺ لفتح خيبر ونزوله بالصهباء ثم ارتحاله منها متجها شمالا إلى الخرصة، فقد ذكر الفيرزوبادي فيما

430 ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 72/2. الفيروزبادي: **المغانم المطابة ف معالم طابة**، ص79.
431 الواقدي: المغازي، 63/2. ابن هشام: السيرة، 520/4. البيهقي: دلائل النبوة، 294/4. الكلاعي: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، 573/1. ابن سيد الناس: عيون الأثر، 151/2. المقريزي: إمتاع الأسماع، 321/13. الصالحي: سبل الهدى والرشاد، 176/6.
432 عبدالله سكات: خيبر، ص97.
433 وفاء الوفاء: 154/4.





روى الزبير عن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر ومعه دليل من أشجع فسلك بهم صدور الأودية فأدركته الصلاة بالقرقرة فلم يصل حتى خرج منها، فنزل بين أهل الشق وأهل النطاة وصلى إلى عوسجة هناك وجعل حوله حجاز[434]، وقد ورد أن النبي ﷺ قد صلى في الصهباء صلاة العصر والمغرب والعشاء، وسلوك الجيش لصدور الأودية كان بعد ارتحاله من الصهباء متوجها إلى خيبر[435]، وربما كانت صلاته في خيبر هي صلاة الفجر لأن وصوله إلى خيبر كان قريبا من صلاة الفجر وصلاته ﷺ من آخر الليل كانت نافلة كما ذكر الواقدي[436]، كما ورد ذكر قرقرة ثبار في خبر زواج النبي ﷺ بأم المؤمنين صفية بنت حيي رضي الله عنها، فقد ورد أن رَسُولُ اللهِ ﷺ لَمّا خَرَجَ مِنْ خَيْبَرَ، وَقَرّبَ بَعِيرَهَا وَقَدْ سَتَرَهَا النّبِيّ ﷺ بِثَوْبِهِ، أَدْنَى فَخِذَهُ لِتَضَعَ رِجْلَهَا عَلَيْهِ، فَأَبَتْ وَوَضَعَتْ رُكْبَتَهَا عَلَى فَخِذِهِ، فَلَمّا بَلَغَ ثِبَارًا أَرَادَ أَنْ يُعَرّسَ بِهَا هُنَاكَ، فَأَبَتْ عَلَيْهِ حَتّى وَجَدَ فِي نَفْسِهِ، حَتّى بَلَغَ الصّهْبَاءَ فَمَالَ إلَى دَوْمَةٍ هُنَاكَ فَطَاوَعَتْهُ، فقال رسول الله ﷺ: (مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْت حَيْنَ أَرَدْت أَنْ أَنْزِلَ بِثِبَارٍ)، وَثِبَارٌ عَلَى سِتّةِ أَمْيَالٍ وَالصّهْبَاءُ عَلَى اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ خِفْت عَلَيْك قُرْبَ الْيَهُودِ، فَلَمّا بَعُدْت أَمِنْت، فَزَادَهَا عِنْدَ النّبِيّ ﷺ خَيْرًا وَعَلِمَ أَنّهَا قَدْ صَدَقَتْهُ[437]، وقرقرة ثبار هي ما يعرف اليوم بقعقران: وهو قاع كبير محاط بالكامل بالحرّة ما عدا جهته الغربية التي يشرف عليها جبل عطوة، وكما وصفها فلبي أنها تصلح لأن تكون مطارا ومهبطا للطائرات لأنها كما يضفها منطقة منبسطة على مسافة ميلين وسط حقول من اللافا[438]، وورد عند البلادي أن قرقرة ثبار قاع مما يلي المدينة جنوب خيبر على ستة أكيال من خيبر يطؤه طريق المدينة[439] ويقسمه نصفين، ويشرف عليه من الغرب جبل عطوة، يسمى اليوم قاع قعقران ويستغنى عن كلمة قاع ويلفظ قعقران[440]، أما المسافة التي تفصل بين القرقرة وخيبر فقد وردت من علماء وخبراء السير والمغازي والتاريخ على أنها ستة أميال أي قرابة 10 كيلومتر وليس ستة أكيال كما ذكر البلادي، ويعد قاع قعقران من أكبر القيعان وأشهرها على الإطلاق في منطقة خيبر،

434 الفيروزبادي: السابق ص136. السمهودي: السابق، 154/4.
435 يُنظر: الواقدي: السابق، 117/2.
436 السابق: 119/2.
437 الواقدي: المغازي، 166/2.
438 أرض مدين: 57-58.
439 عاتق غيث: معجم معالم الحجاز، 1371/9.
440 عاتق غيث: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص253.

وهو عبارة عن ترسبات طينية مع قليل من الرمل الناعم والحصيات الصغيرة الحجم التي تكونت جراء الترسيب على مدى زمن طويل، وهو أشبه بحوض أو مصب قاعدته صخرية ويبلغ طوله 5 أكيال وعرضه 2 كيلومتر، وتصب فيه الكثير من الأودية والشعاب المنحدرة من سفوح عطوة غربا، ووادي هدنة وما يرفده من أودية السرير جنوبا ومن الجهات الأخرى أودية خيبر[441]، ويكاد يخل قعقران من النباتات فهو قاع يحفظ الماء في وقت نزول الأمطار وإذ جف أصبح قاعا فاضيا يعتريه الصفار ويثور منه الغبار، أما اليوم فقد أصبح جزء كبير منه يحوي مخططات سكنية ومستشفى خيبر العام وبعض الإدارات الحكومية والخدمات.

الخاتمة

وبعد هذا الجهد الذي حاولت فيه رسم صورة واضحة لأودية سلكها نبينا محمد ﷺ في غزواته وسارت معها جيوش الفتح المظفّر ناشرة للإسلام في شمال وشمال شرق المدينة النبوية إلى منطقة خيبر جبالها وحرارها وسهولها ووهادها وأوديتها والتي كانت شاهدا على أحداث حيّة في عصور السيرة النبوية، ومهما تغيرت مسميات تلك الأودية فإن الدلائل في الروايات والأخبار تنبئ الباحث الفطن بتلك الديار التي مر بها الركب المبارك، وإن كنت على يقين وحسن ظن بأن بقية تلك الأماكن سينالها البحث والتقصي وأدعو الله أن يكون لي النصيب الكبر منها لأنال شرف خدمة سيرة سيد البشر محمد الطاهر المطهر ﷺ، وقد تشرفت بهذه الدراسة وخرجت منها بعديد الوصايا والنتائج ومنها:

ضرورة تقصي بقية الأماكن التي سار معها صفوة الخلق ﷺ وتوثيقها لمعرفة التاريخ وتوثيقه لا لشيء آخر، وإعطاء الصورة الناصعة لذلك الموكب المهيب الذي نشر الإسلام وحطم كل طاغية يقف في وجه نشر رسالة الإسلام الخالدة.

حث الباحثين على عقد الندوات عبر مراكز الدراسات المعتمدة لتثقيف الناس بتاريخ صدر الإسلام وعلو كعب المسلمين الذين تحملوا أعباء نشر الرسالة.

اعتماد خطة متكاملة لدراسة أماكن السرايا والبعوث والغزوات دراسة فاحصة دقيقة بعيدا عن العشوائية او تأدية المهمة كمهمة دراسية وليست مهمة بحثية الهدف منها أولا خدمة

441 حمد حميد الرشيدي: خيبر القديمة وأهميتها التاريخية، ص24-25. تنيضب الفايدي: خيبر، ص270.



العلم وخدمة سيرة سيدنا محمد ﷺ وتوثيق تاريخ عصر السيرة توثيقا صحيحا بعيدا عن الاجتهادات التي ربما لا يوفق الكثير ممن يقوم بها لما يصبوا إليه.

استغلال الكوادر العلمية الفاهمة والعارفة بأصول البحث والبعد عن متسلقي التاريخ لخدمة أهدافهم الشخصية، فالهدف من توثيق السيرة وعصر صدر الإسلام هو استخلاص الدروس والعبر وفهم منهج سلفنا الصالح في حدمة العقيدة ونشر الإسلام على الوجه الصحيح.

عرض بعض المشاريع البحثية على جهات متخصصة ليكون هناك تعاونا بين الباحثين وتلك الجهات حرصا على خروج البحوث بصورة مميزة تخدم الوطن وتوثق الحقائق.

يجب أن يكون هناك مشروع تصحيح تاريخ المدينة مما علق به من أكاذيب وتزوير وخلط بين الأحداث، وهذا لا يتم إلا بالعمل مع جهات متخصصة ورجال ثقات يخدمون التاريخ بأنفسهم ولا يوكلون أعمالهم لغيرهم.

هذه بعض التوصيات التي رأيت أن اطرحها في نهاية هذا البحث لعل الله أن ينفع بها.

ملحق الخرائط والصور

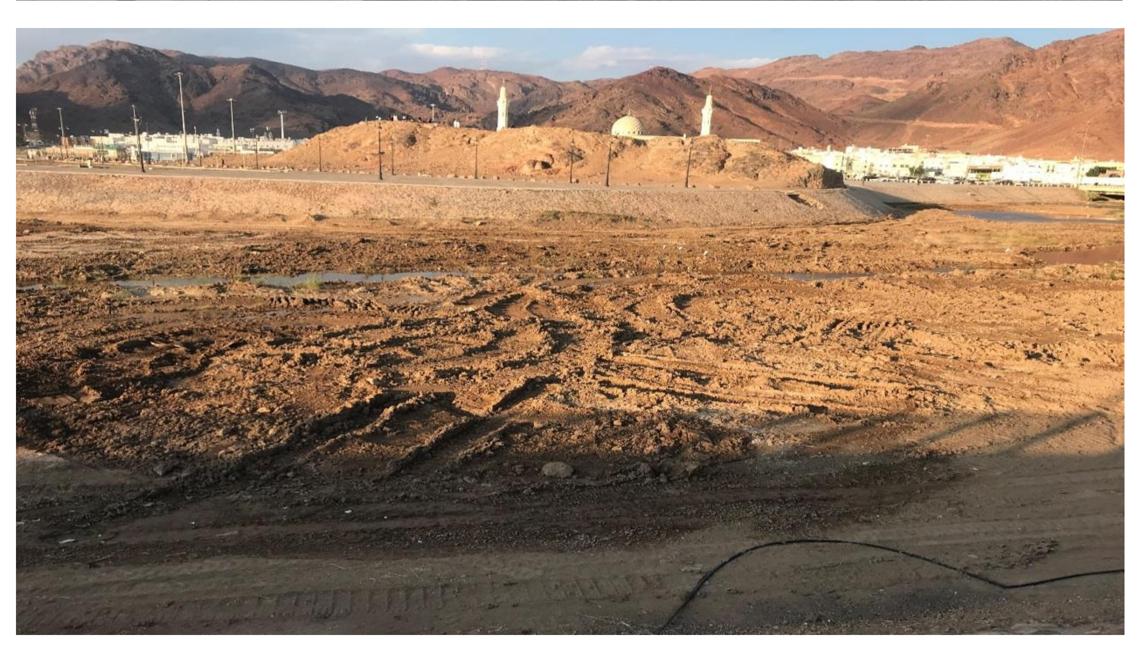
وادي قناة





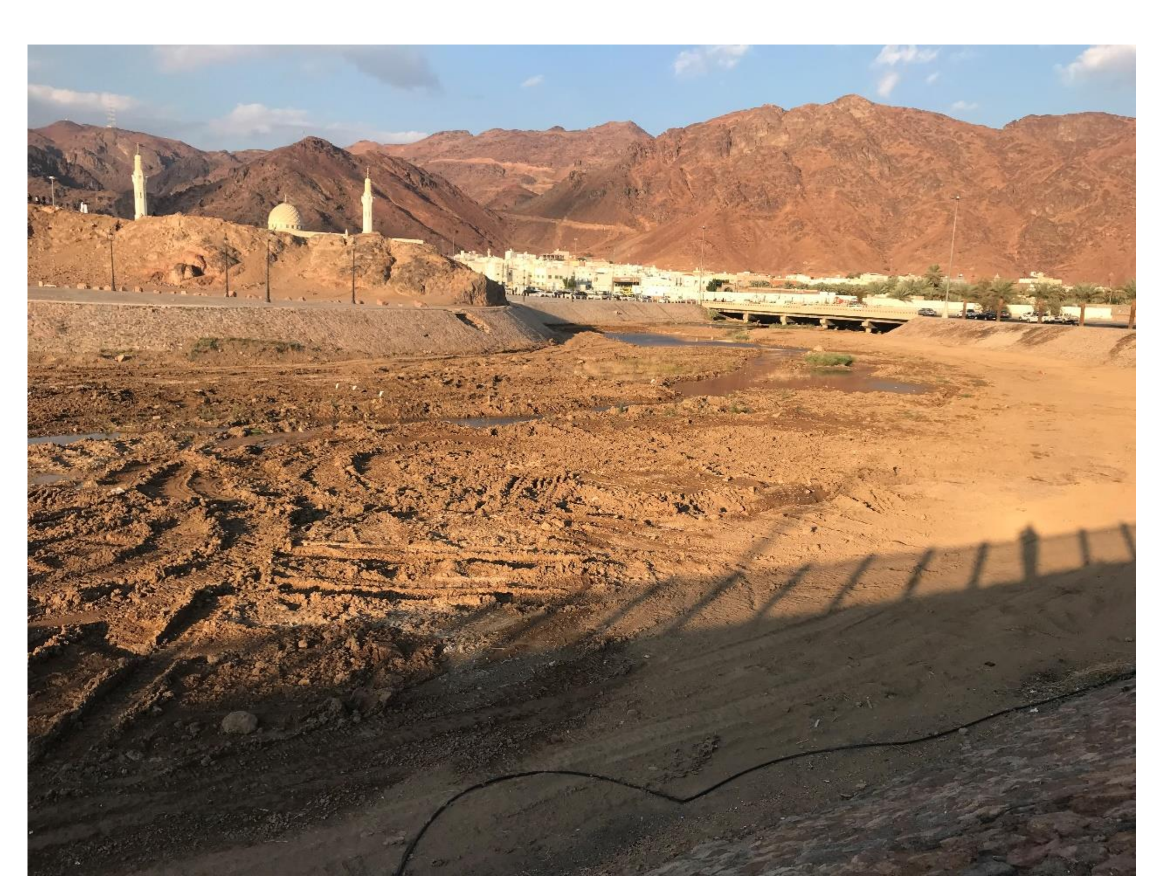






















منطقة الأعوص والقزاز وذي قرد



















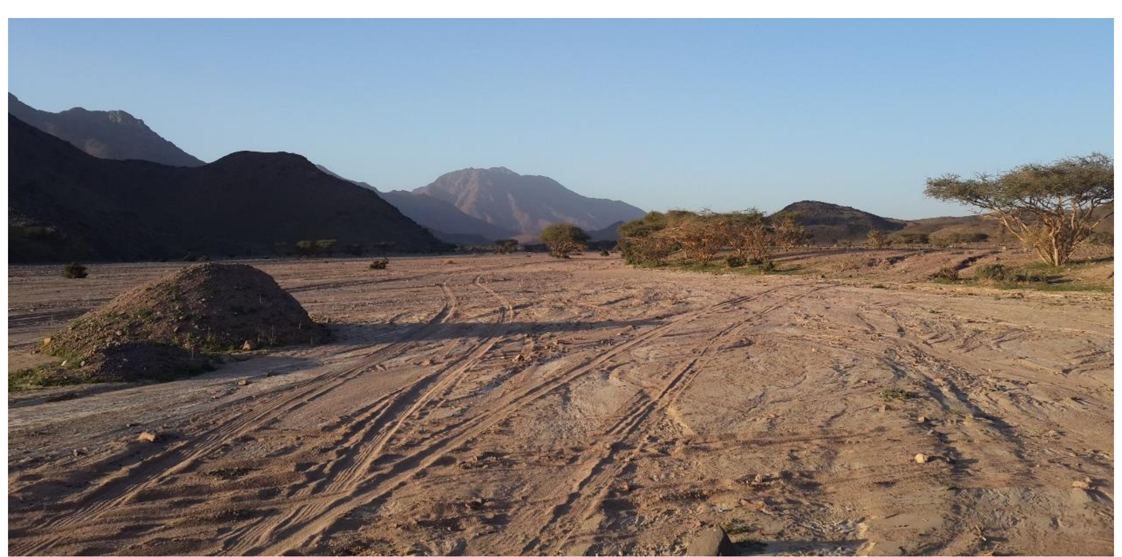
































وادي اللحن





وادي الغرس والحصيد



























وادي السرير وملحقاته




















عشرة
العشاش
سمحة
العيينة
برمة
خيبر
الثمد
15
الصلصلة





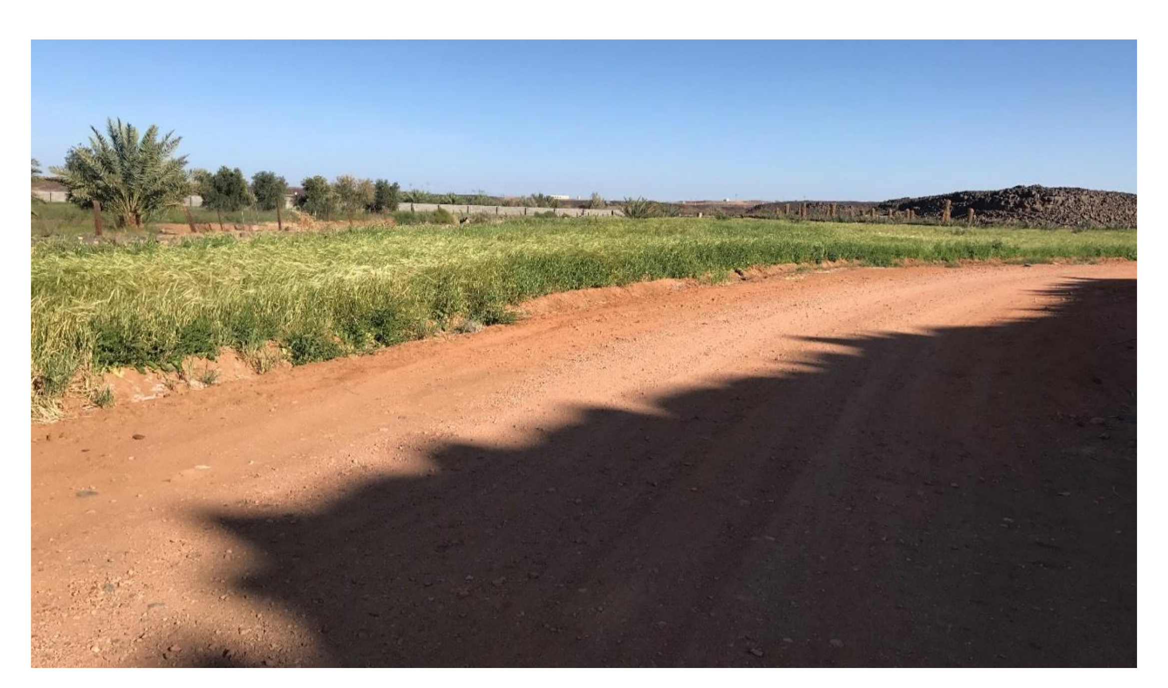


































المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. ابن الأثير: علي بن محمد بن محمد الشيباني "المعروف بابن الأثير الجزري" (ت630):
   أ. **أسد الغابة**، تحقيق: علي محمد معوض وآخر، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.
   ب. **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1403هـ-1983م.
   ج. **النهاية في غريب الأثر**، تحقيق: طاهر الزاوي وآخر، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ.
2. الأزهري: محمد (370هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد مرعي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م.
3. ابن إسحاق: محمد: **كتاب السير والمغازي**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط1، 1398هـ.
4. الألوسي: محمود شكري (ت1342هـ): **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق: محمد بهجة الأثري، د.د.ن، ط2، د.ت.
5. البخاري: إسماعيل بن إبراهيم (ت256هـ): **صحيح البخاري**، ترقيم: محمد عبدالباقي، تقديم: أحمد شاكر، مكتبة بيت السلام، الرياض، ط1، 1429هـ.
6. البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ):
   أ. **أنساب الأشراف**: تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ.
   ب. **فتوح البلدان**: تحقيق: عبدالله أنيس الطباع وآخر، مؤسسة المعارف – بيروت، د.ط، 1407هـ.
7. البكري: عبدالله بن عبدالعزيز (ت487هـ): **معجم ما استعجم في أسماء البلاد والمواضع**: تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب – بيروت، ط3، 1403هـ.
8. ابن أبي الدنيا: **العقوبات**، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 1416هـ.
9. البيهقي: أحمد بن الحسين (ت458هـ): **دلائل النبوة**، تحقيق: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، بيروت، ط1، 1408هـ.
10. الحازمي: محمد الحازمي (ت 584هـ): **الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة – الرياض، 1415هـ.
11. الحاكم: محمد بن عبدالله (ت405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1422هـ.
12. ابن حبيب: محمد بن حبيب بن أمية (ت245هـ):
   أ. **المحبّر**، تحقيق: إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
   ب. **المنمّق في أخبار قريش**، تحقيق: خورشيد فاروق، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1405هـ.
13. الحربي: إبراهيم: **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة – الرياض.
14. الحموي: ياقوت (ت626هـ):
   أ. **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1406هـ.
   ب. **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397 هـ.
15. الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت900هـ): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، ناصر للثقافة – بيروت، ط2، 1980م.
16. الحميري: نشوان بن سعيد (ت573هـ): **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تحقيق: حسين العمر وآخرين، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط1، 1420هـ.
17. ابن حنبل: أحمد بن محمد (ت241هـ): **مسند الإمام احمد**: تحقيق شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد وآخرون، إشراف: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1416هـ.
18. ابن خلدون: عبدالرحمن (ت 808هـ): **تاريخ ابن خلدون المسمى "ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"**، تحقيق: خليل شحادة و سهيل زكار، دار الفكر بيروت، ط1، 1421هـ.
19. ابن دريد: محمد بن الحسن (ت321هـ): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي بلعبكي، دار العلم للملايين – بيروت، ط1، 1987م.
20. الديار بكر: حسين بن محمد (ت966هـ): **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، دار صادر، بيروت.
21. الذهبي: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ):
   أ. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1424هـ.
   ب. **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط- وإبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1417هـ.
   ج. **المقتنى في سرد الكنى**، تحقيق: محمد المراد، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1،1408هـ.
22. الزبيدي: محمد المرتضى (ت1205هـ) **تاج العروس من جواهر القاموس**: تحقيق: عبدالستار فراج، وزارة الإعلام – الكويت.
23. الزرقاني: محمد بن عبدالباقي (ت1122هـ): **شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**، دار الكتب العلمية -بيروت، ط1، 1417هـ.
24. الزركلي: خير الدين (ت 1396هـ): **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، مايو 2002م.
25. الزمخشري: محمود بن عمرو (ت538هـ):
   أ. **الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق**: أحمد عبدالتواب، دار الفضيلة – القاهرة، 1419هـ.
   ب. **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي البيجاوي وآخر، دار المعرفة – لبنان، ط2.
26. الزهري: محمد بن سعد بن منيع الزهري(ت230هـ): **كتاب الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421هـ.





27. السجستاني: سليمان بن الأشعث (ت 275): **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط2، 1417هـ.
28. السمهودي: نور الدين علي بن عبدالله(ت911هـ): **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى** "ﷺ"، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة – والمدينة، ط1، 1422هـ.
29. السهيلي: عبدالرحمن بن عبدالله (ت581هـ): **الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام**، تحقيق: مجدي الشوري، دار الكتب العلمية – بيروت.
30. ابن سيد الناس: **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، تعليق: إبراهيم رمضان، دار القلم - بيروت، ط1، 1414هـ.
31. ابن سيدة: علي بن إسماعيل (ت 458): **المحكم المحيط**، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ.
32. ابن أبي شيبة: عبدالله العبسي(ت235هـ): **المصنف لابن أبي شيبة**، تحقيق: أسامة إبراهيم محمد، الفاروق الحديثة – القاهرة، ط1، 1429هـ.
33. الصالحي: محمد بن يوسف (942هـ): **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: فهيم شلتوت – جودة هلال، وزارة الوقاف المصرية – القاهرة، د.ط، 1413هـ.
34. الصنعاني: عبدالرزاق بن همّام(ت211): **المصنّف**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، باب أصحاب رسول الله ﷺ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1403هـ.
35. الطبري: محمد بن جرير (ت310): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، 1390هـ.
36. العاصمي: عبدالملك (ت1111هـ): **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل عبدالجواد – وعلي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1419هـ.
37. ابن عبدالبر: يوسف بن عبدالبر النميري القرطبي (ت463):
    أ. **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، دار الفلك، بيروت – لبنان، د.ط، 1406هـ.
    ب. **الدرر في اختصار المغازي والسير**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط2، 1403هـ.
38. العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852): **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عبدالله ابن عبدالمحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بيروت، ط1، 1429هـ.
39. العصفري: خليفة بن خياط (ت240): **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط2، 1405هـ.
40. العيني: بدر الدين (ت855هـ): **نخب الأفكار في تنقيح مباني الأفكار في شرح معاني الآثار**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط1، 1429هـ.
41. الصفدي: صلاح الدين خليل (ت764هـ): **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وآخر، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ.
42. الفراهيدي: الخليل بن أحمد (ت170هـ): **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وآخر، مكتبة الهلال.
43. الفيروزبادي: محمد بن يعقوب (ت 817): **المغانم المطابة من معالم طابة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، ط1، 1389هـ.
44. القزويني: زكريا بن أحمد (ت682هـ): **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر - بيروت.
45. القسطلاني: أحمد بن محمد (923هـ): **المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية**، المكتبة التوفيقة – القاهرة.
46. القطيعي: عبدالمؤمن عبدالحق (739هـ): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار الجيل – بيروت، ط1، 1412هـ.
47. القلقشندي: أحمد بن علي (ت831هـ): **نهاية الأرب في أنساب العرب**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1433هـ.
48. ابن قيم الجوزية (ت751هـ): **زاد المعاد في هدي خير العباد**: تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3، 1408هـ.
49. ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير (ت774):
    أ. **البداية والنهاية**، تحقيق : أحمد أبو ملحم وعلي نجيب و فؤاد السيد و مهدي ناصر الدين وعلي عبدالستار، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان، ط1، 1405هـ.
    ب. **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبدالواحد، دار المعرفة – بيروت، د.ط، د.ت.
50. الكلاعي: سليمان بن موسى (ت634هـ): **الاكتفاء بما تضمنته من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، تحقيق: محمد كمال الدين، عالم الكتب – بيروت، ط1، 1417هـ.
51. المسعودي: علي بن الحسين بن علي(ت 345): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، 1428هـ.
52. المطري: جمال الدين محمد أحمد: **التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تحقيق: سليمان الرحيلي، دارة الملك عبدالعزيز – الرياض، ط1، 1426هـ.
53. المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي (ت 845):
    أ. **إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: محمد عبدالحميد النيمسي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1420هـ.
    ب. **الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك**، مكتبة الثقافة الدينية – بور سعيد، ط1، 1420هـ.
54. ابن منصور: سعيد بن شعبة (227هـ): **سنن سعيد بن منصور**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الدار السلفية – الهند، ط1، 1403هـ.
55. المهلب: بن أبي صفرة (435هـ): **المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح**، تحقيق: أحمد السلوم، دار التوحيد – الرياض، ط1، 1430هـ.
56. ابن منظور: محمد بن مكرم (ت711): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط1.



57. ابن النجار: محمد بن محمود بن الحسن(ت643): **الدرة الثمينة في أخبار المدينة**، تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
58. النميري: عمر بن شبة (ت262):
أ. **تاريخ المدينة النبوية**، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ.
ب. **تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق: فهيم شلتوت، طبع على نفقة السيد حبيب محمود، ط2، 1402هـ.
59. النيسابوري: مسلم بن حجاج النيسابوري (ت261): **صحيح مسلم**، دار ابن حزم، القاهرة، ط1، 1429هـ.
60. الهرثمي: (عاش إلى ما بعد 234هـ): **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبدالرؤوف عون، المؤسسة المصرية العامة للترجمة والتأليف – القاهرة، د.ط، د.ت.
61. ابن هشام: عبدالملك بن هشام بن أيوب (ت218): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا - وإبراهيم الابياري - وعبدالحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط3، 1423هـ.
62. الهمداني: ابن الحائك الحسن بن أحمد (ت334هـ): **صفة جزيرة العرب**، مطبعة بريل ليدن، 1884م.
63. الواقدي: محمد بن عمر (207هـ):
أ. **المغازي**: تحقيق: عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 2434هـ.
ب. **المغازي**: تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط3، 1409هـ.
64. وكيع: محمد بن خلف بن حبان (ت306هـ): **أخبار القضاة**، تحقيق سعيد محمد اللحام، عالم الكتب – بيروت، د.ط، د.ت.
65. اليحصبي: القاضي عياض بن موسى (ت544هـ): **مشارق الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة – تونس – دار التراث – القاهرة.
66. اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت292): **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: عبدالأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات – بيروت، ط1، 1431هـ.
67. أبو يعلى: أحمد بن علي (ت307هـ): **مسند أبي يعلى**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المامون للدراسات – دمشق، ط1، 1404هـ.

المراجع

68. إبراهيم عبدالعزيز الجميح: **قضاة المدينة ومكة في العصر الأموي**، سلسلة أبحاث مركز البحوث بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبدالعزيز – جدة، 1425هـ.
69. إبراهيم علي العياشي: **المدينة بين الماضي والحاضر**، مكتبة الثقافة – المدينة المنورة، ط2، 1414هـ.
70. إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، دار الدعوة – القاهرة.
71. أحمد إبراهيم الشريف: **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ**، دار الفكر العربي – القاهرة، 1426هـ.
72. أحمد أحمد غلوش: **السيرة النبوية والدعوة في العهد النبوي**، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط1، 1424هـ.
73. أحمد علي المجدوب: **المستوطنات اليهودية في عهد الرسول ﷺ**، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، 1992م.
74. إسرائيل ولفنسون: **تاريخ اليهود في بلاد العرب "في الجاهلية وصدر الإسلام"**، مطبعة الاعتماد1345هـ.
75. أكرم ضياء العُمري: **السيرة النبوية الصحيحة**: مكتبة العبيكان، ط8، 1430هـ.
76. تشالز دوتي: **ترحال في صحراء الجزيرة العربية**، ترجمة: صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة – القاهرة، ط2، 2009م.
77. تنيضب الفايدي:
أ. **الأودية والآبار في مدينة المختار**، دار المفردات للنشر – الرياض، ط1، 1442هـ.
ب. **خيبر الغزوة والمحافظة والسياحة**، مراجعة: محمد الشيباني وشمس الله الجلالي، كرسي الملك سلمان ابن عبدالعزيز لدراسات تاريخ المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، ط1، 1435هـ.
78. جواد علي: **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، جامعة بغداد – بغداد، ط2، 1413هـ.
79. مايكل جيلمور وآخرون: **تقرير مبدئي عن استكمال مسح المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية 1401هـ - 1981م**، مجلة أطلال، العدد السادس.
80. حسين أحمد الباكري: **مرويات غزوة أحد جمع وتحقيق ودراسة**، رسالة علمية مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة شعبة السنة المشرفة لنيل درجة الماجستير، إشراف: أكرم ضياء العُمري، عام 1399-1400هـ.
81. حسين مؤنس: **نسب قريش**، الدار السعودية- جدة، ط1، 1408هـ.
82. حمد الجاسر:
أ. **رسائل في تاريخ المدينة**، دار اليمامة، الرياض – المملكة العربية السعودية، 1392هـ.
ب. **في شمال غرب الجزيرة** (نصوص – مشاهدات – انطباعات)، ط1، 1390هـ.
83. حمد حميد فحيمان الرشيدي:
أ. **خيبر القديمة وأهميتها التاريخية**، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2016م.
ب. **خيبر ومعالمها في الشعر العربي**، دار الكفاح – الدمام، ط1، 2014م.
84. رياض مصطفى شاهين: **النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ**، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة- فلسطين، المجلد الثالث عشر، العدد الثاني، يونيو 2004م.
85. زينب أحمد الفوتي: **مآثر طيبة في سطور**: الرئاسة العامة لتعليم البنات، التوجيه التربوي بإدارة تعليم المدينة المنورة بنات.



86. سعد عبدالعزيز الراشد: **دراسات في الآثار الإسلامية المبكرة بالمدينة المنورة**، مؤسسة الجزيمي – الرياض، ط1، 1421هـ.
87. سعيد فايز السعيد: **حملة الملك البابلي نبونيد على شمال غرب جزيرة العرب**، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثامن – شعبان، 1421هـ.
88. سعيد محمد الأفغاني: أسواق العرب في الجاهلية والإسلام. (كتاب أشبه بالوورد).
89. سلام شافعي محمود:
أ. **حصون خيبر في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ دراسة تاريخية لأهم الحصون وعقيدة الحرب والقتال عند يهود خيبر**، دار منشأة المعارف- الإسكندرية، د.ط، 1409هـ.
ب. **النشاط الزراعي في خيبر في الجاهلية وحتى نهاية عهد عمر**، منشأة المعارف – الإسكندرية، 1407هـ.
90. شرف الدين أحمد حسين: **المدن والأماكن الأثرية في شمال وجنوب الجزيرة العربية**، مطابع الفرزدق التجارية – الرياض، ط1، 1404هـ.
91. شرف القضاة: **مسافة قصر الصلاة في السنة النبوية**، كلية الشريعة بالجامعة الأردنية، عمان، 2006م.
92. صالح أحمد العلي: **الحجاز في صدر الإسلام (دراسات في أحواله العمرانية والإدارية)**، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1410هـ.
93. صالح بن حامد الرفاعي: **الأحاديث الواردة في فضائل المدينة جمعا ودراسة**، مركز بحوث ودراسات المدينة – المدينة المنورة، ط6، 1434هـ.
94. صفي الرحمن المباركفوري: **الرحيق المختوم "بحث في السيرة النبوية"**، دار السلام – الرياض.
95. صيفي عيسى الشلالي: **هذه خيبر**، الهيئة السياحة العامة للسياحة والتراث الوطني، الرياض، ط1، 1439هـ.
96. طقوش محمد سهيل: تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس – بيروت، ط1، 1430هـ.
97. ظاهر ذباح الشمري: **لمحة عن الأحوال الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام**، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، المجلد الرابع، العدد الثاني.
98. عاتق غيث البلادي:
أ. **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، دار مكة – مكة المكرمة، ط1، 1402هـ.
ب. **معجم معالم الحجاز**، دار مكة – مكة المكرمة، ط2، 1331هـ.
99. عبدالحميد علي فقيهي: **خلافة علي بن أبي طالب ﷺ دراسة نقدية للروايات من خلال كتب السنة والتاريخ**، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1427هـ.
100. عبدالرحمن حسن حبّنكة الميداني: **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، الدار الشامية – بيروت، ط1، 1416هـ.
101. عبدالرحمن الطيب الأنصاري: **خيبر الفتح الذي سُر به النبي ﷺ**، دار القوافل – الرياض، د.ط، 1427هـ.
102. عبدالرحيم عبدالرحمن: **تاريخ الدولة السعودية الأولى**، دار الكتاب الجامعي – القاهرة، ط6، 1418هـ.
103. عبدالعزيز إبراهيم العمري: **الحرف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ**، دار أشبيليا – الرياض، ط1، 1422هـ.
104. عبدالعزيز سليمان السلومي: **الواقدي وكتابه المغازي منهجه ومصادره**، عمادة البحث العلمي – بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط1، 1425هـ.
105. عبدالسلام محسن آل عيسى: **بحوث محكّمة في السيرة النبوية**، مركز البصائر للبحث العلمي، ط1، 1436هـ.
106. عبدالقدوس الأنصاري: **آثار المدينة المنورة**، وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية، ط6، 1435هـ.
107. عبدالله سالم الخلف: **مجتمع الحجاز في العصر الأموي**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة – المدينة المنورة، ط1، 1422هـ.
108. عبدالله سكات الرشيدي:
أ. **أثر تشيع المسعودي فيما أورده عن العصرين الراشدي والأموي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر –عرض ونقد-**، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة قسم التاريخ الإسلامي، إشراف: عبدالعزيز محمد نور ولي، عام 1432هـ - 1433هـ.
ب. **الأدلاء في عصر السيرة النبوية.**
ج. **خيبر من عصر ما قبل الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية دراسة حضارية تاريخية**، النشأة حتى نهاية العصر الأموي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ط1، 1440هـ.
د. **سوق النطاة.**
هـ. **الصهباء مكان نزول النبي ﷺ في طريقه لفتح خيبر وعودته منها - مكانها – حدوده – آثارها**، مجلة جوش للدراسات الإنسانية، العدد الثاني، 1442هـ.
ز. **غزوة ذي قرد دراسة ميدانية تاريخية.**
109. عبدالله الضراب: **وادي القرى**، صحيفة الجزيرة – المملكة العربية السعودية - الرياض، العدد (13716)، الأحد 1431/5/4هـ.
110. عبدالله محمد السيف: **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، مؤسسة الرسالة-بيروت-، ط3، 1403هـ.
111. عبدالله محمد الشايع: **طريق الأخرجة من فيد إلى المدينة المنورة**، دارة الملك عبدالعزيز – الرياض، 1433هـ.
112. عبدالجبار عبدالله وآخر: **قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي**، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، 1400هـ.
113. عبدالمحسن بن حمد العباد: **شرح سنن أبي داود**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، وتم تسجيل محتواها على المكتبة الشاملة.
114. عرفان محمد حمّور: **سوق عكاظ ومواسم الحج**، مؤسسة الرحاب الحديثة – بيروت، ط1، 2000م.
115. علي بن القاسم البيهقي المعروف بابن فندق: **الأنساب والألقاب والأعقاب**، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة المرعشي النجفي، ط2، 2007م.





116. عمر رضا كحالة (1408هـ): **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط8، 1418هـ.
117. عمر الفاروق السيد رجب: **الحجاز "المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية" أرضه وسكانه دراسة إيكولوجية**، دار الشروق – جدة، ط2، 1400هـ.
118. ابن عنبة: **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب**، دار كنان – دمشق، 2005م.
119. عوض أحمد الشهري: **مرويات غزوة خيبر جمع وتحقيق ودراسة**، رسالة علمية مقدمة إلى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدراسات العليا قسم الحديث لنيل درجة الماجستير، إشراف: السيد محمد الحكيم، عام 1399-1400هـ.
120. غورماني: كارلو كلاويديو (1302هـ): **نجد الشمالية رحلة من القدس إلى القصيم**، ترجمة: أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للتراث والثقافة – أو ظبي، ط1، 1430.
121. فاضل عبدالله رضوان: **موقف يهود خيبر وشمال الحجاز من الدولة الإسلامية إلى إجلائهم في عهد عمر ﷺ**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بمكة المكرمة، إشراف: محمد محمد زيتون، عام 1408هـ.
122. فتحي محمد أبو عيانة: **دراسات في جغرافية شبه جزيرة العرب**، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية، د.ط، 1994م.
123. محمد أحمد باشميل: **غزوة خيبر**، المكتبة السلفية، ط1، 1398.
124. محمد باقشيش أبو مالك: **مغازي موسى بن عقبة**، جامعة بن زهر – أكادير المغرب، 1994م.
125. محمد بيومي مهران: **دراسات في تاريخ العرب القديم**، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.
126. محمد حسن شراب: **المعالم الأثيرة في السنة والسيرة**، دار القلم – دمشق، ط1، 1411هـ.
127. محمد حشمت العباسي: **المسائل العقدية المستنبطة من غزوة خيبر**، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم العقيدة، إشراف: أحمد بن علي عبدالعال، عام 1428هـ.
128. محمد بن صالح العسكر: **علاقة القبائل العربية المقيمة حول المدينة بالدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 1426هـ.
129. محمد ضيف الله البطاينة: **الحياة الاقتصادية في العصور الأولى**، دار طارق.
130. محمد عبدالهادي الشيباني: **علاقة المسلمين بالقبائل المحيطة بالمدينة في العهد النبوي**، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المدينة المنورة.
131. محمد محمد أبو شهبة: **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، دار القلم – دمشق، ط8، 1427هـ.
132. محمد محمد العواجي: **مرويات الإمام الزهري في المغازي**، ط1، 1425هـ.
133. محمد ناصر الدين الألباني:
    أ. **ظلال الجنة في تخريج السنة**، المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ.
    ب. **صحيح سنن أبي داود**، مكتبة المعارف – الرياض، ط1، 1419هـ.
134. محمود سعيد البوطي: **فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة**، دار الفكر – دمشق، ط25، 1426هـ.
135. محمود طه أبو العلا: **جغرافية شبه الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية)**، مطبعة لجنة البيان العربي – القاهرة، ط1، 1965هـ.
136. معطي علي حمد: **تاريخ العرب الاقتصادي قبل الإسلام**، دار المنهل اللبناني - بيروت، ط1، 1423هـ.
137. مهيوب غالب كليب: **الصلات التجارية بين جنوب شبه الجزيرة العربية ومناطق الهلال الخصيب ومصر من خلال الألف الأول قبل الميلاد**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 21، العدد الأول والثاني، 2011م.
138. نجوى محمد محمد إكرام: **النشاط التجاري عند المجتمعات العربية في شمال غرب الجزيرة العربية في عصر ما قبل الإسلام – دراسة تاريخية حضارية**، رسالة علمية مقدمة لجامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، إشراف أحمد الصابون.
139. نجيب الكيلاني: **على أبواب خيبر**، دار البشير للثقافة -طنطا، ط1، 2001م.
140. نوره إبراهيم الظويهر: **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في خيبر خلال العهد النبوي والراشدي وأثر اليهود**.
141. هاري سانت فلبي: **أرض مدين**، تعريب: يوسف مختار أمين، مكتبة العبيكان، ط1، 1424هـ.
142. هيئة المساحة الجيولوجية السعودية: موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط1، 1224هـ.





إسهامات علماء اليمن في علم الطب
في عصر الدولة الطاهرية858-945هـ

أ.مشارك.د. محمد منصور علي بلعيد

جامعة أبين. اليمن

المقدمة:

أسهم المسلمون في مجال العلوم بقدر واسع خلال العصر الإسلامي، فتنوعت نتاجاتهم العلمية في المجالات المختلفة، وحظي علم الطب بالنصيب الوافر في ذلك النتاج العلمي؛ نظرًا للحاجة الملحة إليه مجتمعيًا.

إن الحضارة الإسلامية كانت رسالة سلام للعالم، فأسهمت في نقل المعارف المختلفة للشعوب وترجمتها والاستفادة منها، ثم نقلها للعالم في العصور الحديثة، فشكل ذلك نقلة حضارية لعلم الطب الحديث، فعليه أنكبوا دراسة وتأليفًا وتطبيقًا فاثمروا للعالم طبًا متقدمًا يحاكي الواقع المعاش اليوم.

إننا وبنظرة منصفة اليوم ننظر إلى ما قدمه العرب في علوم الطب نظرة إكبار واجلال وتقديس لما قدموه مراعين في ذلك صعوبة العصر الذي عاشوا فيه وندرة المعلومات وقلة العلماء الأكفاء، ومع ذلك فقد تركوا لنا إرثًا يؤكد على الدرجة العالية التي بلغوها في علم الطب.

إنه وبالنظر إلى علوم الطب في اليمن فإننا نجدها صورة حية ومشرفة لما بلغه علم الطب في العالم الإسلامي بشكل عام؛ فضلًا عن إنها كانت صورة ونموذجًا للحضارة الإسلامية في اليمن ولا سيما خلال العصر الرسولي(26-858هـ)، وما تلاه من عصر بني طاهر(858-945هـ) الذين ورثوا كل التراث الرسولي في العلوم، ومنها علم الطب بمجالاته المختلفة.

الدراسة تسلط الضوء على الطب في العصر الطاهري ولم تغفل الدور الذي أسهم به العصر الرسولي في الوصول بعلم الطب إلى درجة متقدمة خلال العصر الطاهري، والحق أن علم الطب على الرغم من أهميته لم نجد اهتماما من قبل المصادر في ذكره وذكر المشتغلين به كما هو الحال في العلوم الدينية الأخرى المرتبطة بشعائر العامة، التي فصلت في تناول أعلامها ودورهم؛ لذلك فالباحث تتبع مختلف مظان المصادر وكتب التراث ومصادر فهارس التراث؛ لما لها من أهمية في تتبع مختلف العلوم والعلماء، وهو ما أعطى للباحث فكرة شاملة حول تطور العلم في مدة الدراسة.

قُسمت الدراسة على تمهيد وعدة مباحث، تناول التمهيد علم الطب والتعريف به، وتطور علم الطب في اليمن في العصور السابقة للعصر الطاهري، وتناول المبحث الأول العوامل التي أسهمت في تطور علم الطب في اليمن في العصر الطاهري وقسمت إلى عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وبيئية، وتناول المبحث الثاني الإرث الرسولي على علم الطب في العصر الطاهري من خلال تتبع أماكن التطبيب والمراكز الطبية وتشجيع سلاطين بنو رسول لعلم الطب ودورهم في تطور علم الطب في عصرهم، وتناول المبحث الثالث علم الطب في العصر الطاهري مع إعطاء نظرة على الوضع في العصر الطاهري، الأطباء واماكن التطبيب والمدارس الطبية، أهم الأطباء، وأهم العلماء ودورهم في علم الطب تأليفًا وتدريسًا، ومعالجة الأمراض المختلفة، وتناول الفصل الرابع أنموذجًا لعلماء الطب من مدرسة زبيد وآخر من مدرسة حضرموت من خلال مؤلفاتهم الطبية.

الحق أن هذه الدراسة ستسهم في إلقاء الضوء على علم الطب في اليمن في عصر الدولة الطاهرية والتأثيرات الرسولية في اليمن، هي مقدمة لدراسات اعمق في العلوم الطبية في اليمن بشكل عام.

تمهيد:

1- علم الطب:

هو العلم الذي ينظر في بدن الإنسان من حيث مرضه وصحته، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما لكل مرض من الأدوية[1].

تمت الحاجة إلى التداوي والتطبيب، مع حاجة الإنسان إلى الاستمرار والبقاء كغريزة إنسانية، ويُعدّ تاريخ الطب أقدم فروع

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة أبن خلدون ، تح، درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1423هـ-2002م، ص 478.



تاريخ العلوم[2]، وكان للعرب مشاركة في هذا العلم عبر تاريخهم بمختلف مراحله، وقد ترجم ابن أبي أصيبعة في كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) ميراث هذه الأمة وصلتها بمختلف المجتمعات البشرية[3].

2- تطور علم الطب في اليمن:

علم الطب من العلوم القديمة المرتبطة بالإنسان مباشرة، ولليمن دور أساسي في تطور العلوم المختلفة، وفي مجال علم الطب أشار إلى دور سحرة أهل اليمن في اكتشاف هذا العلم(4)، يبدو أن ذلك من جوانب الجهل وعدم المعرفة خلال القرون السالفة بأهمية علم الطب لذلك كانت معظم ما يجهل من خوارق العادة والأساطير والجن والسحر وغير ذلك.

كان لأهل اليمن إسهام فيه منذ القرنين الثالث والرابع الهجريين، ويعد الهمداني (ت بعد 334هـ) أهم علمائه، وأشار إليه نشوان الحميري بأن تصانيفه في علم الطب والنجوم شاهدة وله كتاب باسم القوى[5]، فضلًا عن أن مدنًا كالمهجم[6] وجبلة كان بها عدد من الأطباء منذ القرن السادس الهجري يعالجون الأمراض ويرحل إليهم المرضى للتطبيب كالعلامة عمرو بن عبدالله السري(عاش في القرن السادس الهجري) الذي أصيب بحبوب في وجهه مثل الدماميل وقصد مدينة جبلة للتداوي[7] وكذا كان بالمهجم طبيب ماهر وله علم بطب العيون، ويجري عمليات قدح العيون ويأخذ المال نظير عمله، استجلبه تلميذ الفقيه ابن عبدويه (437-525هـ) إلى كمران لعلاج شيخه[8].

كذلك نجد أن أهل عدن مارسوا الطب عمليًا ونظريًا[9]، ففي القرنين الخامس والسادس الهجريين، ظهرت مدرسة طبية برز فيها عدد من علماء الطب، منهم الشريف أبو الفضل درس علم الطب وتتلمذ عليه محمد بن الحسن بن علي التيمي الفارسي(ت: 676هـ)[10].

برزت مدرسة عدن الطبية في القرن السابع الهجري، وبرز من علمائها المجودين محمد بن الحسن التيمي الفارسي(11)، درس الطب عن الشريف أبي فضل، ومن المحتمل أنه اشتغل بهذا العلم عمليًا ونظريًا بتدريسه، فقد أُشير إلى أن له مؤلفاتٍ في هذه العلم وكتابًا في معرفة السموم وكتابًا في الطب البيطري عنوانه (التبصرة في علم البيطرة)(12) وله أيضاً في هذا العلم (الدرة المنتخبة في الأدوية المجربة)(13).

المبحث الأول: العوامل التي ساعدت على تطور علم الطب وشيوعه:

اولاً: العامل السياسي والعسكري:

1- اهتمام الدولة:

مما لا شك فيه أن الدولة الطاهرية أولت علم الطب اهتمامًا كبيرًا وخاصة للأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة، هذا الاهتمام ورثته من الأرضية التي تركها لهم بنو رسول في هذا العلم

([2]) الشمري، محمد كريم إبراهيم، إسهامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري (دراسة في التراث العلمي العربي) مجلة سبأ، 134، شوال 1425هـ، ديسمبر 2004م، ص92.

([3]) الشمري، إسهامات أهل اليمن، ص92.

(4) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص12.

(5) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص337. 338.

(6) مدينة قديمة تقع على وادي سردد بينها وبين زبيد ثلاثة أيام قرابة 150كم، للمزيد ينظر: الكلدي، جمال عبد الحبيب عبد القوي، تهامة اليمن دراسة في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية 204-59هـ/819-1173م)، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1438هـ/2017م،ص77-78.

(7) الشرجي، أبو العباس أحمد بن أحمد عبد اللطيف، طبقات الخواص، أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، توزيع دار المناهل، بيروت، 1406هـ/1986م، ص247.

(8) الشرجي، طبقات الخواص، ص278.

(9) المختار، عبدالرحمن بن أحمد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الآداب، جامعة صنعاء، 2004م / 1425م، ص39 .

(10) الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1995م، 2/ 429؛ بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن، تح:أوسكرلوفجرين، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ومنشورات مكتبة المدينة، صنعاء، 1407هـ / 1986م، ص209.

(11) الجندي، السلوك، 2/429؛ با مخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص209.

(12) الجندي، السلوك ، 2/429؛ الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تح : محمد بسيوني عسل، عني بتصحيحه محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط2، دار الأدب، بيروت ، 1983م، ص178.

(13) فاروق أحمد حيدر مجاهد، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، 2004م، ص88 .





وتطويره بشتى السبل؛ لذلك سعت لتوفير هذه الخدمات الطبية لها ولرعاياها، في عاصمتهم وفي مدن دولتهم المختلفة، وفي هذا الصدد أشار ابن الديبع مؤرخ الدولة إلى أن هناك طبيبًا مغربيًا خاص بالسلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب يدعى ابن الحاج واسمه حسين بن أحمد المغربي، وعلى الرغم من وفاة هذا الطبيب غرقا أثناء رحلة عودته إلى بلاده فإننا نجزم أنه كان هناك من خلفه في مهام المداواة للسلطان وعائلته حتى عودته وكذا من المؤكد أنه تم استقدام شخص آخر بعد خبر وفاة هذا الطبيب الخاص بالسلطان.

في الجانب الآخر فليس بمستغرب على الدولة الطاهرية وحكامة استقدام أطباء من الحجاز أو مصر لدولتهم وخاصة نتيجة لكثرة الأمراض والأوبئة خلال هذه المدة.

2- كثرة الحروب والصراعات:

من العوامل التي تقتضي وجود طب متطور وخدمات طبية على قدر من الكفاءة، هي حالة الصراع والحروب التي خاضتها الدولة الطاهرية لتوطيد أركانها على الأرض اليمنية، واقتضاء توفير خدمات طبية عسكرية مرافقة للجيوش في تحركاتها العسكرية شمالا مع القوى الزيدية التي ورث الطاهريين أطماعهم للتمدد جنوبا على حساب الرسوليين، وأسهموا طوال فترة حكمهم في تحييدهم على مناطقهم القديمة صعدة ونواحيها شمالًا[14].

فضلًا عن الحروب المستمرة مع القوى الطاهرية والمناوئة داخل البيت الطاهري نفسه وكذا كثرة تمردات القبائل اليمنية والزعامات المحلية الطامحة في الاستقلال بمواردها[15].

إن كل تلك الصراعات والحروب تقتضي خدمات طبية متطورة ومتنقلة مع الحملات العسكرية في مختلف المناطق ومعالجة الحالات الطارئة والجراحات والبتر وغير ذلك من معالجة الحالات في أماكن إصاباتها أو نقلها للبيمارستانات الثابتة في المدن لاستمرار العلاج.

ثانيًا: العامل الاجتماعي:

1- نقص الوعي:

يعد الوعي المجتمعي، الحامي الأساسي للمجتمع من شيوع الأمراض وانتشارها على نحو واسع؛ إذ حدث خلال هذه المدة وأسهم في شيوع الأمراض والأوبئة من مدينة إلى أخرى في عموم اليمن خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين.

إن مما يؤكد نقص الوعي المجتمعي، أنه لم يكن مقتصرا على العامة وإنما أيضًا ساد في الطبقة المتعلمة والمتنورة، فقد أورد البريهي أن طلبة العلامة جمال الدين محمد بن إبراهيم العلوي الذي أصيب بمرض الجذام لم ينصرف عنه تلاميذه، وكان الجميع يقصده للتعليم والفتوى وبقي هذا الحال على ما هو عليه حتى وفاته في سنة 822هـ[16].

والحال نفسه حدث في مطلع القرن العاشر الهجري في مجتمع مدينة عدن الأكثر تمدنا من غيرها؛ إذ أصيب الفقيه محمد بن عبدالله بامخرمة بمرض الجذام سنة 873هـ، ويبدو أن الطب في عدن لم ينفعه فقرر السفر إلى الهند للعلاج، وهناك قضى سنتين وعاد إلى عدن والمرض ظاهر عليه ومع ذلك قصدته العامة من الناس للتبرك وللزيارة[17].

إن عملية نقص الوعي المجتمعي هذه أسهمت في انتشار الأمراض والأوبئة في البلاد اليمنية، واقتضت من الدولة إمكانيات ضخمة لمعالجة مظاهرها اجتماعيًا لاحقًا، وترتب عليه أعباء خدماتية طبية على الدولة لرفع الضرر مجتمعيًا.

ثالثًا: العامل الاقتصادي والبيئي:

لعل العامل الاقتصادي والبيئي من العوامل التي أثرت على تطور علم الطب والحاجة إليه مجتمعيًا، فالظروف البيئية السائدة في اليمن من كثرة المواسم المطيرة في المناطق المختلفة التي تستمر أيامًا وخاصة في مدن عدن وزبيد وظفار الأكثر حرارة أدى في فترات عديدة إلى انتشار الأمراض بين الناس وفي أحيان أخرى تحولت تلك الأمراض إلى أوبئة، لقد أدركت السلطات حاجة تلك المدن وأوضاعها البيئية إلى وجود الأطباء فيها، وفيما أشار له الملك المظفر بيان واضح لدور العامل البيئي والحاجة إلى أطباء في تلك المدن.

لا يمكن إغفال الحاجة إلى وجود الأطباء في ظل تلك الظروف، كما أن الأطباء لهم مكانة اجتماعية نظرًا لأهمية

(14) بلعيد، مُحَمّد منصور علي صالح، القوى السياسية المعارضة للدولة الطاهرية باليمن واثرها على الحياة العامة(858-945هـ/1454-1538م) دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 11437هـ/2016م، ص 199-221.

([15]) المرجع السابق، ص 311-344.

([16]) البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبدالله مُحَمّد الحبشي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ / 1994م، ص298.

([17]) بامخرمة، عفيف الدين أبو مُحَمّد الطيب بن عبدالله بن أحمد، قلادة النحر في وفيات الدهر، تح: مُحَمّد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2004م، 3/394-3695.

وظيفتهم، فالاشتغال بالطب يدر لهم دخلا محترما ويحاطون برعاية خاصة من الحكام الذين يستقدمون أمهر الأطباء من الأقطار المجاورة والاكثر تمدنًا، سوى في العصر الرسولي أو الطاهري، ولمعرفة وضعهم الاقتصادي وعناية الدولة بهم يمكن النظر إلى المزايا التي تمتعوا بها في العصر الرسولي.

ومن ضمن العوامل البيئية نجد أيضًا تعدد الأمراض:

أشارت المصادر إلى الأمراض المنتشرة في القرن التاسع الهجري في زبيد ففي سنة 837هـ حدث وباء في زبيد وكثر الموت وانتشر الوباء في البيوت وأصاب معظم أهلها وقدر ابن الديبع عدد الموتى الذين يشيعون ويخرجون للمقابر من الابواب 30 ميتًا في اليوم الواحد ، ويبدو أن سبب ذلك الأمطار التي حدثت خلال ذلك العام [18].

كما حدث وباء سنة 839هـ وكان أعظم من هذا الوباء الذي أصاب زبيدًا وحدها فالوباء الأخير تطرق لبلاد اليمن بشكل عام، وكان ابتداءه من مدينة عدن وعم بلاد اليمن واستمر من أول سنة 839هـ حتى تدوين مؤرخ الدولة الرسولية لعمله التاريخي عنها سنة840هـ [19]

وكذلك المرض الذي حدث في زبيد واستمر من شعبان إلى ذو الحجة 906هـ بين الأطفال والنساء [20]، وفي هذا الصدد يمكن الإشارة إلى أهم الأمراض التي وردت في بعض المصادر خلال مدة الدراسة على النحو الآتي:

1. الأمراض الباطنية: أبرزها أمراض القلب(السكتة)[21]، والكبد[22]، والطحال والمعدة، وأورام الكبد[23]، وداء البطن، وقبض البطن[24]، وأنواع الديدان المختلفة[25]، والصفراء[26]، واليرقان (الصفار)، وهو مرض يسبب اصفرار عين الإنسان[27] وتشكل في مجملها محور علم الأمراض الباطنية المعاصرة.
2. أمراض العظام: وهي الأمراض المرتبطة بحركة الإنسان وقوامه وأبرزها أوجاع الظهر[28]، والمفاصل[29]، وأمراض العروق[30] ونحوها.
3. أمراض الصدر: وترتبط بالجهاز التنفسي والرئة وأبرزها: ضيق التنفس[31]، والسعال[32]، ومنه عدة أنواع: السعال اليابس يخرج معه البلغم[33] والسعال الرطب[34]، وكذا يبوسات الصدر[35].
4. أمراض المسالك والجراحة: وأبرزها حصن البول[36]، والحصى[37]، والبواسير[38].
5. الأمراض الجلدية: وهي أكثر الأمراض الشائعة التي حظيت بإشارات عدة في رسالة بحرق، وأهمها: الجدري ويسمى في حضرموت القطيب[39]، وداء الثعلب[40]، والجرب[41]، والنمش[42]، والكلف[43]، والبهق والسدس[44]، والقوب ويسمى الحزاز[45]، والبرص وهو بياض يسري في البدن[46]، والتأليل هو لحم ينبت

---

[18] ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت: 944هـ / 1537م)، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1427هـ/2006م، ص106.

[19] ابن الحاسب اليمني، جمال الدين محمد بن علي الحاسب المصري، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تح: عبد الله محمد الحبشي، مط: الكاتب العربي، دمشق، 1405هـ / 1984م، ص302-303.

[20] ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت: 944هـ / 1537م)، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/2008م، 291، 261.

[21] الأفضل الرسولي، العباس بن علي، كتاب مجموع في عدة فنون ، نشره تصويرا دانيال فارسكو، وج . ركس سمث، وصدر عن مؤسسة جب، لندن، ١٩٩٨م.، ص351-381؛ بحرق، محمد بن عمر، رسالة في الطب، تح: أحمد صالح رابضة، مطابع دار الإبداع،عدن،2010م، ص78.

[22] الأفضل، المجموع، ص351؛ بحرق، رسالة، ص70.

[23] بحرق رسالة، ص78.

[24] المصدر السابق، ص 65.

[25] المصدر السابق والصفحة نفسها.

[26] المصدر السابق، ص67، ص73.

[27] المصدر السابق ،ص78، ص79.

[28] المصدر السابق، ص 59، ص 67.

[29] المصدر السابق، ص 66، ص 67.

[30] المصدر السابق، ص 66.

[31] المصدر السابق، ص 69.

[32] المصدر السابق، ص 66، ص 69.

[33] المصدر السابق، ص89

[34] المصدر السابق، ص 94.

[35] المصدر السابق، ص 59.

[36] المصدر السابق، ص 63.

[37] المصدرالسابق، ص 63.

[38] المصدر السابق، ص63،ص66، 70.

[39] بحرق، رسالة له في الطب، ص9، ص92.

[40] المصدر السابق، ص 82، ص83.

[41] المصدر السابق، ص84، ص85، 94.

[42] المصدر السابق، ص82، 84.

[43] المصدر السابق ونفس الصفحات نفسها

[44] الافضل، المجموع، ص351-381؛ بحرق، رسالة، ص 82. 84.

[45] بحرق، رسالة، 84،82.

[46] المصدر السابق، ص 96.



في البدن كالمسامير[47]، والدماميل، وهي تجمع الدم تحت الجلد[48]، وكذا القروح[49]، وأشدها خطرًا وعدوى الجذام[50].

6. أمراض العيون: أمراض العيون هي الأخرى كان لها نصيبٌ وافرٌ خلال هذه المدة وأبرزها: الرمد[51]، الغشاء في العين[52]، والغشاء (من لا يبصر ليلاً ويسمى في حضرموت جهرًا)[53]، وبياض العين، وأصله ماء أبيض ينزل من الدماء[54]، نزل الماء الأصفر (العمى)[55].

7. الحميات[56]: من الأمراض السارية، واحتمال أنها ارتبطت بالتغيرات المناخية في حضرموت وأهمها: الحمى[57]، وأشير منها على ثلاثة أنواع أخرى هي: حمى الورد وتُعرف بحمى الغب[58]، وحمى النافض، وحمى الربع ولها اسم آخر الثلث؛ لأنها تغيب يومين وتغرب في اليوم الثالث والرابع[59]، أمَّا أعظم الحميات وأسماها بحرق أعظم الأسقام خطرًا فهي الحمى المطبقة[60].

8. أمراض النساء: أشير أيضاً إلى أمراض النساء ومنها السقط[61]، وعسر الطلق[62]، والحيضة المحتبسة[63].

9. الأورام[64]: منها إلى نوعين هما: الأورام الصلبة، وأورام الكبد[65].

10. أمراض الذكورة: منها الكلى وأمراض المثانة، خروج الماء من القضيب، الخصيتين[66].

11. أمراض أخرى: ومنها الجراح الرطبة، ونزف الدم[67]، وكذا يبوسات العروق والأعضاء، ويبوسات الصدر[68]. وكذا الأمراض النفسية وأشير منها إلى الوسواس والنسيان[69]، وكذا الأوبئة[70]، التي غالبا ما تنتشر بعد الكوارث الطبيعية أو الحروب والمجاعات.

المبحث الثاني: وراثة الدولة الطاهرية ارث بنو رسول الطبي:

اهتم بنو رسول بجوانب الحياة المختلفة في دولتهم، فعملوا - كما تشير لذلك مصادر تاريخهم المتعددة- على إيجاد مناطق بيئية صحية وآمنة للنقاهة وللاستشفاء وكذا نقل بعض المرضى لاسيما أصحاب الأمراض المعدية إليها، وهذا يدل على مدى الوعي بالظروف المصاحبة للمرض[71].

1- اماكن التطبيب:

البيمارستان:

مما لا شك فيه أن هناك اماكن للممارسة مهنة الطب والتطبيب وفق ما يعرف آنذاك البيمارستان وعلى الرغم من عدم وجود أي نص في المصادر الرسولية حول ذلك فيما وصل إلينا؛ إلا أن وجود أماكن للتطبيب وممارسة المهنة وتعلمها شيء مؤكد، وفي هذا الصدد يرجح طه حسين[72] وجود وحدات ومرافق طبية وصحية صغيرة في المدن الرئيسية والمناطق الموبوءة، بناء على ما بلغه هذا العلم في العصر الرسولي.

وقد أشار الأفضل الرسولي(74-778هـ)[73] إلى وجود البيمارستان العسكري كخيام في مؤخرة الجيش، وهو ما يؤكد وجود هذا النوع من المشافي في اليمن، وإن لم يكن هناك وجود تصريح مباشر بها في المصادر اليمنية.

---

[47] المصدر السابق ص 82. 85.

[48] المصدر السابق، ص90، ص93.

[49] المصدر السابق ص 63.

[50] الأفضل، المجموع، ص351-381؛ بحرق، رسالة، ص82، 89.

[51] الأفضل، المجموع، ص351-381؛ بحرق، رسالة، ص78، ص91.

[52] المصدر السابق ص66.

[53] المصدر السابق، ص84،ص88.

[54] المصدر السابق،ص95.

[55] المصدر السابق، ص80،79.

[56] الأفضل، المجموع، ص56-67.

[57] بحرق، رسالة، ص61، ص66.

[58] المصدر السابق، 79،78،73،67.

[59] المصدر السابق، ص84، 86.

[60] المصدر السابق ص 94، ص95.

[61] المصدر السابق، ص 84.

[62] المصدر السابق، ص94.

[63] المصدر السابق ص 69.

[64] الافضل، المجموع، ص351-381.

[65] المصدر السابق، ص 70.

[66] الافضل، المجموع، ص351-381.

[67] المصدر السابق، والصفحة نفسها

[68] المصدرالسابق، ص 70.

[69] المصدر السابق ص 63.

[70] المصدر السابق ص 72.

[71] غشيم، مصطفي مُحَمَّد،الأعمال الخيرية في عهد بني رسول ٦٢٢- 858هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م دراسة تاريخية) ..رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة صنعاء، 1436هـ/2015م، ص110-115؛ هديل، طه حسين .الحياة الاجتماعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية (26858هـ٦/1229-1454م)،دار جامعة عدن، 2007م، 387.

[72] هديل، الحياة الاجتماعية، 392.

[73] العباس بن علي بن داوود، رسالة في القتال، تح: علي بن سالم آل نصيف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مانشستر، 1414هـ/1993م، ص84.

قصور السلاطين: فضلًا عن البيمارستانات المعدة للتطبيب؛ كانت قصور بني رسول في تعز وبقية المدن الرئيسة كزبيد وعدن وصنعاء مكانًا لممارسة الطب وتعليمه.

دار المضيف: من الدور السلطانية في مدينة تعز، ذكر أنه يتم فيها التداوي ويبدو أنه ينزل بها الأطباء الوافدون للعاصمة الرسولية، ويستقبلون الحالات المرضية فيها.

بيوت العلماء: تؤكد بعض الدراسات على أن تعليم الطب كان يتم أيضًا في بيوت الاطباء والعلماء[74].

مدارس متخصصة: فضلا عن ذلك وجدت مدرسة لتعليم الطب في زبيد كما كان يدرس كعلم في المدارس والمساجد والخانقاوات[75].

الفرق الطبية المتخصصة:

يشير الباحث الشعيبي إلى وجود فرقة طبية في الجيش الأيوبي تتولى مهمة معالجة جرحى تلك الحروب، كانت تقيم في مخيم في مؤخرة الجيش[76]، عندما جُرِح المؤيد بن قاسم، وقدموا به إلى الأتابك سنقر[77] الذي ندب له حكيمًا يباشره في العلاج حتى اندملت جراحاته وشفي من أوجاعه[78].

وفي الصدد نفسه أشار العراشي[79] إلى وجود البيمارستان الطبي العسكري في العصر الرسولي، وعده من ضمن اهتمامات الدولة بالشئون الصحية، فوجدت خيام خاصة تسمى البيمارستان ومزودة بالأدوية والمعدات والبياطرة والمضمدين.

1- **مراكز الخدمات الطبية:** تعددت مراكز الخدمات الطبية وكانت المدن المختلفة مراكز للتداوي ووجهة كل مريض للتداوي:

- مدينة تعز: العاصمة الرسولية هناك إشارات حول الطب فيها واهتمام بنو رسول بالطب والعلوم الطبية، ويرى المجاهد أنه لم يرد ذكر لبناء مارستان أو دار استشفاء؛ لان اختيار توران شاه لموقع تعز كان بمشورة الأطباء لما لها من مزايا صحية ونفسية كان قد أغنى أهلها عن الطب والمطببين[80].

ولكن من ناحية الواقع صحيح أن موقع تعز كان مناسبًا ولكن ذلك لا يعني عدم انتشار الأمراض والأوبئة التي اجتاحت اليمن ومنها مدينة تعز نفسها.

- مدينة زبيد: من المدن الهامة والتي تكثر فيها الأمراض والأوبئة وردت إشارات إلى وجود عدد من الأطباء في المدينة[81]. وقد شهد العصر الرسولي بروز عدد من الأطباء، كان جلهم من تهامة اليمن وبالتحديد من مدينة زبيد وقراها وأبيات حسين والمهجم ونظرًا لاشتغال غالبيتهم بالفلسفة مع الطب فقد أهمل المؤرخون ذكر بعضهم[82].

برزت مدرسة زبيد خلال المدة ما بين القرن السابع والتاسع وقد استطاع العبادي ذكر عدد من الأسر والعلماء من زبيد وتهامة بلغوا 10 علماء غير الأسر العلمية كبنو السايح وغيرهم[83].

- مدن أخرى: نستطيع أن نقول بناء على المعطيات المتوفرة أن المدن والمناطق المختلفة في العصر الرسولي كان بها من الخدمات الطبية ما يكفي بإداء هذه الخدمة الاجتماعية للدولة ولرعاياها عدا مدينة ظفار التي ضمها السلطان المظفر(47-94هـ) لمكله سنة 678هـ، وكانت تعاني من نقص في الأطباء-حسب ما يفهم من النص- لذلك بعث المظفر إلى سلطان مصر الظاهر بيبرس

---

(74) علي بن علي بن حسين أحمد، الحياة العلمية في تعز وأعمالها في عصر بني رسول(6626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1414هـ/1994م، 477.

(75) العبادي، الحياة العلمية في مدينة زبيد في عصر الدولة الرسولية (6626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416هـ/1995م، ص382-383.

(76) الأفضل الرسولي، رسالة في القتال، ص84.

(77) الأمير سيف الدين سنقر بن عبد الله المعزي الأتابك وقد كان شهماً شجاعاً، أختلف مع الملك المعز إسماعيل بن طغتكين فهرب منه ، ودارت بينهم العديد من المعارك، وعند مقتل المعز استدعاه الأكراد ونصبوه أتابك للملك الناصر بن أيوب إلى أن توفي سنة 609هـ/1211م، انظر : ابن حاتم، بدرالدين مُحَمَّد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني، السمط الغالي بأخبار الملوك الغز باليمن، تح: ركس سمث، لندن، 1973م، ص79-134.

(78) ابن حاتم، ، السمط الغالي الثمن، ص ، 141-142.

(79) عبدالحكيم مُحَمَّد ثابت سلام، الجيش في اليمن في عصر الدولة الرسولية(262-858هـ/1228-1454م)، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1435هـ/2014م، ص250-251.

(80) المجاهد، مُحَمَّد، مدينة تعز غضن نضير في دوحة التاريخ العربي، ط1، المعمل الفني للطباعة، تعز، 1997م، ص43.

(81) الشرجي، طبقات الخواص، ص61، 273.

(82) العبادي، الحياة العلمية، ص383.

(83) العبادي، الحياة العلمية، ص383-385.



لإرسال طبيب كي يعمل في مدينة ظفار في شرق المملكة الرسولية [84].

نستطيع أن نؤكد ومن خلال نص الخزرجي أن هناك تعاونًا بين المملكة اليمنية الرسولية وسلطنة المماليك في مصر على تبادل العلماء في الطب وغير ذلك.

يرى الكامل [85] أن الدولة الرسولية أسهمت في علم الطب من خلال:

- رعاية علماء الطب الذين صنفوا عددًا كبيرًا من المؤلفات الطبية على الساحة اليمنية خلال ذلك العصر ومنهم علماء طب وافدون.
- تشجيع الرحلة من اليمن إلى خارجها لتعلم الطب ومن ثم العودة للممارسة الطب وتعليمه في اليمن.
- استقدام أطباء من خارج اليمن.
- إرسال من يقتني الكتب والعقاقير الطبية من خارج اليمن للاستفادة منها.
- تدريس مواد طبية في بعض المرافق التعليمية والخدمية وهي أشبه بدورات متخصصة كانت تقام في بعض المرافق ومنها دار المضيف التي كان ينزل بها بعض العلماء في الطب.
- وكذا تعلمهم هذا الصنف من العلوم وتشجيع أبنائهم على تعلمه، ثم خوضهم التأليف مجالاته المختلفة، يتضح ذلك من خلال كتاب السلطان المظفر يوسف الرسولي إلى السلطان الظاهر بيبرس(658-676هـ) [86] صاحب مصر بعد أن فتح الأول ظفار الحبوضي ووجد مدينة ظفار وبيئة يطلب منه إرسال طبيب كما سبقت الإشارة إليه - فقال: "ولا يظن المقام العالي أننا لا نريد الطبيب لأنفسنا فإنا نعرف بحمد لله من الطب مالا يعرفه غيرنا وقد اشتغلنا فيه أيام الشبيبة انشغالاً كثيرًا وولدنا عمر من العلماء بالطب وله كتاب الجامع ليس لأحد مثله" [87].

1- اهتمام بنو رسول وجهودهم في علم الطب:

- حظيت شريحة الأطباء بمكانة متميزة لدى سلاطين وأمراء هذه الدولة، فكان في بلاط السلطان **المنصور عمر بن علي**(626-648هـ):
- طبيبا من طائفة اليهود كان مقربًا من السلطان وذو مكانة لديه.
- كذلك استقدم الطبيب محمد بن أحمد بن علي الحموي يبدو أنه من تلقى عنه المظفر علم الطب، وقد ورد في نور المعارف اشاره إلى الحكيم الشهاب الحموي وإذا لم يكن هو المقصود فإنه أحد أفراد عائلته الذين ورثوا هذه الوظيفة عن أبيهم [88].

وألف للملك المنصور كتابا في الطب بعنوان (البيان في كشف أسرار الطب للعيان) والكتاب موجود بمكتبة جامع صنعاء برقم(2238) ونسخة أخرى برقم (2239) ونسخة ثالثة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا برقم(2039) [89].

في عهد السلطان المظفر(647-694هـ):

السلطان نفسه كان طبيبًا، واشتغل بالطب في شبابه كما ورد ذلك في خطابه للسلطان المملوكي الظاهر بيبرس [90].

وله كتاب (البيان في كشف الطب للعيان) وله في العقاقير (المعتمد في الادوية المفردة) ويتضح من مقدمة الكتاب وجود عدد من الكتب المتداولة في تعلم الطب وعليمة في اليمن؛ إذ يقول المظفر إنه "أختصره من كتب كبار جمعت التطويل والإسهاب" وكان الغرض من تأليف الكتاب الاقتصار على الأدوية المتوفرة في اليمن وذلك للتسهيل على طلبة العلم في الطب وهو ما يعني أن هذا الكتاب كان مقررًا على طلبة العلم في المدارس التابعة للدولة في اليمن [91].

---

(84) الخزرجي، العقود، 234/1.

(85) محمد أحمد، مظاهر اهتمام حكام بني رسول في اليمن بالعلوم الطبية، دورية كان التاريخية، مؤسسة كان التاريخية، علمية، عالمية، محكمة أبوظبي، س10، ع38، ديسمبر 2017م، ص27.

(86) يبدو أن الخزرجي وهم في نسبة الرسالة إلى الظاهر بيبرس كونه توفي قبل الاستيلاء على ظفار سنة 678هـ ويحتمل إنما ارسلت إلى المنصور سيف الدين قلاوون الذي حكم بعد العادل بدر الدين من 678-689هـ.

(87) الخزرجي، العقود، 234/1.

(88) مجهول، نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج1، تح: محمد عبد الرحيم جازم، ط1، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م، 147/2.

(89) الحبشي، عبدالله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، اصدارات المجمع الثقافي، أبوظبي، 2004م، ص581.

(90) الخزرجي، العقود، 234/1.

(91) الملك المظفر الرسولي، يوسف بن عمر، المعتمد في الادوية المفردة، تح: مصطفى السقا، دار القلم، بيروت، د.ت، ص1.







2- أشار نور المعارف[92] إلى عدد من الاطباء تحت اسم الحكيم ومنهم، الحكيم شهاب الدين الحموي، والحكيم جلال الدين، الحكيم عبدالغفار، الحكيم الهدياني، الحكيم العلم، الحكيم البقي، وهؤلاء كانت تصرف لهم رواتب وإعانات غذائية ضمن طواقم الديوان الرسولي[93].

3- أشار نور المعارف إلى طبيب متخصص في الجراحة يدعى إبراهيم الجرائحي [94].

مما سبق يتضح وجود حوالي سبعة أطباء من التخصصات المختلفة في عهد فقط، وهذا الرقم يعطينا فكرة واضحة عما بلغه علم الطب والتداوي، واهتمام الدولة بتوفير الخدمات الطبية لها ولرعاياها.

في عهد الأشرف (694-696هـ):

اشتغل السلطان الملك الأشرف بالطب وله عدة مؤلفات في علوم الطب المختلفة، منها في العقاقير (الابدال لما علم في الحال)، وهو مؤلف مرتب بحسب حروف المعجم قال عنه "جمعت فيه ما وجدته من أبدال الادوية المفردة في الطب"[95]، وله كتاب (الجامع في الطب)[96]، وكذا (شفاء العليل)، وكذا كتاب في الطب البيطري بعنوان (المغني في البيطرة) التيمورية 377طب، دار الكتب 6033 ل على الرغم من أن أبيه المظفر شهد له بالبراعة في علم الطب في رسالته للسلطان الظاهر بيبرس. ايمن فؤاد سيد ص132.

في عهد المؤيد(696-721هـ):

خلال عهد المؤيد أشارت المصادر إلى عدد من الأطباء الذين قدموا من الخارج منهم الطبيب أحمد الحموي (ت:بعد 700هـ) كان موجودًا من عهد الأشرف واستمر في اليمن خلال عهد المؤيد، ألف كتابًا في الطب اسماه (البيان في كشف أسرار الطب للعيان) وقدمه للملك الأشرف[97].

---

(92) مجهول، 147/2.

(93) مجهول، نور المعارف، 129/2.

(94) نور المعارف، 140/2-142.

(95) الأشرف الرسولين عمر بن يوسف، الأبدال لما علم في الحال، نسخة مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية عن نسخة مجموعة آل الكاف بمكتبة الأحقاف بتريم رقم ف 39 ك126، ص1.

(96) الخزرجي، العقود، 234/1.

(97) الحموي، مُحَمَّد بن أحمد، البيان في كشف أسرار الطب للعيان، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ميكروفيلم

من الأطباء الوافدين أيضًا، علي بن شقرا بن أبي الحوافر، حيث يقال أن أحدًا من أهل اليمن سافر الى مصر للعلاج وأرد أن يتعالج عند أحد الاطباء في مصر للعلاج فقال له أحد المصريين وما تريدون منه ومعكم بن أبي الحوافر [98] ، هذا الطبيب من أشهر الأطباء الذين قدموا اليمن، وعنه قال الجندي: "ما علمت طبيبا سنيا ورد اليمن مثله [99] قدم اليمن سنة 715هـ ومكث بها سنتين وعندما عاد باع شيء كتبه" [100]. وبذلك ترك إرثا علميا في الطب استفاد منه أهل اليمن.

4- من الأطباء العاملين في عصر المؤيد محمد بن عمر بن أحمد بن حشيبر(ت:718هـ) حصل له مرض أعيا الأطباء علاجه (101).

الملك المجاهد(721-764هـ): صنف عدة مصنفات وجلها حول الخيل الذي أولع به منها (الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل) يقول المؤلف عن سبب تأليفه كتابه "نظرت في كثير من الكتب المصنفة في ذكر الخيل فرأيت أكثرهم يحيل على غيره ويقلد سواه لا عن حقيقة رؤية بعين ولا مباشرة بنفس إلا قليل منهم"[102] ص486. وكذا كتاب (الخيول اليمنية في المملكة الرسولية) نشره وحققه هلال ناجي بعنوان (نصوص من الموروث الحربي) مجلة المورد 1983م، في بغداد[103]. وله أيضا كتاب في البيطرة بعنوان (التذكرة في علم البيطرة) و كتاب (الجوارح والحمام)[104].

الملك الافضل(764-778هـ) له ثلاثة كتب هي: (شفاء العليل في الطب)[105] و(الجامع في الطب)[106] وفي الصيدلة (الأبدال

رقم1046،عن نسخة دار الكتب المصرية برقم 486 طب، ق1أ، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، 2012م، 324/5.

(98) بامخرمة، قلادة النحر، 3281/3.

(99) الجندي، السلوك، 148/2؛ بامخرمة، قلادة، 3282/3.

(100) بامخرمة، قلادة النحر، 3/،3282.

(101) الشرجي، طبقات الخواص، 273.

(102) الملك المجاهد الرسولي، علي بن داوود بن يوسف، الاقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، تح: يحيى وهيب الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م، ص86-87.

(103) هلال ناجي، نصوص من الموروث الحربي، المورد، بغداد، 1983م، ص91-112. وهذا الكتاب حقق في بغداد ولم يطلع عيه من تناول الطب في اليمن؛ لذا يتم الخلط بينه وبين مخطوط الاقوال الكافية للمجاهد نفسه.

(104) ينظر: الكامل، مظاهر اهتمام بنو رسول، ص32.

(105) الملك الافضل العباس بن علي، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد عبدالله الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،1425هـ/2004م، 515.

لما علم في الحال)[107]، و(المغني في البيطرة)[108]، يقول في مقدمة الكتاب إن هذا الكتاب ثمرة ما جمعه "فيما جربناه وجربه أهل الخبرة من حكماء الخيل من أهل اليمن في أمراض الخيل وما يعرض لها من سائر أنواع الأمراض وأسبابها وعلاماتها وعلاجاتها" وقسمه على تسعين بابًا ولم يقتصر على الخيل فقط بل تناول أمراض الحيوانات الأخرى كالأبل والبقر والحمير والبغال والخنازير والأغنام وغير ذلك[109].

وكان للسلطان الأفضل مصنفات قيمة في مجال العلوم التطبيقية والعلمية، فقد صنف

كتاباً في علم الطب سماه(اللمعة الكافية في الأدوية الشافية)، وكتاب (نيل الأعراض في مداوة الأمراض)[110]، وكتاب في في طبائع الأدوية الكثيرة تحت اسم (بغية الحكيم في مداوة السقيم)[111]، و رسالة في الأدوية المفردة المخلصة من السموم " " رسالة في معرفة البهائم وعلاج أمراضها[112].

وقد حوى علوم من سبقه من علماء اليمن وسلاطينها من بنو رسول؛ لذا تعددت مؤلفاته وأعماله في علوم الطب والصيدلة والبيطرة وغير ذلك.

في عهد **السلطان الناصر(803-827هـ)**: يعد عهده استمرار لتطور علم الطب في العصر الرسولي، وممن اشتهر من العلماء في هذه المدة مهدي بن علي بن إبراهيم الصنبري اليمني (ت:815هـ) وله كتاب (الرحمة في الطب والحكمة) يقول في مقدمة الكتاب "فهذا كتاب مختصر وضعته في علم الطب.. و يسهل تناوله للطلاب ودرسه وحفظه"[113] وقد قسمه على خمسة أبواب، وهو ما يعني أنه وضع كمنهج للتدريس والتعليم في هذا العلم.

(106) الخزرجي، العقود، 234/1.

(107) منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة ام القرى، ميكرو فيلم رقم 17 طب، عن نسخة مكتبة الأحقاف، مجموعة الكاف رقم 10/128 تريم.

(108) الزركلي، الأعلام، 69/5.

(109) الملك الأشرف، المغني في البيطرة، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكرو فيلم رقم 113 طب، عن نسخة دار الكتب المصرية برقم 373 طب تيمور، ق2أ.

(110) ينظر: الكامل، مظاهر اهتمام بنو رسول، ص32.

(111) ينظر: الكامل، مظاهر اهتمام بنو رسول، ص32.

(112) ينظر: الكامل، مظاهر اهتمام بنو رسول، ص32-33.

(113) الصنبري، الرحمة في الطب والحكمة، مخطوط مصور، مكتبة الملك سعود رقم615 ر. ص، الأعلام، 1775، ق1.

كما ظهرت بعض الأسر العلمية التي توارثت مهنة الطب، وبرز فيها عدد من العلماء الذين ساهموا في هذا الميدان[114].

مما سبق يتضح لنا مدى ما بلغه علم الطب خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين علمًا وعملًا وتأليفًا، وهو ما يعني أن اليمن شهدت نهضة علمية في الطب والعلوم الطبية المساندة له.

المبحث الثالث: الطب في العصر الطاهري:

1- اهتمامات بنو طاهر الطبية:

سار بنو طاهر على منوال بني رسول في معظم أمور حياتهم فلم يغيروا ولم يحدثوا الا ما ناسب سياستهم؛ وعليه فعلم الطب كان جزء من العصر السابق وامتدادًا للمدرسة الطبية الرسولية، وخاصة إذا ما علمنا أن معظم الاطباء والعلماء المشتغلين بالطب في آواخر العصر الرسولي كان لهم امتداد من طلاب وتلاميذ تلقوا العلم على أيديهم وعبرهم انتقل للعصر الطاهري وخاصة آواخر القرن التاسع وأول القرن العاشر الهجريين.

2- أماكن التطبيب:

يشير المشرقي[115] أن المصادر الطاهرية لم تشر خلال هذه الفترة- العصر الطاهري- إلى وجود المستشفيات. وهذا الأمر يسري على العصر الرسولي إذ لم توجد إشارات واضحة إلى وجود ما عرف بالبيمارستانات وهي أماكن ممارسة مهنة الطب وتعليمها في الأقطار المختلفة وخاصة الأقطار المجاورة كالحجاز ومصر والشام والتي وجدت فيها هذا العنصر المدني الحضاري في المدينة الاسلامية[116].

ومما يجب التنبيه له أن البيمارستات وجدت في اليمن خلال هذه المدة والعصر السابق لها– عصر الدولة الرسولية-؛ إذ أشير إلى البيمارستان الحربي أو العسكري الذي يرافق الجيوش في تحركاتها وهو النوع الاخر من البيمارسانات[117].

(114) الجندي، السلوك، 375/2.

(115) رياض علي سعيد، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية من (858 . 923هـ / 1454ـ 1519م)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م، ص150.

(116) ينظر: عدوان، أحمد محمد، البيمارستانات في مكة والمدينة في العصر المملوكي 648-923هـ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، س9، ع17،يناير 2008م، الصفحات 83-135.

(117) البيمارستانات على نوعين ثابت ونوع محمول او منقول فالمحمول يجهز بالأدوية وينقل للمناطق النائية ؟ أو اثناء الأوبئة: ينظر: عدوان، 90-91..

3- الأطباء:

لم تشر المصادر إلى الأطباء بشكل مباشر باستثناء طبيب السلطان عامر بن عبدالوهاب(894-923هـ) ويدعى ابن الحاج واسمه حسين بن أحمد المغربي حينما غرق في مركب قرب باب المندب في 8جماد الآخرة 910هـ، ويفيد النص بمعرفة وجود الأطباء في اليمن في العصر الطاهري، وكذا أن هذا الطبيب من أصول مغربية، وكان طبيبًا خاصًا للسلطان الطاهري، ويبدو أنه كان مغادرًا بمركب من مدينة عدن إلى مصر ومنها إلى بلاده[118].

وهذا لا يعني إنه الطبيب الوحيد ولكن مؤكد أن هناك أطباء آخرون في عموم المدن يمارسون مهنة التطبيب ويدرسونها لتلاميذهم وخاصة إنه وجد كثير من علماء الطب وصفوا بأنهم علماء في علم الطب، وكان معظمهم استمرارًا لمدرسة الطب في العصر الرسولي؛ إذ إن معظم أولئك العلماء عاشوا حتى منتصف القرن التاسع وما بعد هذه المدة وذلك لأن هذا القرن شهد نهاية العصر الرسولي وقيام دولة آل طاهر. ونتيجة لوجود عدد من العلماء في العصر الطاهري نستطيع أن نقسمهم على حسب المدارس في العصر الرسولي على عدة مدارس هي:

4- مدرسة الطب في تهامة وزبيد:

- عبداللطيف بن موسى من بني المشرع وصف بأن له اشتغال بعلم الطب وانتفع به الناس في ذلك نفعًا كثيرًا في عصر الشرجي(ت:893هـ)[119]
- محمد بن أبي الغيث بن علي الكمراني(799-857هـ) وهو فقيه تحول في آخر حياته إلى علم الطب والنظر في كتبه، له كتاب شفاء الأجسام في الطب) وقد استفاد الأزرقي من علم الكمراني ونقل كثيرًا عن كتابه في مؤلفة الطبي المعنون تسهيل المنافع[120]
- إبراهيم بن أبي بكر وله كتابان في الطب هما: تسهيل المنافع في الطب وكتاب مغني اللبيب حيث لا يوجد طبيب[121]

(118) ابن الديبع، الفضل المزيد، 120.
(119) الشرجي، طبقات الخواص، ص64.
(120) الحبشي، مصادر الفكر، ص 582.
(121) الحبشي، مصادر الفكر، ص 582.

- إسماعيل بن إبراهيم بن بكر(ت:889هـ) العالم العلامة فقيه زبيد ومفتيها وصف بانه له مشاركة في علم الطب[122].
- يحيى بن أبي بكر العامري(ت:893هـ) وكتابه التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة[123]
- الإمام حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري(ت:926هـ) اعتنى بالطب ودرسه وألف فيه منظومة أسماها (جلب الزبون في منافع البون) [124].
- الفقيه علي بن الطيب بن النجار(ت:891هـ) كان عالم في الكيمياء[125].

إذا ما نظرنا في القائمة السابقة نجد أن جل هؤلاء العلماء من زبيد ومن تهامة وهو ما يعني أن هناك مدرسة طبية سادت في تهامة في علم الطب ممارسة وتدريسًا وتأليفًا، وفي هذا الصدد نجد العبادي يؤكد على وجود مدرسة متخصصة في علم الطب في عصر الدولة الرسولية، وهو ما يعني أن هؤلاء العلماء امتداد لتلك المدرسة العلمية الزاخرة.

مدرسة عدن:

حتى قبيل منتصف القرن التاسع الهجري نجد استمرار مدرسة الطب في عدن من خلال القاضي محمد بن سعيد كبن(ت:842هـ) الذي وصف بالمشاركة في الطب[126] التأليف فيه، فقد ألف سنة 836هـ عندما اجتاح الوباء عدن كتابًا أسماه: (وصف الطلب لكشف الكرب)، كما اشتغل ابن كبن بالطب وأتاه عبد الرحمن بن علوي بن محمد بن الشيخ باعلوي يشكو مرضًا في عينيه ويطلب منه الدواء، فقال له أن هذا المرض يسميه الأطباء الماء الأخضر[127] وليس له دواء عندنا (يقصد الأطباء) حتى يكمل عماؤها[128] وهذا يدل على سعة علم ابن كبن ومقداره في عدن.

(122) قلادة النحر، 3/ 3641.
(123) الحبشي، مصادر الفكر، 499.
(124) الحبشي مصادر الفكر، ص583.
(125) بامخرمة، قلادة النحر، 3/3642-3643.
(126) البريهي : طبقات صلحاء اليمن ، ص331 – 333 .
(127) وتعرف اليوم بالمياه الزرقاء الأنجلو كوما، وسببها ارتفاع ضغط الدم في العين مايؤدي إلى عدم قدرة السوائل على التدفق بشكل طبيعي خلال قناة سكلم ، وتؤدي إلى حدوث العمى . C. GUGTON , ARUTHUR : PHYSIOLOGY. JAPAN – 1985 P . 369.ANATOMY
(128) بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص 119 .

ورد إلى عدن العديد من العلماء للدراسة على يد علماء عدن في العلوم المختلفة ومنها الطب وأقام بها الطبيب محمد بن عمر بحرق ومنها سافر إلى الهند.

- أشار فارتيما إلى وجود متصوف في مدينة عدن يعالج الأمراض اتخذه عذرًا للخروج من الأسر في رداع فاتجه إليه للعلاج الروحاني بقراءة القرآن وأنه أرسل لسيدته أنه شفي من ذلك المرض النفسي (الجنون)، ويبدو أن ذلك المتصوف هو الفقيه بامخرمة الذي ورد أن الناس تذهب إليه للبركة على الرغم من مرضه بالجذام.

المبحث الرابع: نماذج من علماء الطب ومؤلفاتهم:

1- نموذج من مدرسة زبيد وتهامة:

- إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي بكر الأزرق(ت:890هـ) أحد علماء الطب في عصر الدولة الطاهرية، عاش في زبيد وتوفي أواخر القرن التاسع الهجري، يعد أحد العلماء الذين شكلوا صلة لتطور علم الطب في مدينة زبيد بين العصرين الرسولي والطاهري وأحد ورثة مدرسة الطب في زبيد التي نمت وتطورت خلال العصر الرسولي.

أبرز كتبه في علم الطب كتاب (تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الاجسام) وهذا الكتاب يشير بجلاء إلى تطور علم الطب خلال العصر الرسولي وما وصل إليه من رقي وأهم مواضيعه؛ لذا نجد إنها لا تختلف عن مضامين مناهج علم الطب بشكل عام في العالم الإسلامي آنذاك وينضوي هذا الكتاب على خمسة أقسام، قسمت على النحو الآتي:

- القسم الأول في علم الطبيعة والأمر بالتداوي.
- القسم الثاني في طبائع الأغذية و الأدوية ومنافعها.
- الثالث فيما يصلح للبدن في حال الصحة.
- الرابع في علاج العلل.
- الخامس في الامراض العامة.

2- أنموذجًا من مدرسة الطب في حضرموت:

- محمد بن عمر بحرق:

وفي الصدد نفسه فإن المجتمع الإنساني في حضرموت كان بحاجة لهذا العلم؛ نتيجة لما تعرض له من أنواع الأوبئة والأمراض، التي كثر ضحاياه في كل وباء[129]. ففي القرن الثامن الهجري برز الطبيب والعالم الشيخ سعد بن محمد بن أحمد بن أبي فضل، والذي اشتهر أنه عالمٌ بالطب والكيمياء[130]، وله تأليف في علم الطب أسماه (المنوال في تفسير ما أشكل من العلل والأدوية والإبدال)[131].

ونعطي نموذجًا عن أبرز الأطباء في العصر الطاهري ممن حققت أعمالهم وظهرت للنور وأبرزهم محمد بن عمر بحرق(ت:930هـ)، وتعد رسالة في الطب للعلامة محمد عمر بحرق منتهى ما وصل إليه تطور علم الطب والعقاقير في اليمن، خلال مطلع القرن العاشر الهجري، ويتضح من مضمونها وتبويبها حنكة وخبرة العالم والطبيب بحرق[132].

وهذا يؤكد للباحث أن محمد بن عمر بحرق لم يك بدعًا في علم الطب في حضرموت، وإنما كان ثمار سلسلة من العلماء والأطباء في حضرموت، خلال القرون السابقة لعصره، وما نتاجه الغزير من أراجيز وشروح في هذا العلم وغيره إلا استمرارًا لجهود هؤلاء الحكماء.

تتضح أهمية رسالة في الطب العلامة من دقة المنهج العلمي المتبع فيها؛ حيث إنها عبارة عن منظومة في 161 بيتًا، ثم علق عليها بما يتلاءم مع الأبواب والفصول، وعلق بحرق على ذلك بقوله: "هذا تعليق لطيف على نبذتي المنظومة في أصول عن الطب"[133]، وأن الهدف من تصنيفها تعريف المبتدئين بعلم الطب "تبصرة للمبتدئ، تذكرة للمنتهي"[134].

وتطرق بحرق في المقدمة للعلاقة بين الإنسان والبيئة وأثرها على الإنسان والبيئة، منطلقًا في ذلك من منظور ديني في معرفة (النفع والضر) في المعايش والتوسط في ذلك، وعدم الإسراف،

(129) عبدالنور، محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، ط1، وزارة الثقافة، صنعاء، 2010م، ص462.

(130) الجندي، السلوك ، 2/486، الخطيب، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن(855هـ/1451م)، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف، نسخة حديثة بخط علي بن سالم الخطيب،1410هـ ، 1/237، بامخرمة، قلادة النحر، 3/2121.

(131) بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل،1420هـ/1999م، ص97.

(132) ينظر : بحرق، رسالة في الطب، ص15-16، ص 38.

(133) بحرق، رسالة في الطب، ص33

(134)المصدر السابق، ص33



مستشهدًا بالقرآن الكريم، والحديث الشريف للتعريف بعلم الطب ومكانته وحكمه[135].

وانطلق من فهم واعٍ في تقسيمه لعلم الطب إلى قسمين: الأول حفظ الصحة بالتدبير والآخر جلب الصحة بالعلاج[136]، مستخدمًا منهجًا علميًا واضحًا في تقسيم منظومته إلى ثلاثة أبواب هي:

1. باب تدبير الصحة.
2. باب في العلل الحادثة بزيادة الطبائع، وأسبابها، وعلاماتها، وعلاجها.
3. باب في طبائع بعض الأغذية والأدوية[137]

وأشار في آخر الرسالة إلى مصادره بقوله: "فهذا ما يسر الله تعالى من ذكر ما يحضر جهله، من أصول علم الطب في هذه الثلاثة الأبواب السابقة، ومن أراد بسط ذلك، ففي كل باب منها كتب مدونة"[138].

وأشار بحرق لمصادره الأصلية، و يعبر عنها (بـ قال الحكماء) وهو المسمى الذي عرف به الأطباء في اليمن والعالم الإسلامي، وأبرزها (المفردات في خواص الأدوية والأغذية) لابن البيطار، والمصدر الآخر المهم في رسالته كان (تقويم الأبدان لابن جزله في العلل وعلاماتها وأسبابها) [139].

كما اعتمد على الخبرات العلمية الموروثة لدى المجتمع الحضرمي، وقد أشار لذلك في أكثر من موضع من رسالته بقوله: "وهو الذي تسميه أهل حضرموت والشحر، الربيع، الصيف، الخريف، الشتاء" [140]، وكذا عند إشارته لبعض الاستعمالات "ويكثر استعماله في جهة حضرموت والشحر"[141]، وبعض المسميات المحلية لبعض الأدوية و الأمراض[142].

الخلاصة:

مما لا شك فيه أن علم الطب عم وانتشر في عموم اليمن للحاجة الملحة إلى ذلك، خلال الحقب التاريخية المختلفة، والدراسة المقدمة تبحث في ذلك وخرجت بالنتائج الآتية:

- شكل العصر الرسولي قمة هرم تطور علم الطب وشيوعه في اليمن؛ نظرًا للاهتمام الذي أولاه سلاطين الدولة للعلوم المختلفة ومنها علم الطب.
- أسهمت عوامل عديدة سياسية واقتصادية وبيئية واجتماعية في نمو وتطور علوم الطب في اليمن نظرًا للحاجة لذلك.
- انتشر علماء الطب في عموم بلاد اليمن ونمت مدارس طبية متعددة في المدن اليمنية المختلفة كتعز وعدن وزبيد وجبلة وصنعاء.
- تعددت فروع الطب واهتماماته ووجد أطباء عاملون في مختلف التخصصات كالجراحة والباطنية والجلدية والعيون وكذا علوم الصيدلة والعقاقير والكيمياء وهو ما يوحي بنهضة علمية مزدهرة.
- يُعّد العصر الطاهري امتدادًا طبيعيًا للعصر الرسولي في المجالات السياسية والإدارية وكذا في جانب العلوم المختلفة فهو الشكل النهائي للعصور الإسلامية في اليمن.
- لم يكن العصر الطاهري بأقل اهتمامًا بعلم الطب فقد ورث كل تراث بنو رسول ومدارسه؛ لذلك برزت العديد من المدارس واستمرت جهودها الطبية طيلة العصر الطاهري.
- برز العديد من العلماء في الطب خلال العصر الطاهري وأسهموا في تطور علم الطب علمًا وعملًا وتأليفًا وأبرزهم ابن الازرق وبحرق.

---

(135) المصدر السابق، ص36
(136) المصدر السابق، ص38
(137) المصدر السابق، والصفحة نفسها.
(138) المصدر السابق، ص98
(139) المصدر السابق 98.
(140) المصدر السابق 35.
(141) المصدر السابق: 58.
(142) المصدر السابق ص65، ص66، ص70.



المصادر والمراجع:

1. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
2. الأشرف الرسولين عمر بن يوسف، الأبدال لما علم في الحال، نسخة مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية عن نسخة مجموعة آل الكاف بمكتبة الأحقاف بتريم رقم ف 39 ك126.
3. نفسه: الملك الأشرف، المغني في البيطرة، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكرو فيلم رقم 113 طب، عن نسخة دار الكتب المصرية برقم 373 طب تيمور.
4. الأفضل الرسولي، العباس بن علي، رسالة في القتال، تح: علي بن سالم آل نصيف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مانشستر، 1414هـ/1993م.
5. نفسه: كتاب مجموع في عدة فنون، نشره تصويرًا دانيال فارسكو، وج. ركس سمث، وصدر عن مؤسسة جب، لندن، ١٩٩٨م.
6. بافضل، محمد بن عوض، صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل،1420هـ/1999م.
7. بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد، تاريخ ثغر عدن، تح: أوسكرلوفجرين، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ومنشورات مكتبة المدينة، صنعاء، 1407هـ / 1986م.
8. نفسه: قلادة النحر في وفيات الدهر، تح: محمد يسلم عبد النور، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ / 2004م.
9. بحرق، محمد بن عمر، رسالة في الطب، تح: أحمد صالح رابضة، مطابع دار الإبداع،عدن،2010م.
10. البريهي، عبد الوهاب بن عبد الرحمن، طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1414هـ / 1994م.
11. بلعيد، محمد منصور علي صالح، القوى السياسية المعارضة للدولة الطاهرية باليمن وأثرها على الحياة العامة(858-945هـ/1454-1538م) دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 11437هـ/2016م.
12. الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تح: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1995م.
13. ابن حاتم، بدرالدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني، السمط الغالي الثمن بأخبار الملوك الغز باليمن ، تح ركس سمث ، لندن ، 1973م.
14. ابن الحاسب اليمني، جمال الدين محمد بن علي الحاسب المصري، تاريخ الدولة الرسولية في اليمن، تح: عبد الله محمد الحبشي، مط: الكاتب العربي، دمشق، 1405 الحبشي، عبدالله محمد، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، إصدارات المجمع الثقافي، أبوظبي، 2004هـ/ 1984م.
15. الحموي، محمد بن أحمد، البيان في كشف أسرار الطب للعيان، نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ميكروفيلم رقم1046،عن نسخة دار الكتب المصرية برقم 486 طب.
16. الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن، العقود اللؤلؤية، في تاريخ الدولة الرسولية، تح: محمد بسيوني عسل، عني بتصحيحه محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ط 2، دار الأدب، بيروت، 1983م.
17. الخطيب، عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن(855هـ/1451م)، الجوهر الشفاف في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف، نسخه حديثة بخط علي بن سالم الخطيب،1410هـ.
18. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة أبن خلدون ، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،1423هـ-2002م.
19. ابن الديبع، وجيه الدين أبو الضياء عبد الرحمن بن علي (ت: 944هـ / 1537م)، بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1427هـ/2006م.
20. نفسه: الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تح: عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1429هـ/2008م.
21. الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2012م.





22. الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.
23. الشرجي، أبو العباس أحمد بن أحمد عبد اللطيف، طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، توزيع دار المناهل، بيروت، 1406هـ/1986م.
24. الشمري، محمد كريم إبراهيم، إسهامات أهل اليمن في علم الطب والطب البيطري (دراسة في التراث العلمي العربي) مجلة سبأ، 134، شوال 1425هـ، ديسمبر 2004م.
25. الصنبري، الرحمة في الطب والحكمة، مخطوط مصور، مكتبة الملك سعود رقم615 ر. ص، الأعلام، 1775.
26. العبادي، الحياة العلمية في مدينة زبيد في عصر الدولة الرسولية (6626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1416هـ/1995م.
27. عبدالنور، محمد يسلم، الحياة العلمية في حضرموت في القرنين السابع والثامن للهجرة، ط1، وزارة الثقافة، صنعاء، 2010م.
28. عدوان، أحمد محمد، البيمارستانات في مكة والمدينة في العصر المملوكي 648-923هـ، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود، الرياض، س9، ع17،يناير 2008م.
29. العراشي، عبدالحكيم محمد ثابت سلام، الجيش في اليمن في عصر الدولة الرسولية(262-858هـ/1228-1454م)، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1435هـ/2014م.
30. علي بن علي بن حسين أحمد، الحياة العلمية في تعز وأعمالها في عصر بني رسول(6626-858هـ/1228-1454م)، رسالة ماجستير قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1414هـ/1994م.
31. غشيم، مصطفي محمد، الأعمال الخيرية في عهد بني رسول ٦٢٢- 858هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م دراسة تاريخية) ..رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة صنعاء، 1436هـ/2015م.
32. فاروق أحمد حيدر مجاهد، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، سلسلة إصدارات جامعة صنعاء، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، صنعاء، 2004م.
33. الكامل، محمد أحمد، مظاهر اهتمام حكام بني رسول في اليمن بالعلوم الطبية، دورية كان التاريخية، مؤسسة كان التاريخية، علمية، عالمية، محكمة أبوظبي، س10، ع38، ديسمبر 2017م.
34. الكلدي، جمال عبدالحبيب عبد القوي، تهامة اليمن دراسة في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية 204-59هـ/819-1173م)، ط1، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن، 1438هـ/2017م.
35. الملك المجاهد الرسولي، علي بن داوود بن يوسف، الأقوال الكافية والفصول الشافية في الخيل، تح: يحيى وهيب الجبوري، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.
36. المجاهد، محمد محمد، مدينة تعز غضن نضير في دوحة التاريخ العربي، ط1، المعمل الفني للطباعة، تعز، 1997م.
37. مجهول، نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف، ج1، تح: محمد عبد الرحيم جازم، ط1، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2003م.
38. المختار، عبدالرحمن بن أحمد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الآداب، جامعة صنعاء، 2004م / 1425م.
39. المشرقي، رياض علي سعيد، التعليم في اليمن في عصر الدولة الطاهرية من (858 ـ 923هـ /1454ـ 1519م)، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ/ 2004م.
40. الملك المظفر الرسولي، يوسف بن عمر، المعتمد في الأدوية المفردة، تح: مصطفى السقا، دار القلم، بيروت، د.ت.
41. هلال ناجي، نصوص من الموروث الحربي، المورد، بغداد، 1983م.
42. هديل، طه حسين، الحياة الاجتماعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية) 858٦26هـ/1229-1454م)،دار جامعة عدن، 2007م.
43. ANATOMY .PHYSIOLOGY. JAPAN – 1985 P . 369



اليمن وجامعة الدول العربية
ثمانية عقود من التاريخ المشترك

أ.م.د/ أشرف صالح محمد سيد

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة افيروس (ابن رشد) – هولندا

بيانات الكتاب

العنـــــــــوان: **اليمن وجامعة الدول العربية: ثمانية عقود من التاريخ المشترك.**

الإشـــراف العــام: السفير حسام زكي، والسفير رياض العكبري

الناشـــــــــــر: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، 2022.

الصـــــــــفحات: ثلاثة أجزاء – 410 صفحة.

الترميـز الوثـائقي: م12/ 2022/ 01 – و(000274)

الكلمات المفتاحية: اليمن، العلاقات الخارجية، جامعة الدول العربية



مقدمة:

جاء تأسيس جامعة الدول العربية عام 1945، تلبية للمتغيرات الإقليمية التي سيطرت على الساحة الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، واستجابةً لحاجة الشعوب العربية المستقلة آنذاك إلى تحقيق حلمها القديم بالوحدة العربية. وكما ورد في استهلالية الميثاق، فقد جاء قيام جامعة الدول العربية "تثبيتًا للعلاقات الوطيدة التي تربط بين الدول العربية، وحرصًا على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسياتها، وتوجيهًا لجهودها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها، وتحقيق أمانيها وآمالها، واستجابة للرأي العربي العام في جميع الأقطار العربية". وكان توقيع اليمن على هذا الميثاق التأسيسي إيمانًا منها بأن الأمة العربية أمة واحدة، وأن الطريق إلى تحقيق هذا الحلم العربي يمر عبر "بيت العرب".

ولقد مر القطر اليمني الشقيق منذ ذلك التاريخ بتحديات ومصاعب عدة، صبغت تاريخه وصنعت شخصيته المتميزة، ومنحته قدرة على تجاوز مختلف العقبات والعثرات والنهوض منها كطائر العنقاء، يُبعث من جديد بشكل أكثر أصالة وقوة وعطاء. وإسهامًا من جامعة الدول العربية في تسجيل مسيرة اليمن عبر الدروب المتشعبة للعمل العربي المشترك. تأتي هذه المجموعة التوثيقية بعنوان "اليمن" وجامعة الدول العربية: ثمانية عقود ثرية من التاريخ المشترك"، لتحملنا في رحلة تروي المسيرة اليمنية عبر محطات منتقاة من الوثائق الرسمية والصور الفوتوغرافية والمواد البريدية، التي تعكس الطبيعة الخاصة والمتشعبة لعلاقات القطر اليمني بجامعة الدول العربية.

وتنقسم هذه المجموعة التوثيقية اليمنية إلى ثلاثة أجزاء هي: "نماذج وثائقية مختارة"، و"ألبوم صور فوتوغرافية"، و"مواد بريدية متنوعة"، وتضيف في مجموعها لبنة أخرى إلى مشروع توثيق ذاكرة جامعة الدول العربية الذي تسعى الأمانة العامة جاهدة لتعيد منذ عام 2014 بهدف المحافظة على كيان الذاكرة الوطنية والهوية القومية للأمة العربية، بما يضمن حفظ هذه الذاكرة ذخرًا للأجيال المقبلة.

محتويات الكتاب:

الكتاب محاولة لرصد بعض محطات العلاقة التاريخية بين اليمن وجامعة الدول العربية على مدار خمسة وسبعين عامًا وينيف هي عمر هذا الصرح العربي الذي نطلق عليه "بيت العرب"؛ جامعة الدول العربية. وتسلط المقتطفات والشروح المقتضبة التي يحتويها هذا العمل بعض الضوء على جوانب من المسيرة الحافلة بالأحداث والتحديات في علاقة اليمن بجامعة الدول العربية منذ إنشائها عام 1945م، وفقًا لما سمح به توفر الوثائق والصور القرينة لتلك الشروح الموجزة. وهي كذلك تلقي بعض الضوء على علاقات اليمن، العضو المؤسس لجامعة الدول العربية، بمحيطه العربي، وهي علاقات موغلة في التاريخ ارتكزت دومًا على روابط الأخوة القومية العربية ووشائجها المتينة. ويأتي الكتاب في إطار مشروع "توثيق ذاكرة جامعة الدول العربية" الذي أطلقته الأمانة العامة عام 2014م، ويهدف إلى حماية تراث الجامعة ووثائقها، ورقمنه الوقائع والأحداث وتدوينها في مسيرتها الطويلة، وإنشاء قاعدة بيانات ومعلومات توثق مسيرة العمل العربي المشترك، تكون في متناول الجميع على شبكة المعلومات الدولية الإنترنت، حيث من المقرر إنشاء موقع إلكتروني يعرض كل ما يتعلق بتاريخ جامعة الدول العربية من وثائق ولقاءات واجتماعات ومؤتمرات، وحفظها من الاندثار والضياع، انطلاقًا من أن "أمة دون تاريخ ليس لها مستقبل".

يعكس الكتاب جوانب من المراحل السابقة الدولة اليمنية الراهنة، والنظم السياسية المتعاقبة على من العقود المواكبة لمختلف مراحل نشوء، وتطور جامعة الدول العربية، بما في ذلك الأنظمة السياسية المختلفة في الجنوب والشمال، بتنوع اتجاهاتها وعلاقاتها السياسية، منذ حقبة النظام الإمامي في الشمال: المملكة المتوكلية اليمنية، ثم ثورة 26 سبتمبر في الشمال، وقيام الجمهورية العربية اليمنية، وحقبة الاستعمار البريطاني في الجنوب، والكفاح التحرري واندلاع ثورة 14 أكتوبر في الجنوب، والذي توج بتحقيق الاستقلال الوطني الناجز في 30 نوفمبر 1967، وقيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية التي أصبحت تُعرف لاحقًا بجمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية، ثم قيام الجمهورية اليمنية عقب تحقيق الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990م، ثم التطورات التي مهدت للأحداث المهمة وما تلاها من وقائع خطيرة ومفصلية في العام 1994، ثم التطورات والأحداث التي جرت بعد العام 2007 في الجنوب واندلاع الحراك الجنوبي السلمي، وتطورات وأحداث العام

2011 في عموم اليمن، ثم الانقلاب الحوثي على الدولة في سبتمبر 2014 والتطورات المتلاحقة وعواقبها الخطيرة التي تلت ذلك الانقلاب حتى زمن إصدار هذا العمل.

وقد اتسمت العلاقة بين اليمن وجامعة الدول العربية خلال تلك العقود الثمانية المنصرمة بالحضور والتأثير المتبادلين، الأمر الذي تجسد في القرارات والبيانات والمواقف واللقاءات العديدة التي عبر من خلالها اليمنيون عن تفاعلهم ومشاركتهم النشطة والفاعلة في العمل العربي المشترك، في الوقت الذي عبر فيه العرب عن اهتمامهم وانشغالهم بما دار ويدور من أحداث في اليمن، كان لبعضها أثر بالغ في الأمن القومي العربي، كما هو الحال في الظرف العصيب الراهن الذي تمر به اليمن. ولاريب في أن مهمة وقف الحرب وإحلال السلام الشامل والمستدام في اليمن، واستعادة الدولة الشرعية المدنية، وتحقيق الأمن والاستقرار، والشروع في مرحلة إعادة الإعمار والتعافي الاقتصادي، واستعادة اليمن لدورها ومكانتها التقليدية كرافد أساسي من روافد العمل العربي المشترك، بمشاركة ومساندة عربية فاعلة، أضحت تندرج على نحو أكثر إلحاحًا ضمن أولويات الأجندات الراهنة والمستقبلية للعمل العربي المشترك، وفي سياق التصدي لتحديات صيانة الأمن القومي العربي.

- الجزء الأول: نماذج وثائقية مختارة

يحتوي هذا الجزء بين دفتيه (238 صفحة) على وثائق مختارة تحكي عن جزء هام من مسيرة العلاقة التاريخية بين اليمن وجامعة الدول العربية، والتي تنوعت ما بين تصديقات وتوقيعات اليمن على الاتفاقيات والمعاهدات وغيرها من الوثائق الرسمية الخاصة بالجامعة العربية، وكذلك الوثائق الرسمية الخاصة بالتمثيل الرسمي لليمن في "بيت العرب"، بالإضافة إلى مجموعة منتقاة من الأرشيف الصحفي الذي يعكس التاريخ المشترك لليمن وجامعة الدول العربية.

- الجزء الثاني: ألبوم فوتوغرافي

يحتوي الجزء الثاني من المجموعة الوثائقية (52 صفحة) على نماذج مختارة من الصور الفوتوغرافية المنتقاة من الأرشيف الفوتوغرافي الرقمي بمكتبة الأمانة العامة.

- الجزء الثالث: مواد بريدية متنوعة

يحتوي الجزء الثالث (120 صفحة) على مجموعة من المواد البريدية المنتقاة حول الجوانب التاريخية والتراثية والحياة الثقافية لليمن، ودورها في مسيرة العمل العربي المشترك باعتبارها مجموعة متميزة صدرت عن اليمن في حقب زمنية مختلفة، والمودعة ضمن مقتنيات متحف البريد العربي الكائن بمقر الأمانة العامة للجامعة العربية. وقد تم تصنيف المواد البريدية داخل هذا الجزء كالتالي:

- 1- اليمن والعمل العربي المشترك.
- 2- اليمن والقضية الفلسطينية.
- 3- محطات تاريخية متنوعة.
- 4- مدن يمنية.
- 5- آثار ومعالم تاريخية.
- 6- الأزياء الشعبية والحلي اليمنية.
- 7- الحرف اليدوية اليمنية.
- 8- الأمومة والطفولة في اليمن.
- 9- الأنشطة الرياضية.
- 10- الخيول اليمنية الأصيلة.
- 11- نباتات يمنية متنوعة.

الخلاصة:

إن هذه المجموعة الوثائقية تضع بين يدي القارئ والمثقف والباحث مجموعة من الوثائق الرسمية من اتفاقيات وتصديقات وصور فوتوغرافية وطوابع بريدية متعلقة باليمن وعلاقتها بجامعة الدول العربية والمحفوظة بالأرشيف الوثائقي للأمانة العامة، بالإضافة إلى مجموعة المواد البريدية والصور الفوتوغرافية ونماذج الأخبار الصحفية التي تم توفيرها من قبل المندوبية الدائمة للجمهورية اليمنية، بما يعكس تضافر الجهود بين الجانبين لإبراز مسيرة اليمن العربية منذ تأسيس بيت العرب.

إن قيمة هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة تنبري جلية عندما ندرك طبيعة الظروف الصعبة التي في ظلها قامت المندوبية الدائمة للجمهورية اليمنية، بالتعاون المثمر المشترك مع الأمانة العامة جامعة الدول العربية، بإعداد وإخراج هذه المادة التوثيقية، إذ عمدت القوى الانقلابية إلى إطالة أمد الوضع المأساوي الذي يُعاني منه الشعب اليمني على كافة الصعد الحياتية والإنسانية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. ومن الآثار الكارثية لممارسات مليشيا الحوثي الانقلابية ما جرى من نهب وتدمير لعديد من المراكز الثقافية والتعليمية والمتاحف ومؤسسات حفظ الأرشيف الوطني، الأمر الذي وضع جهد القائمين على إنجاز هذه المادة، ومحاولاتهم تغطية مختلف الحقب التاريخية أمر ليس من السهولة بمكان.



علمية محكمة تصدر عن مركز التاريخ العربي







www.arabhistorypublishing.com

